القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI

www.alquds.co.uk

الاسبوعي
Weekly

السنة السابعة والثلاثون العدد 12035 الأحد 12 نيسان (أبريل) 2026 – 24 شوال 1447 هـ

Volume 37 - Issue 12035 Sunday 12 April 2026

«إيثاكا» رواية جديدة من سليم بركات 26

فكيك المغربية: واحة تحدث الصحراء بالماء 36

ربع نهائي أبطال أوروبا: انتقام وإذلال 38

ليبيا: رفض متصاعد للمبادرة الأمريكية 05

حوار: الأكاديمي اللبناني عماد سلامة 16

علي الأطرش: مبادرة «تحصين» للعلاج النفسي 46

حروب نتنياهو: جبهة لبنان المفتوحة

إذا كان رئيس حكومة الاحتلال قد رضخ لإرادة البيت الأبيض في «خفض التصعيد» على الجبهة اللبنانية، تفادياً لتعكير أجواء التفاوض الأمريكي ـ الإيراني في إسلام آباد، فإن حروب نتنياهو ضد لبنان مفتوحة، أو هي لم تُغلق أصلاً قبل الحرب الأمريكية ـ الإسرائيلية ضد إيران وبعد أن توقفت في هدنة مؤقتة. الحال ذاتها يشهدها قطاع غزة، حيث تتكرر جرائم الحرب وتتنوع، وكأن خطة الرئيس الأمريكي معلقة أو حتى أقرب إلى حبر على ورق.

(الحدث، 6ـ15)

Price List ■ الأردن 500 فلس ■ الامارات 5 دراهم ■ البحرين 300 فلس ■ تونس 1.50 مليم ■ الجزائر 90 دينارا ■ السعودية 3 ريالات ■ السودان10 دنانير ■ سورية 12ليرة ■ عُمان200 بيزة ■ العراق 500فلس ■ قطر 4.5 ريالات ■ الكويت 150 فلسا ■ لبنان 1500 ليرة ■ ليبيا 500 درهم ■ مصر 1 جنيه ■ المغرب 6 دراهم ■ اليمن 50 ريالا

Australia 1.50 A.Dr • Austria € 2 • Belgium € 2.50 • Cyprus € 1.71 • Denmark 12DKK • France € 2.50 • Germany € 2.50 • Greece € 2 • Italy € 2 • Netherlands € 2.50 • Spain € 2.20 • Sweden SK 17 • Malta € 1.89 • Switzerland 3.50 SF • Turkey 1.60 YTL • UK £1 • USA $ 3.00 (New York $2.50) • Can $2.50

تقارير اخبارية

السودان يصعد رفضه لمؤتمر برلين بمذكرة رسمية... وانقسام داخلي حول جدوى المبادرة الدولية

بين رفض الحكومة وتحفظات بعض الفاعلين، مقابل دعم قوى مدنية للمبادرة الدولية، يبدو أن مؤتمر برلين ينعقد في ظل انقسام سوداني واضح حول أولويات المرحلة.

الخرطوم ـ «القدس العربي»: ميعاد مبارك

في تصعيد دبلوماسي جديد، سلمت الحكومة السودانية مذكرة رسمية إلى الحكومة الألمانية تعلن فيها رفضها القاطع لعقد مؤتمر برلين حول السودان بدون مشاركتها، في وقت تتواصل فيه التحضيرات الدولية والإقليمية للمؤتمر المرتقب، وسط انقسام داخلي بين مؤيديه باعتباره منصة إنسانية ضرورية، ومعارضيه الذين يرونه تجاوزاً للسيادة الوطنية.

ويأتي ذلك بالتزامن مع تحركات موازية لقوى مدنية معارضة لعقد اجتماع تحضيري في أديس أبابا، ما يعكس تعدد المسارات المطروحة للتعامل مع الأزمة السودانية المستمرة منذ ثلاث سنوات.

وفي هذا السياق، سلمت سفيرة جمهورية السودان لدى برلين، إلهام إبراهيم محمد أحمد، مذكرة رسمية إلى وزارة الخارجية الألمانية، نقلت خلالها موقف الحكومة الرافض لعقد مؤتمر برلين من دون التشاور معها أو إشراكها في ترتيباته.

وجاء تسليم المذكرة خلال لقاء جمعها بمديرة إدارة أفريقيا جنوب الصحراء ومنطقة الساحل السفيرة جيسا براوتيغام. وأكدت السفيرة أن أي تداول بشأن السودان من دون إشراك حكومته يمثل انتهاكاً صريحاً للقانون الدولي وميثاق الأمم المتحدة، وتجاوزاً لسيادة الدول والأعراف الدبلوماسية الراسخة.

وشددت على رفض استبعاد الحكومة السودانية، معتبرة أن أي محاولة للمساواة بينها وبين «ميليشيا إرهابية» في إشارة لقوات الدعم السريع، من شأنها تقويض الدولة الوطنية وتشجيع قيام كيانات موازية، بما يفرغ أي مداولات من مضمونها العملي ويضعف فرص التوصل إلى سلام مستدام أو استقرار سياسي.

كما أعربت عن قلق السودان من دعوة دول متهمة بالتورط المباشر أو غير المباشر في النزاع، مشيرة إلى أن ذلك يقدح في مصداقية المؤتمر ويعزز التدخلات الخارجية التي تسهم في إطالة أمد الحرب وتقويض الأمن والاستقرار في البلاد والمنطقة.

وجددت السفيرة التأكيد على التزام السودان بالحل السلمي العادل والمستدام، وفق خريطة الطريق التي قدمها رئيس مجلس السيادة الانتقالي في آذار/مارس 2025، ومبادرة السلام التي طرحها رئيس الوزراء كامل إدريس أمام مجلس الأمن في كانون الأول/ديسمبر من العام نفسه، باعتبارهما إطارين عمليين لتحقيق السلام. وأكدت استعداد الحكومة للتفاعل الإيجابي مع أي مبادرة جادة تحترم سيادة السودان ووحدته وسلامة أراضيه.

وأكدت على أن ما وصفته بـ«منهج الوصاية» الذي يعكسه مؤتمر برلين قد يدفع السودان إلى إعادة النظر في علاقاته مع الدول المنظمة والراعية، وفق مبدأ المعاملة بالمثل.

ومن المقرر أن تستضيف برلين المؤتمر في 15 نيسان/أبريل، بالتزامن مع الذكرى الثالثة لاندلاع الحرب بين القوات المسلحة السودانية وقوات الدعم السريع، وهي الحرب التي خلفت أوضاعاً إنسانية كارثية، مع سقوط أعداد كبيرة من الضحايا ونزوح الملايين داخل البلاد وخارجها، إضافة إلى تدهور حاد في الخدمات الأساسية.

ويهدف المؤتمر، وفق الجهات المنظمة، إلى حشد الدعم الدولي للاستجابة الإنسانية في السودان، وإعادة تنشيط الجهود الرامية إلى تحقيق انتقال مدني للحكم. غير أن استبعاد السلطات القائمة فعلياً في البلاد يثير تساؤلات حول فعالية مخرجاته وإمكانية ترجمتها على أرض الواقع.

في المقابل، أكد نائب رئيس مجلس السيادة السوداني مالك عقار رفض الحكومة للمؤتمر، معتبراً أنه لا يمثل تطلعات السودانيين ولا يعكس إرادتهم، ومشدداً على أن حل الأزمة يجب أن يكون «سودانياً خالصاً» ونابعاً من الداخل، محذراً من التدخلات الخارجية التي قد تعرقل العمل الإنساني.

غير أن هذا الموقف قوبل بانتقادات من قوى مدنية، حيث رأى القيادي في تحالف «صمود» ورئيس حزب المؤتمر السوداني عمر الدقير أن وصف المؤتمر بأنه يتعارض مع رغبة السودانيين ينطوي على قدر من الالتباس، موضحاً أن المؤتمر في جوهره منصة إنسانية تهدف إلى حشد الدعم لمواجهة الكارثة التي يعيشها السودانيون، وليس لفرض حلول سياسية.

وأشار إلى أن السعي لتوفير الغذاء والدواء والخدمات الأساسية لا يمكن اعتباره عملاً مناقضاً لإرادة الشعب، لافتاً إلى أن محدودية أثر مؤتمري باريس 2024 ولندن 2025 لا تعني التقليل من أهمية إبقاء الأزمة الإنسانية في السودان ضمن أولويات المجتمع الدولي، خاصة في ظل استمرار القتال وغياب وقف إطلاق النار.

وأضاف الدقير أن الاجتماعات الجانبية، التي دُعي إليها عدد من الفاعلين المدنيين، تمثل فرصة ـ وإن كانت غير مكتملة ـ للحوار والتوافق على مبادئ عامة، من بينها الحل السياسي السلمي، والدعوة لحماية المدنيين والمرافق الحيوية، ومناشدة الأطراف المتحاربة القبول بهدنة إنسانية، إلى جانب حث المجتمع الدولي على تقديم دعم فعلي يتجاوز التعهدات.

وأكد أن الدعوة إلى حلول نابعة من الداخل تظل طرحاً صحيحاً، لكنها تتطلب تهيئة بيئة مناسبة، تشمل وقف إطلاق النار وتبادل الأسرى والإفراج عن المعتقلين المدنيين، مشيراً إلى أن الاكتفاء بالشعارات بدون اتخاذ خطوات عملية يضعف هذا الطرح.

كما شدد على أن رفض التدخلات الخارجية «غير الحميدة» لا يعني رفض الدور الدولي في دعم جهود السلام أو تسهيل عملية سياسية يقودها السودانيون، مذكراً بأن تجارب سابقة شهدت قبول وساطات خارجية لتسوية النزاعات الداخلية.

وكان رئيس الوزراء كامل إدريس قد حذر بدوره من تجاهل حكومته، مؤكدا أن غيابها عن المؤتمر سيقود إلى «فشل تام»، مشدداً على أن أي عملية سياسية مستدامة لا يمكن أن تتم بدون مشاركة رسمية من الدولة.

في موازاة ذلك، تتجه قوى مدنية معارضة إلى تنشيط مسار موازٍ، حيث يستعد تحالف «صمود» بقيادة عبد الله حمدوك للمشاركة في اجتماع تحضيري بالعاصمة الإثيوبية أديس أبابا، يهدف إلى مناقشة وقف الحرب وإقرار هدنة إنسانية وصياغة رؤية مدنية مشتركة، تمهيدا لطرحها خلال مؤتمر برلين.

ومن المتوقع أن يركز الاجتماع على قضايا أساسية، تشمل وقف القتال، وإطلاق عملية سياسية بقيادة مدنية، وصياغة بيان مشترك باسم القوى المدنية السودانية لعرضه على المجتمع الدولي.

وفي السياق ذاته، أعلن حاكم إقليم دارفور وقائد حركة جيش تحرير السودان منى أركو مناوي إرسال موفد معني بالشؤون الإنسانية للمشاركة في المؤتمر بصفة مراقب، بهدف متابعة مجريات النقاش عن قرب.

غير أنه أبدى تحفظات على طبيعة الدعوات الموجهة، مشيرا إلى أنها لا تنسجم مع الأجندة المطروحة ولا مع طبيعة الشخصيات المدعوة، معتبرا أن ذلك يعكس توجها مقلقا نحو مناقشة قضايا مصيرية في غياب الأطراف الحقيقية المعنية بالأزمة، الأمر الذي قد يضعف فرص التوصل إلى حلول واقعية ومستدامة.

وتؤكد ألمانيا، من جانبها، أن المؤتمر يأتي في إطار جهود دولية أوسع لدعم السلام وتقديم المساعدات الإنسانية للسودان، في ظل استمرار الحرب التي تكمل منتصف الشهر الجاري عامها الثالث، وما نتج عنها من خسائر بشرية كبيرة ونزوح ملايين الأشخاص وتدهور الأوضاع المعيشية، خاصة في مجالات الغذاء والصحة والتعليم.

ويهدف المؤتمر إلى دعم المبادرات الإقليمية والدولية، وضمان تمويل الاستجابة الإنسانية، وتسهيل وصول المساعدات إلى المتضررين، في وقت تتزايد فيه التحذيرات من تفاقم الأزمة إذا لم يتم اتخاذ خطوات عاجلة لوقف القتال.

وبين رفض الحكومة وتحفظات بعض الفاعلين، مقابل دعم قوى مدنية للمبادرة الدولية، يبدو أن مؤتمر برلين ينعقد في ظل انقسام سوداني واضح حول أولويات المرحلة، ما يطرح تساؤلات جدية بشأن قدرته على تحقيق اختراق حقيقي في مسار الأزمة الراهنة في البلاد.

بين آخر دفعات الإفراج وتعقيدات الدمج... هل ينتهي ملف المعتقلين بين دمشق و«قسد»؟

من المتوقع أن تفرج «قسد» عن نحو مئة معتقل من سجونها، بينهم سجناء سياسيون ومحسوبون على الثورة، بعضهم عُرف بنشاطه المدني والسياسي المعارض لـ«قسد».

منهل باريش

باشرت السلطات السورية الإفراج عن بقية المعتقلين لديها من المنتسبين سابقاً إلى «قوات سوريا الديمقراطية» (قسد)، وعددهم 397 موقوفاً، في خطوة قالت مديرية إعلام الحسكة إنها تندرج ضمن تنفيذ اتفاق 29 كانون الثاني/يناير. ونقلت المديرية عن أحمد الهلالي، الناطق باسم الفريق الرئاسي المكلف بمتابعة اتفاق اندماج «قسد» في مؤسسات الدولة، أن العملية تجري بإشراف الفريق الرئاسي وبالتنسيق مع جهاز الاستخبارات العامة وقيادة الأمن الداخلي وإدارة السجون، مشيراً إلى أنه لم يكن هناك في الأيام الماضية أي جدول زمني معلن لعمليات الإفراج، خلافاً لما روّجت له صفحات غير رسمية.

وأضاف أن «قسد» ستفرج، بالمقابل، عن الدفعة الأخيرة من المعتقلين لديها على خلفيات مرتبطة بالثورة السورية، على أن تبدأ لاحقاً تسليم مراكز الاحتجاز والسجون التابعة لها، والتي تضم مئات الموقوفين في ملفات مختلفة إلى الجهات الحكومية المختصة وفق الآليات المتفق عليها. وفي السياق نفسه، قال الهلالي إن عدداً من الجثامين التي عُثر عليها في منطقة دير حافر جرى توثيقها وتسليمها إلى ذويها عبر وزارة الطوارئ والكوارث، فيما تتابع الجهات الحكومية المختصة ملف المعتقلين السوريين المرحّلين إلى العراق بالتنسيق مع قوات التحالف الدولي والجانب العراقي، بما يضمن معالجة أوضاعهم ضمن الأطر القانونية والإنسانية.

وعلمت «القدس العربي» أنه من المتوقع أن تفرج «قسد» عن نحو مئة معتقل من سجونها، بينهم سجناء سياسيون ومحسوبون على الثورة، بعضهم عُرف بنشاطه المدني والسياسي المعارض لـ«قسد»، أو بسبب انتماء أفراد من عائلاتهم سابقاً إلى صفوف الجيش الوطني أو فصائل المعارضة في إدلب.

وقال نوار الرهاوي، مدير مديرية الإعلام في الحسكة، إن الحكومة لم تتسلم بعد قائمة نهائية بأسماء المتوقع الإفراج عنهم، مؤكداً، في اتصال مع «القدس العربي»، أن وزارة الداخلية ستتسلم بقية السجون التي ما تزال «قسد» تسيطر عليها خلال الأيام المقبلة.

وفي موازاة ذلك، كانت «قسد» تسيطر في وقت سابق على نحو 20 سجناً ومركز احتجاز في الحسكة والقامشلي ومناطق أخرى في ريف المحافظة، بينها سجون المدينة الرياضية، والأمن القومي في الكلاسة، ومشيرفة، والأمن العام عند دوار سينالكو، واليعربية، والمالكية، والدرباسية، وعامودا، وجركين القديم والجديد، وعلايا، ومحكمة نافكر، و«السجن الأسود» في القامشلي وديريك، فضلاً عن سجن غويران، وسجن استخبارات مشيرفة، وسجن الأحداث في قرية سبع سكور، وسجن الصناعة في غويران. لكن هذا العدد تقلص بصورة كبيرة بعدما انحسر نفوذها عقب الهجوم العسكري الذي شنته القوات الحكومية ضدها في الرقة ودير الزور والحسكة خلال كانون الأول/ديسمبر الماضي. وحسب المعطيات المتوافرة، لم يتبقَّ اليوم تحت سيطرة «قسد» سوى أربعة سجون هي: علايا، وغويران، والمالكية، وجركين.

اتفاق لا يطوي قضية المعتقلين والمختفين

وفي سياق موازٍ، أثار الاقتراب من الإفراج عن آخر دفعة من المعتقلين لدى «قسد» غضباً متزايداً بين مئات الأسر من أهالي المعتقلين في سجون خاصة بعناصر تنظيم «الدولة الإسلامية»، والذين نقلتهم قوات التحالف الدولي مطلع العام إلى العراق من دون التدقيق في ملفاتهم أو إعادة التحقيق معهم من قبل السلطات السورية. وإضافة إلى هؤلاء، هناك مئات المغيبين والمختفين الذين تتكشف جثث بعضهم في مقابر جماعية خلال الأيام الماضية في مناطق متفرقة، بعضها قريب من حواجز عسكرية وأمنية سابقة، ويتهم الأهالي «قسد» بالمسؤولية عن مقتلهم.

من جهته، قال الباحث سامر الأحمد، المتخصص بديناميات الصراع في المنطقة الشرقية، إن ملف المعتقلين لا يزال مفتوحاً على احتمالات كثيرة، رغم عمليتي التبادل اللتين جرتا سابقاً، والعملية التي تجري حالياً. وأضاف أن الحديث الحكومي عن أن هذه هي «الدفعة الأخيرة» لا ينسجم، برأيه، مع وجود آلاف المعتقلين الذين ما تزال ملفاتهم عالقة، ما يستدعي مزيداً من الضغط الشعبي والحقوقي لدفع الحكومة إلى استلام ما تبقى من السجون ومراكز الاحتجاز، وتدقيق أسماء المعتقلين والتهم الموجهة إليهم. وأشار إلى أن كثيراً من السجناء الذين نُقلوا إلى العراق هم في الأصل مدنيون، ولا صلة لهم بتنظيم «الدولة»، الأمر الذي يضيف تعقيدات قانونية وإنسانية إلى هذا الملف.

وأضاف الأحمد، في حديث لـ«القدس العربي»، أن ملفاً لا يقل حساسية يتمثل في ملف المهجرين، الذي بدأ يتحرك تدريجياً من خلال عودة مهجري عفرين، كما جرت إعادة مهجري قرية الشيوخ في ريف حلب الشرقي. لكنه لفت إلى أن آلاف المهجرين من الحسكة والقامشلي ما يزالون ينتظرون آلية واضحة تضمن عودتهم، وسط تساؤلات عن الضمانات الأمنية والإدارية المطلوبة، ولا سيما في ظل استمرار سيطرة «قسد» على مواقع رئيسية.

وتابع أن الدمج الأمني ما يزال يواجه عقبات واضحة، في ظل وجود عدد كبير من الحواجز التي لا تشارك فيها الحكومة، مقابل استمرار نفوذ «الشبيبة الثورية» المرتبطة بحزب العمال الكردستاني.

وفي هذا السياق، كانت «الشبيبة الثورية» (جوانن شورشكر) قد أقدمت على إنزال العلم السوري الرسمي من فوق بعض المقار والنقاط في منطقة كوباني/عين العرب، ما تسبب بتوتر كبير في مناطق شمال شرقي سوريا وعفرين، ودفع السلطات إلى فرض حظر تجوال جزئي في بعض أحياء القامشلي والحسكة لتفادي اصطدامات بين القوى الأمنية التابعة للإدارة الذاتية والقوات الحكومية السورية. ويعكس هذا الواقع فجوة بين التفاهمات المعلنة والتنفيذ الفعلي على الأرض.

ويبرز التعثر أيضاً في ملف دمج المؤسسات، إذ ما يزال هذا المسار متأخراً نسبياً، بعدما اتّخذت الشدادي مركزاً مؤقتاً للمحافظة من قبل الحكومة، في حين لا تزال الإدارة الذاتية تحتفظ بسيطرتها على مركز مدينة الحسكة، بما يعكس استمرار الازدواجية الإدارية والخدمية.

وفي سياق متصل، بدأت عملية تقديم طلبات الحصول على الجنسية من مكتومي القيد من الأكراد السوريين، في خطوة تفتح واحداً من أكثر الملفات حساسية في شمال شرقي سوريا، والمرتبط بالهوية والحقوق المدنية.

وفي موازاة ذلك، يسير الدمج العسكري بوتيرة متسارعة، غير أن وزارة الدفاع السورية رفضت ضم عناصر وحدات حماية المرأة إلى صفوفها، في حين أُحيل الملف إلى البحث في إمكانية نقل هؤلاء إلى ملاك وزارة الداخلية، من دون تسجيل أي تقدم فعلي حتى الآن.

ترميم حقول النفط والغاز

وفي موازاة التطورات الأمنية والإدارية، شهد قطاع النفط والغاز في المناطق الشرقية خلال الأسبوع سلسلة خطوات ميدانية وتنفيذية، في سياق الجهود الحكومية لإعادة تشغيل القطاع بعد استلام كامل حقول النفط والغاز، شملت أعمال تأهيل للبنى التحتية ورفعا للإنتاج وتوسيعاً لمجالات التعاون مع شركات أجنبية، حسب رصد «القدس العربي». ففي دير الزور، باشرت كوادر الشركة السورية للبترول، بالتعاون مع فرق التطهير الهندسي، إزالة الألغام ومخلفات الحرب من محيط خط «كونوكو»، تمهيداً لإعادة تركيبه واستكمال الجزء المفقود منه بطول خمسة كيلومترات، في خطوة تستهدف إعادة الخط إلى الخدمة وتعزيز جاهزية منظومة النقل والإنتاج.

وفي موازاة ذلك، سجلت حقول شركة دجلة تحسناً ملحوظاً في الإنتاج بعد نجاح الكوادر الفنية في الحد من الهدر ومعالجة مشكلات تشغيلية، ما أدى إلى زيادة تقارب 30 في المئة، مع توقعات بارتفاعها إلى نحو 50 في المئة خلال المرحلة المقبلة. وتزامن ذلك مع إبداء شركة «غلف ساندز بتروليوم» البريطانية رغبتها في استئناف أعمالها في سوريا، عقب زيارة ميدانية أجراها وفد منها إلى الحقول للاطلاع على المواقع التشغيلية وبحث فرص التعاون مع الشركة السورية للبترول.

وفي تطور آخر، أعلنت الشركة تحويل مذكرة التفاهم الموقعة سابقاً مع شركة «أديس» السعودية إلى عقد تنفيذي لتطوير عدد من حقول الغاز في سوريا. ويتضمن العقد صيانة الآبار الحالية وحفر آبار استكشافية جديدة، مع توقعات بزيادة تدريجية في إنتاج الغاز تصل إلى 25 في المئة خلال الأشهر الستة الأولى، على أن ترتفع إلى نحو 50 في المئة بنهاية العام الأول.

كما تواصل الشركة أعمال إعادة تأهيل أحد آبار حقل العزبة في دير الزور لاستخدامه في مشروع حقن المياه المرافقة للنفط القادمة من حقل التيم، بهدف الحد من التلوث البيئي والحفاظ على الضغط الطبقي للمكمن وتحسين كفاءة الإنتاج. كذلك أنجزت كوادر الشركة أعمال إصلاح خط الغاز بين مركدة ومعمل غاز الجبسة، وأعادته إلى الخدمة بعد استبدال وصلات متآكلة بقطر 10 إنش في منطقة وادي الفدغمي، في خطوة قالت إنها تدعم استقرار منظومة الغاز واستمرارية التدفق.

أزمة انسانية بسبب الأمطار والسيول

وعلى الصعيد الإنساني، قال مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية، في بيان له، الخميس، إن الفيضانات الموسمية الشديدة التي ضربت الحسكة والرقة ودير الزور خلال آذار/مارس تسببت في نزوح نحو 6 آلاف شخص، ووقوع ما لا يقل عن خمس وفيات، وإلحاق الضرر أو التدمير بنحو 2400 منزل، فضلاً عن غمر ما يقدَّر بنحو 1500 هكتار من الأراضي الزراعية. كما أدت مياه الفيضانات إلى نقل الذخائر غير المنفجرة إلى المناطق الزراعية والسكنية، ما زاد من تعقيد الوصول إلى الأراضي الزراعية والمراعي مع بداية الموسم الزراعي.

وفي السياق نفسه، قال الهلال الأحمر العربي السوري إنه وزع مواد إغاثية على 170 عائلة في منطقة المالكية، أقصى شمال شرقي سوريا، ضمن الاستجابة الطارئة لاحتياجات الأسر المتضررة جراء السيول والأحوال الجوية القاسية المستمرة منذ 17 آذار/مارس. وأوضح أن المساعدات شملت سلالاً غذائية وصحية، إضافة إلى فرش وبطانيات وحصر وسجاد ومصابيح، وذلك بدعم من الاتحاد الدولي لجمعيات الصليب الأحمر والهلال الأحمر، واللجنة الدولية للصليب الأحمر، والصليب الأحمر البريطاني، وبرنامج الأغذية العالمي، وبالتنسيق مع محافظة الحسكة.

وتسببت فيضانات نهر الخابور وارتفاع منسوب سد الحسكة الجنوبي بأضرار واسعة في الأراضي الزراعية بمنطقة قانا جنوب الحسكة. وقال رئيس قسم العمليات الميدانية في وزارة الطوارئ وإدارة الكوارث، يوسف عزو، في تصريحات لمديرية إعلام الحسكة، إن الفرق تعمل على رفع السوائر الترابية وفتح ممرات مائية لتصريف المياه، إلى جانب إجلاء المدنيين من القرى الأكثر تضرراً. وأضاف أن غياب مراكز الإيواء في المنطقة شكّل تحدياً إضافياً أمام جهود الإغاثة، مشيراً إلى أن فرق الدفاع المدني تعمل على تأمين المستلزمات الأساسية من فرش وأغطية ومياه وأغذية وأدوية للمتضررين.

وشهدت محافظة الحسكة خلال الأسبوعين الماضيين فيضانات وسيولاً غير مسبوقة جرفت مياهها أكثر من 400 منزل في منطقة تل حميس والمناطق المجاورة.

تهديدات ترامب بالانسحاب من الحلف الأطلسي ستسرع بجيش أوروبي وانقسام الغرب

تهديد ترامب بالانسحاب من الناتو، سيقود حتما إلى كتلتين عسكريتين، أوروبية وأخرى أمريكية، وبما أن التحالفات العسكرية تقود تحالفات سياسية بعيدة المدى، سيصبح الغرب كتلتين، أوروبية وأخرى أمريكية.

لندن ـ «القدس العربي»: حسين مجدوبي

يهدد الرئيس الأمريكي دونالد ترامب بانسحاب الولايات المتحدة من منظمة شمال الحلف الأطلسي «الناتو» التي وصفها بنمر من ورق، لرفض الأعضاء الأوروبيين الانخراط في الحرب الأمريكية–الإسرائيلية ضد إيران.

ورغم صعوبة القرار، تبقى التساؤلات مطروحة حول الوضع الذي سيصبح عليه هذا التجمع العسكري في حالة تنفيذ واشنطن للتهديد، ثم هل سيكون مقدمة لجيش غربي نواته أوروبا بدل البنتاغون؟

وخلال ولايته الأولى ما بين 2017 إلى 2021، مارس الرئيس الأمريكي ترامب ضغوطا كبيرة على الدول الأوروبية لكي ترفع من ميزانية الدفاع والبحث العلمي العسكري إلى 5 في المئة من الناتج القومي الخام. ولم ينجح وقتها، إلا أن عودته في ولاية ثانية متقطعة ابتداء من 2025، جعلته يحول المطالب والضغط إلى تهديد مباشر، وما لبث أن تحول إلى تهديد بالانسحاب من الحلف بعدما رفض الأعضاء المشاركة في فتح مضيق هرمز الذي أغلقته طهران بسبب الحرب الأمريكية–الإسرائيلية ضدها. ويبقى التلويح بالتهديد أكبر أزمة يتعرض لها حلف الناتو منذ تأسيسه سنة 1949 حتى السنة الجارية.

وتعد عملية الانسحاب من الحلف الأطلسي صعبة للغاية، وفق الكثير من الآراء التي نشرتها جرائد كبرى مثل «ذي غارديان» و«الباييس» و«لوموند» و«أكسيوس». وهو موقف غريب من أكبر عضو في هذا التجمع وذلك بحكم أن واشنطن كانت هي المبادرة بتأسيسه في مواجهة الخطر العسكري السوفييتي بعد الحرب العالمية الثانية. سبب آخر، يحتاج قرار الانسحاب إلى التصويت عليه في الكونغرس والحصول على الثلثين. وتبقى الطريقة الوحيدة هي التجميد التقني لعضوية الولايات المتحدة من خلال قرار البنتاغون وقف المناورات العسكرية المشتركة مع الأوروبيين، من جهة، والمشاركة في وضع خطط الدفاع المشتركة والتحرك المشترك إبان الأزمات، وهذا سيقود إلى انتفاء البند الخامس الذي ينص على الدفاع المشترك، كما يعني بداية نهاية الغرب كتكتل موحد وانيثاق غرب أوروبي وغرب أمريكي. وكتبت الجريدة الرقمية الأمريكية «أكسيوس» الجمعة من الأسبوع الجاري بأن ترامب لا يمكنه الانسحاب ولكن يمكن أن يسبب في مشاكل كثيرة للحلف الأطلسي.

ولفهم حجم تأثير استمرار الحلف الأطلسي بدون الولايات المتحدة التي ستنسحب وفق تهديدات ترامب، من المهم معرفة كيفية عمل الحلف العسكري. فالناتو لا يملك قوات مسلّحة خاصة به كما هو الحال في الدول. إذ يعلن الحلف صراحةً أنه «لا يمتلك قوات عسكرية خاصة»، بل يعتمد على الدول الأعضاء لتوفير الجنود والموظفين والمعدات والموارد اللازمة لتنفيذ عملياته ومهامه في مجال الردع. ويمتلك الحلف الأطلسي كتكتل عسكري بعض طائرات الأواكس للمراقبة وسفنا وطائرات صهريج.

وحسب قوانين الحلف الأطلسي، فإن الحلف يقوم بتنظيم وإدارة وتفعيل وقيادة القوات الوطنية والمتعددة الجنسيات التي تضعها الدول الأعضاء تحت تصرفه، سواء بشكل دائم أو مؤقت. ويعني ذلك أن قوة الحلف لا تكمن فقط في عدد الموارد الوطنية المتاحة، بل أيضًا في مستوى التخطيط والتحضير والعلاقات القيادية وقابلية التشغيل البيني بين القوات المشاركة. يبقى السؤال الشائك: إذا نفّذ دونالد ترامب تهديده، فكيف سيبدو حلف شمال الأطلسي عسكريًا؟ فالحلف في جوهره ليس مجرد إطار للتنسيق الدبلوماسي أو السياسي، بل هو تكتل يقوم أساسًا على تقاسم الأعباء والقدرات العسكرية المشتركة.

أولا، فيما يتعلق بالبريانة، تظل الولايات المتحدة أكبر مساهم عسكري داخل الحلف، سواء من حيث حجم الإنفاق أو القدرات. ووفقًا للتقرير السنوي الصادر عن الناتو، ساهمت الولايات المتحدة سنة 2025 بنحو 60 في المئة من إجمالي الإنفاق الدفاعي المشترك لدول الحلف، في حين توزّعت النسبة المتبقية، أي 40 في المئة، على أوروبا وكندا وتركيا. وظاهريا، يبدو أن هذا سيخلق مشاكل مالية كثيرة للحلف الأطلسي، إلا أن معطيات الواقع قد تقدم صورة أخرى، وهي أن انسحاب الولايات المتحدة سيعني تراجع المصاريف المالية التي كانت تستهلكها واشنطن كعضو في التكتل العسكري. وتبلغ ميزانية الحلف الأطلسي، أقل من أربعة مليار دولار، وهي ميزانية محدودة.

ثانيا، فيما يتعلق بما هو عسكري وهو الأهم، عمليا من الناحية العسكرية الصرفة، سيظل الناتو، حتى من دون أمريكا، قوة كبيرة من حيث العدد. علاقة بعدد الجنود للدول الأعضاء، فهو يصل إلى قرابة مليون و900 ألف جندي، وتتوفر الدول الأعضاء على أكثر من 2400 طائرة مقاتلة مثل رافال الفرنسية ويوروفايتر اليورو وغربين السويدية وإف 18 وإف 35 الأمريكية، ومئات السفن الحربية ومنها حاملات طائرات التي لدى إيطاليا وفرنسا وبريطانيا وحاملات الغواصات ومنها النووية، ثم آلاف المدرعات والدبابات، والأساسي أن الحلف الأطلسي بدون الولايات المتحدة سيستمر قوة نووية بفضل السلاح النووي لكل من فرنسا وبريطانيا. وتبقى نقطة ضعف الحلف الأطلسي إذا انسحبت الولايات المتحدة في الأقمار الاصطناعية الكافية من أجل الاستطلاع ثم سرعة الانتشار بحكم أن البحرية الأمريكية منتشرة حول الكرة الأرضية بفضل أساطيلها الستة. نعم ستصبح أوروبا دفاعية أكثر منها هجومية بسبب غياب الدعم الذي كانت توفره القاذفات الأمريكية مثل بي 52 ومقاتلات من طراز ف 22 كأسلحة للمدى البعيد.

سيحمل التهديد الأمريكي بالانسحاب من الحلف الأطلسي تحديات ستدفع أوروبا إلى الإسراع بتأسيس الجيش الأوروبي ومشاركة دول أخرى مثل تركيا وكندا وربما دول مثل المغرب، وذلك على أنقاض الحلف الأطلسي. وبادر رئيس الحكومة الإسبانية بيدرو سانشيز إلى التأكيد على هذا التوجه، حيث صرح الجمعة من الأسبوع الجاري أن على أوروبا أن تتحرك وتخطو خطوة إلى الأمام في إنشاء جيش أوروبي.

ولهذا السبب، أكد أن إسبانيا «مستعدة» للقيام بذلك «ليس بعد عشر سنوات، ولا بعد سنتين، بل الآن، غدًا بالذات». وتابع «من يعتقد أن هذا القرار اختياري فهو مخطئ، القوى المتوسطة التي تتألف منها الاتحاد الأوروبي في عالم اليوم ليست لديها سوى طريقة واحدة لإثبات وجودها من وجهة نظر الأمن والدفاع، وهي بناء دفاع مشترك».

وهكذا، تجمع الكثير من التقارير لمراكز التفكير الاستراتيجي في أوروبا والمهتمين بالدراسات الجيوسياسية أن حديث الدول الأوروبية عن الاستقلالية الاستراتيجية قد بدأ يرى النور خلال الشهور الأخيرة على ضوء تطورات حرب أوكرانيا وتراجع الثقة في واشنطن بسبب ترامب. وإن كان الاتحاد الأوروبي لا يبرز بشكل واضح خطة تحمل رسميا اسم «جيش الاتحاد الأوروبي»، لكنه بدأ يضع الأسس الحقيقية لدفاع أكثر تنسيقا وفعالية وأقل اعتمادا على واشنطن. وعلاوة على هذا، دخل في تشجيع الصناعة العسكرية الحربية للتقليل من الاعتماد على السلاح الأمريكي، وإن كان ما زال مهما بسبب أنظمة الدفاع الجوي مثل باتريوت ومقاتلات إف 35. ومن أبرز الخطوات السياسية، كان التفكير الأوروبي الموحد في جميع العواصم الكبرى مثل مدريد وروما ولندن وباريس وبرلين بأنه لا للمشاركة في حرب غير قانونية «الأمريكية–الإسرائيلية ضد إيران» لأنها ضد المصالح الأمنية لأوروبا.

إن تهديد ترامب بالانسحاب من الحلف الأطلسي، سيقود حتما إلى كتلتين عسكريتين، أوروبية وأخرى أمريكية، وبما أن التحالفات العسكرية تقود تحالفات سياسية بعيدة المدى، سيصبح الغرب كتلتين، كتلة أوروبية وأخرى أمريكية.

اليمن: لماذا طالت المفاوضات بشأن التبادل الثالث للأسرى؟

ما زال الاستغلال السياسي قائمًا لملف المحتجزين على خلفية النزاع، باعتباره ورقة مساومة وضغط لانتزاع مكاسب، بينما هو ملف إنساني خالص.

صنعاء – «القدس العربي»: أحمد الأغبري

كان من المقرر أن تنتهي جولة المفاوضات بشأن ملف المحتجزين الجارية حاليًا في العاصمة الأردنية في 19 شباط/فبراير، إلا أن هذه الجولة، التي انطلقت في الخامس منه، لم يصدر عنها خلال المدة التي تجاوزت الشهرين، أي إعلان يوضح ما يجري. وهذه الجولة لعلها باتت أطول جولات التفاوض زمنًا في هذا الملف الإنساني المعقد، منذ توقيع اتفاق ستوكهولم عام 2018.

خلال بيان اختتام زيارته لعدن، الخميس، قال المبعوث الأممي الخاص لليمن، هانس غروندبرغ، إنه استعرض مع المسؤولين في عدن، «آخر مستجدات المفاوضات الجارية بشأن المحتجزين على خلفية النزاع».

تناقش المفاوضات الجارية إمكانات تنفيذ ما انتهت إليه جولة «مسقط 2»، التي انعقدت خلال الفترة 9–23 كانون الأول/ديسمبر الماضي برئاسة مشتركة من المبعوث الأممي الخاص لليمن، واللجنة الدولية للصليب الأحمر، وأفضت إلى اتفاق ينص على الإفراج عن 1700 أسير للحوثيين و1200 أسير للحكومة، بمن فيهم السياسي محمد قحطان المعتقل لدى الحوثيين منذ عام 2015.

وهي الصفقة التي يأمل المتابعون التوصل إلى آلية مزمّنة لتنفيذها خلال هذه المفاوضات؛ لتشهد البلاد تنفيذ صفقة تبادل ثالثة بين طرفي الصراع للأسرى والمحتجزين والمختطفين بما في ذلك جثامين، وفي حال تنفيذها ستكون أكبر صفقة تبادل ينفذها الطرفان.

وتستهدف محادثات الجولة الراهنة من جولات التفاوض للجنة الإشرافية على ملف المحتجزين، وهي الجولة الحادية عشرة في هذا الملف، الاتفاق على كشوفات الأسماء، بالإضافة إلى ما يتعلق بتزمين تنفيذ الصفقة؛ لكن بقى الأهم في المحادثات هو الاتفاق على كشوفات الأسماء، في ظل ما تمثله من إشكالية مصدرها عدم اعتراف طرف ما بأسماء ما، وإنكار وجودها في سجونه، وإدراج أحد الطرفين لأسماء يرفض الطرف الآخر التعامل معها كأسرى ومحتجزين أو مختطفين على ذمة الأحداث، علاوة على تعدد سلطات أحد الأطراف، وبالتالي تعدد السجون، والأهم هو عدم التوصل إلى كشوفات دقيقة متفق عليها للأسرى والمحتجزين والمختطفين من قبل الطرفين؛ بما فيها تحديد هُوياتهم وأماكن احتجازهم؛ فهذه المعلومات غير متوفرة كقاعدة معلوماتية لكل جولات التفاوض، وهو ما يفترض أنه قد تم حسمه.

من جانب آخر، ما زال الاستغلال السياسي قائمًا لهذا الملف، باعتباره ورقة مساومة وضغط لانتزاع مكاسب، بينما هو ملف إنساني خالص.

وكانت كشوفات الأسماء هي أبرز العوامل التي أعاقت تنفيذ اتفاق ستوكهولم الموقع بها دوليًا وحركة الحكومة اليمنيّة المعترف بها دوليًا وحركة «أنصار الله» (الحوثيون).

الكل مقابل الكل

وكانت مفاوضات السويد قد انتهت في 13 كانون الأول/ديسمبر 2018 باتفاق شمل: اتفاق وقف إطلاق نار في مدينة الحديدة وموانئ الحديدة، إعلان تفاهم حول مدينة تعز، وآلية تبادل الأسرى والمحتجزين. وبموجبه «اتفق التحالف العربي والحكومة اليمنيّة من جهة وحركة أنصار الله الحوثيين من جهة أخرى على إجراء عمليات لتبادل جميع الأسرى والمعتقلين والمفقودين والمحتجزين تعسفيًا والمخفيين قسريًا والموضوعين تحت الإقامة الجبرية، واعتبار ملف الأسرى إنسانيًا لا يخضع للحسابات السياسية»، واشتمل الاتفاق على آلية التنفيذ.

إلا أنه حتى اليوم تعثر تنفيذ ذلك الاتفاق، الذي قضى على «إطلاق سراح جميع الأسرى والمعتقلين والمفقودين والمحتجزين تعسفيًا والمخفيين قسريًا والموضوعين تحت الإقامة الجبرية على ذمة الأحداث لدى جميع الأطراف بدون أي استثناءات أو شروط، وذلك بهدف حل القضية بشكل كامل ونهائي» بمعنى (الكل مقابل الكل).

كذلك اشتمل الاتفاق: «لا يحق لأي طرف الامتناع عن تسليم أي شخص تم أسره أو اعتقاله أو احتجازه أو القبض عليه على ذمة الأحداث لأي سبب، وتلتزم جميع الأطراف بذلك». وتم توقيع آلية تنفيذية للاتفاق تتكون من عشرة بنود، بما فيها «يجري تنفيذ ما اتفق عليه بعد التوقيع على الكشوفات النهائية خلال مدة لا تزيد عن عشرة أيام».

حتى اليوم، وقد مضى على الاتفاق أكثر من سبع سنوات، لم يخرج إلى حيز التنفيذ، متمثلًا في إطلاق سراح جميع الأسرى والمحتجزين.

وفي كل جولات المفاوضات، التي تلت اتفاق ستوكهولم عام 2018، لم يتم تنفيذ ما تم الاتفاق عليه حينها.

ووفقًا لمصادر، فإن عدد أسرى الطرفين حتى عام 2018، والمعترف به من الطرفين، وصل إلى أكثر من 15 ألف أسير ومحتجز.

فيما يتعلق بأسباب عدم تنفيذ الاتفاق، فإن الطرفين يتبادلان الاتهامات وتحميل الآخر مسؤولية ذلك؛ فالحوثيون يعزون عدم تنفيذ الاتفاق إلى ما اعتبروه «عجز الطرف الآخر عن ذلك بسبب رفض بعض الأطراف منهم للاتفاق، وعدم اعترافهم به نظراً للتباينات والاختلافات الموجودة بينهم، ولم تستطع قيادة المرتزقة إقناعهم». والحكومة تحمل الحوثيين المسؤولية باعتبارهم غير جادين في التنفيذ، ويستغلون الملف لتحقيق أهداف سياسية.

ثلاث جولات

عُقدت ثلاث جولات في محاولة لتنفيذ اتفاق ستوكهولم كاملًا بشأن الأسرى، لكنها تعثرت في التوصل إلى تنفيذ الاتفاق. حينها اقترحت الأمم المتحدة على الطرفين تنفيذ الاتفاق على مراحل بدلًا من محاولات غير مجدية في تنفيذه دفعةً واحدة، وهو ما وافق عليه الطرفان.

عقب الجولة الرابعة من المفاوضات، شهد منتصف تشرين الأول/أكتوبر 2020 تبادل الجانبين أول صفقة تبادل رسمية بواقع 1056 أسيرًا ومعتقلًا؛ وما زالت تلك الصفقة هي أكبر صفقة تبادل تم تنفيذها بناء على الاتفاق بين الجانبين حتى الآن.

ولم تنته مفاوضات الجولتين الخامسة والسادسة إلى أي نتائج أفضت إلى اتفاق، إلا إن مفاوضات الجولة السابعة في بيرن السويسرية في آذار/مارس 2023، وخاصة عقب نجاح الوساطة الصينية في توقيع اتفاق تقارب سعودي إيراني حينها، قد نجحت في التوصل إلى اتفاق على الإفراج عن 887 أسيرًا ومعتقلًا. كان للحكومة 181 أسيرًا ومعتقلًا، منهم قادة عسكريون وأربعة صحافيين محكوم عليهم بالإعدام، و16 سعوديا، و3 سودانيين، مقابل إطلاق 706 أسرى للحوثيين. وهي الصفقة التي تم تنفيذها خلال نيسان/أبريل من العام عينه.

على الرغم مما شابها من نكوص عن اتفاقات سابقة، إلا أنها أعتبرت خطوة متقدمة، وخاصة في ظل التعثر الذي شاب الجولتين اللاحقتين، وهما الجولة الثامنة التي استضافتها العاصمة الأردنية عمّان خلال حزيران/يونيو 2023، ولم تنته إلى اتفاق، وكذلك الحال مع الجولة التاسعة، التي استضافتها العاصمة العُمانية مسقط خلال 30 حزيران/يونيو – 6 تموز/يوليو 2024، وانتهت ما تُعرف بجولة «مسقط 1» بدون اتفاق.

منذئذ، وعلى مدى أكثر من عام، تعثرت جهود الأمم المتحدة باتجاه استئناف المفاوضات في هذا الملف من خلال جولة عاشرة؛ لأسباب تبادل الطرفان الاتهامات بشأنها.

لكن الجهود الأممية، ومعها جهود إقليمية، استطاعت جمع الطرفين في جولة جديدة من المفاوضات، وهذه المرة كانت في مسقط أيضا، والتي استضافت الجولة العاشرة خلال الفترة 9–23 كانون الأول/ديسمبر 2025، أو ما تُعرف بـ «مسقط2»، والتي استطاع المتفاوضون الخروج خلالها باتفاق على الإفراج عن 2900 أسير ومحتجز من الطرفين.

وفي تاريخ 26 كانون الثاني/يناير الماضي اتهمت جماعة «أنصار الله» (الحوثيون) الحكومة اليمنيّة المعترف بها دوليًا، بالتأخر عن تقديم قوائم الأسرى خلال الموعد المحدد بموجب اتفاق مسقط الأخير، الذي ينص على أن يتم تبادل القوائم خلال 27 كانون الثاني/يناير. وسبق أن قال رئيس اللجنة الوطنية للأسرى التابعة للحوثيين، عبد القادر المرتضى، في تدوينة بتاريخ 23 كانون الثاني/يناير، إن «موعد تنفيذ ما تم الاتفاق عليه في مسقط هو في27 كانون الثاني/يناير، لكن للأسف لم تُحسم حتى الآن كشوفات الأسرى والمعتقلين الذين سيشملهم الاتفاق، والموضوع يحتاج إلى وقت أطول للانتهاء منه».

ونتيجة تعثر ذلك تم الترتيب الأممي لعقد جولة مفاوضات حادية عشرة تستضيفها حاليًا العاصمة الأردنية؛ وهي الجولة التي بدأت في الخامس من شباط/فبراير الماضي.

لن يُغلق ملف الأسرى والمحتجزين إلا وقد صار الطرفان عازمين على المضي قدمًا باتجاه إغلاق ملف الحرب، والذهاب باليمن نحو السلام. وبالتالي فهذا الملف يتطلب استشعارًا عاليًا للمسؤولية الإنسانية والوطنية يتجاوز اخضاع هذا الملف للحسابات السياسية؛ إذ من المؤسف أن الأسرى يمنيون والمتفاوضون كذلك.

وشهد اليمن صفقات تبادل عديدة للأسرى والجثامين من خلال وسطاء محليين، فيما تم الإفراج عن أسرى بمبادرات من طرف واحد.

رفض متصاعد للمبادرة الأمريكية في ليبيا يفتح سجالاً واسعاً حول مستقبل التسوية السياسية في البلاد

تزامن المناورات العسكرية مع النقاش السياسي حول المبادرة الأمريكية يعكس محاولة لربط المسارات الأمنية والاقتصادية بالعملية السياسية في ليبيا، في إطار مقاربة دولية تسعى إلى تقليص الانقسام المؤسساتي.

طرابلس – «القدس العربي»: نسرين سليمان

تشهد الساحة السياسية الليبية تصاعداً في ردود الفعل الرافضة لما يتداول بشأن مبادرة أمريكية لإعادة ترتيب المشهد السياسي وتوحيد مؤسسات الدولة، في وقت تتزايد فيه التسريبات حول مقترحات تتعلق بدمج الحكومتين وتوحيد الموازنة العامة وإطلاق ترتيبات سياسية وأمنية جديدة، الأمر الذي أثار مخاوف لدى أطراف سياسية ومجتمعية من احتمال فرض تسوية خارجية لا تعكس التوازنات الداخلية أو المسارات الدستورية المعتمدة. ويأتي هذا الجدل في لحظة حساسة تمر بها ليبيا مع استمرار حالة الجمود السياسي وتعدد المسارات الدولية المطروحة لمعالجة الأزمة، بين تحركات تقودها الولايات المتحدة ومحاولات أممية عبر الحوار المهيكل الذي تشرف عليه بعثة الأمم المتحدة للدعم في ليبيا، بينما تبقى مسألة الانتخابات وتوحيد المؤسسات محور النقاش الرئيسي حول مستقبل المرحلة الانتقالية في البلاد.

وفي هذا السياق أعلن مجلس أعيان وحكماء بلدية مصراتة رفضه لما وصفه بمحاولات فرض حكم شمولي أو عسكرة الدولة، في رد مباشر على ما يتداول حول الخطة الأمريكية لإعادة ترتيب السلطة التنفيذية في ليبيا. وأكد المجلس في بيان أن مدينة مصراتة لن تكون طرفا في أي اتفاق ينتقص من تضحيات أبنائها أو يفرض ترتيبات لا تعبر عن إرادة الليبيين، مشدداً على ضرورة التمسك بمسار الدولة المدنية ورفض أي محاولات لفرض واقع عسكري على المشهد السياسي في البلاد. كما شدد البيان على أهمية تحقيق العدالة الانتقالية والالتزام بالمسار الدستوري والانتخابي باعتباره الطريق الوحيد لإنهاء الأزمة السياسية التي تعيشها ليبيا منذ سنوات.

ويعكس موقف مجلس أعيان مصراتة جانباً من المخاوف المتزايدة داخل بعض المدن والقوى السياسية في غرب ليبيا من أن تؤدي أي تسوية سياسية مفروضة من الخارج إلى إعادة إنتاج التوازنات العسكرية داخل السلطة بدلاً من الانتقال إلى نظام سياسي مدني قائم على الانتخابات والمؤسسات. ويأتي هذا الرفض في ظل تداول معلومات غير مؤكدة حول تصور سياسي مدعوم من واشنطن يقضي بإعادة تشكيل السلطة التنفيذية عبر دمج الحكومتين القائمتين في حكومة موحدة، مع توحيد الصرف المالي ضمن موازنة عامة واحدة بهدف تقليص الانقسام المؤسساتي بين شرق البلاد وغربها.

وفي سياق متصل أعلنت مؤسسة حقوق الإنسان في ليبيا رفضها القاطع لما وصفته بالخطة الأمريكية لدمج الحكومتين، معتبرة أن هذه المبادرات تهدد الجهود التي تقودها بعثة الأمم المتحدة لإيجاد حل سياسي للأزمة الليبية. وأكدت المؤسسة في بيان أن التعاطي مع أي مبادرات خارج إطار الأمم المتحدة يقوض وحدة العملية السياسية ويضرب مصداقيتها ونزاهتها، مشيرة إلى أن هذه المسارات تمثل مخالفة صريحة للمرجعيات الدستورية والاتفاق السياسي الليبي وتشكل التفافا على حق الشعب الليبي في تقرير مصيره.

وشددت المؤسسة على أن فرض مبادرات موازية للعملية السياسية قد يؤدي إلى إضعاف فرص الوصول إلى انتخابات حرة ونزيهة تكون مصدر الشرعية لأي سلطة قادمة، داعية المجتمع الدولي إلى الالتزام بدعم المسار الأممي وعدم الانخراط في مبادرات منفصلة قد تعيد تشكيل المشهد السياسي خارج إطار التوافق الوطني. كما أكدت أن أي تسوية سياسية يجب أن تستند إلى الاستفتاء على مشروع الدستور وإجراء انتخابات برلمانية ورئاسية تنهي المرحلة الانتقالية وتفرز سلطة شرعية تحظى بقبول الليبيين.

وفي الجنوب الليبي أعلنت غرفة عمليات تحرير الجنوب رفضها لأي تسويات سياسية وصفتها بالمشبوهة، معتبرة أن أي ترتيبات جديدة قد تعيد إنتاج الوجوه السياسية التي كانت جزءاً من الأزمة خلال السنوات الماضية. وأكدت الغرفة في بيان أن الجنوب ظل ضحية لسياسات التهميش والإقصاء في العديد من المسارات السياسية والعسكرية، مشيرة إلى أن استبعاده من بعض الاجتماعات والمناورات العسكرية يمثل استمراراً لهذا التهميش. كما اعتبرت أن أي تسوية تفرض اليوم قد تكون محاولة لإعادة تشكيل السلطة بدون معالجة جذور الأزمة السياسية والاقتصادية في البلاد.

ولا تأتي المبادرة الأمريكية في فراغ سياسي، إذ تتزامن مع مسارات أخرى لا تزال قيد العمل لمعالجة الأزمة الليبية، من بينها الحوار المهيكل الذي تقوده بعثة الأمم المتحدة للدعم في ليبيا، إضافة إلى مبادرات أممية سابقة حاولت الدفع نحو توافق بين المؤسسات السياسية. ويهدف مسار الحوار المهيكل إلى معالجة القضايا المرتبطة بشكل السلطة التنفيذية وصلاحيات الحكومة المقبلة والضمانات القانونية للعملية الانتخابية، في محاولة لتهيئة الظروف لإجراء انتخابات تنهي المرحلة الانتقالية الطويلة في البلاد.

غير أن المبادرة الأمريكية المتداولة تختلف عن تلك المسارات في طبيعتها وآلية طرحها، إذ تقوم على تحركات سياسية واتصالات مباشرة مع أطراف عسكرية وسياسية بهدف الدفع نحو ترتيبات سريعة لتوحيد السلطة التنفيذية والمؤسسات المالية والأمنية. ويرى منتقدو هذه المبادرة أنها قد تمثل مساراً موازياً للعملية الأممية، الأمر الذي يثير مخاوف من احتمال فرض تسوية سياسية خارج إطار التوافق الوطني أو المرجعيات الدستورية المعتمدة.

وتزداد هذه المخاوف في ظل تقارير تحدثت عن انقسامات متزايدة داخل معسكر شرق ليبيا نفسه، حيث برزت في الأشهر الأخيرة مؤشرات على تنافس بين أبناء خليفة حفتر حول النفوذ العسكري والاقتصادي والسياسي. وتشير هذه المعطيات إلى وجود ثلاثة مراكز نفوذ رئيسية داخل هذا المعسكر، الأمر الذي يثير تساؤلات لدى بعض المراقبين حول مدى قدرة القيادة العسكرية في الشرق على ضبط التوازنات الداخلية في حال الدفع نحو تسوية سياسية جديدة.

وبحسب تلك التقارير فإن التنافس داخل هذا المعسكر يتمحور حول ثلاثة أقطاب رئيسية تسعى كل منها إلى تعزيز نفوذها داخل المؤسسات العسكرية والاقتصادية، حيث برزت مؤشرات على خلافات ظهرت للعلن بعد أن كانت تدار في الكواليس. وتحدثت التقارير عن رسائل سياسية متباينة صدرت عن بعض هذه الأطراف بشأن الاتصالات الدولية والترتيبات السياسية المطروحة، الأمر الذي كشف عن تباينات في المواقف حول طبيعة المرحلة المقبلة.

ويرى بعض المراقبين أن هذه الانقسامات قد تضعف قدرة المعسكر الشرقي على التفاوض ككتلة موحدة في أي ترتيبات سياسية جديدة، خصوصاً في ظل غياب موقف واضح من القيادة العامة حول كيفية إدارة هذه التوازنات الداخلية. كما يعتقد آخرون أن بروز هذه الخلافات في هذا التوقيت قد يعقّد الجهود الدولية الرامية إلى الدفع نحو تسوية سياسية شاملة في ليبيا.

وفي موازاة هذا الجدل السياسي تستعد مدينة سرت لاستضافة جزء من مناورات «فلينتلوك 2026» العسكرية التي تقودها القيادة العسكرية الأمريكية في أفريقيا بمشاركة قوات من عدة دول. ويعد هذا التمرين من أكبر التدريبات العسكرية متعددة الجنسيات في القارة الأفريقية، حيث يهدف إلى تعزيز قدرات القوات المشاركة في مكافحة الإرهاب وتأمين الحدود وتطوير التعاون العسكري بين الدول المشاركة.

ورحب مسؤولون عسكريون لليبيون باستضافة هذه المناورات، معتبرين أنها تمثل فرصة لتعزيز التنسيق بين الوحدات العسكرية في مختلف مناطق البلاد. وأكد وكيل وزارة الدفاع عبد السلام الزوبي أن مشاركة ضباط من الشرق والغرب والجنوب في تدريبات مشتركة داخل ليبيا تحمل رسالة رمزية بشأن إمكانية توحيد المؤسسة العسكرية تحت راية وطنية واحدة.

ويرى بعض المراقبين أن تزامن هذه المناورات العسكرية مع النقاش السياسي حول المبادرة الأمريكية يعكس محاولة لربط المسارات الأمنية والاقتصادية بالعملية السياسية في ليبيا، في إطار مقاربة دولية تسعى إلى تقليص الانقسام المؤسساتي وتهيئة الظروف لإطلاق مرحلة سياسية جديدة.

وفي المقابل يشير محللون إلى أن نجاح أي مبادرة سياسية في ليبيا يظل مرهوناً بقدرة الأطراف الليبية على التوصل إلى توافق داخلي واسع، إذ إن التجارب السابقة أظهرت أن التسويات التي لا تحظى بقبول داخلي كاف غالباً ما تواجه صعوبات في التنفيذ أو تؤدي إلى إعادة إنتاج الانقسامات القائمة.

وفي ظل هذا المشهد المعقد تبدو ليبيا مرة أخرى أمام مرحلة جديدة من الحراك السياسي الدولي تتداخل فيها المبادرات الخارجية مع الحسابات الداخلية للقوى السياسية والعسكرية. وبينما يرى البعض أن هذه التحركات قد تمثل فرصة لإعادة إطلاق العملية السياسية بعد سنوات من الجمود، يخشى آخرون من أن تؤدي إلى فرض تسويات مؤقتة تعيد إنتاج الأزمة بدلاً من حلها جذرياً.

وتبقى قضية الانتخابات وتوحيد المؤسسات السياسية والاقتصادية والعسكرية في صلب النقاش حول مستقبل ليبيا، حيث يتفق معظم الفاعلين السياسيين على أن إنهاء المرحلة الانتقالية يتطلب الوصول إلى سلطة شرعية منتخبة قادرة على إدارة البلاد وإعادة بناء مؤسسات الدولة على أسس دستورية مستقرة. وفي انتظار ما ستسفر عنه التحركات الدولية والمسارات السياسية الجارية يبقى مستقبل التسوية الليبية مفتوحاً على عدة سيناريوهات تتراوح بين فرص التوافق وإمكانية استمرار حالة الانقسام التي طبعت المشهد السياسي في البلاد خلال السنوات الماضية.

تطمينات حكومية مبالغ فيها للأردنيين:

ثمة من يقترح التركيز في الخطاب الاقتصادي على تقليل الكلام الذي يفرط في الحماس لترتيبات قد يكون من الصعب تفعيلها لأن الكثير من الاعتبارات لا يمكن للدولة التحكم بها.

عمان – «القدس العربي»: بسام البدارين

أظهرت المؤسسات البيروقراطية والإدارية الأردنية طوال 40 يوما خلال الاشتباك العسكري المرتبط بالحرب على إيران وتوابعه «مرونة» ملحوظة من الصعب إنكارها في الإعداد اللوجستي لضمان الاستقرار الاقتصادي تحديدا خلال توقيت الحرب.

تضمن ذلك تفعيل «بروتوكولات أزمة» وتنشيط المناولات التجارية في ميناء العقبة واتخاذ «حزمة إجراءات» تحت عنوان «احتواء» آثار ما تقول البيانات الرسمية أنه «عدوان غير مبرر» من جانب إيران استهدف «الأراضي الأردنية» خصوصا في مجال «الطاقة» وتجنب «رفع الأسعار» قدر الإمكان.

ومع ظهور تلك المرونة بكفاءة في العديد من المفاصل المعيشية وإطلاق مبادرات من بينها بل أهمها «تجنب رفع أسعار المحروقات» بنفس نسبة ارتفاعها في الأسواق الدولية طرحت في الجوانب الفنية الإدارية العديد من «أسئلة الخبرة».

هنا حصرا يمكن القول وبضمير مرتاح إن سيناريو المبالغة الحكومية في إرسال التطمينات للجمهور قد يلامس إذا ما تواصل فيما تعود الحرب لاحقا وتعاني المنطقة أكثر من«الشعبوية» وفي ذهنها ما تعتبره أهم في أولوياتها وهو على الأرجح «العبور الآمن» لتشريعات مثيرة جدا للجدل ومرفوضة شعبيا عبر مجلس النواب مثل القانون الخاص بالتأمينات الاجتماعية أو نظيره الخاص بالإدارة المحلية.

الرغبة فقط في «الإيحاء» حكوميا بأن كل «الأمور تجري وفقا لمخطط مدروس وتحت السيطرة تكنوقراطيا» علامة فارقة في خطاب الحكومة خلال أسابيع الحرب.

لكن بعض الخبراء لديهم تحفظ خاص عبرت عنه بعض «لجان البرلمان» لكن بخجل، فكرته أن المؤشرات التي يفترض أن يبنى عليها القرار السياسي الاقتصادي ليست من الصنف الجامد والثابت والموحد لأن تطورات الحرب تفرض بين الحين والآخر صياغاتها.

صحيح أن ما تحتاجه غرفة التخطيط الاقتصادي الحكومية تحديدا رؤية ديناميكية تحقق بعض الإنجازات والصمود والثبات في السوق المحلية، لكن صحيح في المقابل أن خطة عمل تعمل على التفاصيل والتحديات الناتجة عن المستجدات هي المطلوبة أكثر وبإلحاح.

المسألة بتقدير الخبير الاقتصادي السياسي الحكومة محمد حلايقة لا تتعلق لا بقرارات ولا إجراءات تعالج الإداري اليومي بيروقراطيا وتكنوقراطيا فقط، ولكن بمطبخ دائم الانعقاد يراقب كل التفصيلات ويعالج كل أزمة تنتج عن الحرب الإقليمية في وقت ملائم وبصيغة منتجة وفعالة ونشطة حتى لا تتحول إشكالات صغيرة إلى تحديات وطنية وعلى أساس القناعة الراسخة بأن الحرب الأخيرة في عمقها وجذرها اقتصادية الطابع والأهداف والنتائج ضمن سياقات «تنافس المشاريع».

من هنا يحاجج بعض المراقبين ومنهم الباحث الاقتصادي محمود عوده بأن الإجراءات المطلوبة ينبغي أن تتميز ليس بالديناميكية الإجرائية فقط، ولكن بالتخطيط الإستراتيجي الذي يأخذ بالاعتبار عند إقرار أي صيغة لإجراء البعد الأمني والجيوسياسي أيضا.

وهو ما يعتقد عوده وآخرون أن الحكومة تفتقد إليه وهي تخاطب الرأي العام بسلسلة من الضمانات والتطمينات فيما تشتعل في الجوار وعلى الموانئ فواتير الشحن والنقل وتحبس النخبة الاقتصادية أنفاسها في مواجهة اشتباك عسكري نتائجه النهائية كانت ولا تزال غامضة.

التطمينات بطبيعة الحال لها وظيفة سياسية.

لكن ما يقوله الخبراء في العمق إن تلك الوظيفة السياسية يتوجب أن لا تطغى على جذر التفاصيل وقراءة وتشخيص الوقائع.

المبالغة في إنتاج وإرسال التطمينات تحت عنوان «المخزون الآمن» على سبيل المثال ينبغي أن تتردد في سياق يؤكد على أن المخزون آمن الآن ثم يستعرض الأسباب والتفاصيل.

والسبب هو أن الاعتبارات «قابلة للتحريك» في مواجهة حرب مفتوحة تلتهم كل الاعتبارات في المستوى الإقليمي وبصيغة تقبل مسبقا فكرة التحول والمتغير.

التطمينات طبعا مهمة. لكن ينبغي أن تكون مهمة باعتبارها جزءا أساسيا وعضويا من إستراتيجية وطنية أكثر شمولية مع خطاب عام يحسب التحديات المتوقعة وتفاصيلها.

أهمية التطمينات أنها في الواقع يتوجب أن لا ترتبط فقط باحتياجات الحكومة إما لخطاب شعبوي أو لاحتياجات «تشريعية».

خلافا لذلك قد تتأثر مصداقية الخطاب الحكومي الإجرائي عند التعاطي المباشر مع الحيثيات والتفاصيل وقد تتورط الإدارة الحكومية بالمزيد من «الحسابات الخاطئة» في الملف الاقتصادي أو «الرهانات» التي تتبدل بحكم اعتبارات الاصطفاف السياسي كما يحصل الآن مع مضايقة فصائل عراقية للمصالح الأردنية في بغداد.

ثمة من يقترح التركيز والتكثيف في الخطاب الاقتصادي على «تقليل الكلام» الذي يشيع التفاؤل أو يفرط في الحماس لترتيبات قد يكون من الصعب تفعيلها لأن الكثير من الاعتبارات اللوجستية والجيوسياسية والاقتصادية والتجارية لا يمكن للدولة الأردنية في الواقع التحكم بها دوما بالرغم من الاغراء العام والأغراء الناتج عن وجود حرب يمكن تحول نتائجها إلى فرصة حقيقية.

أغواء الحرب – الفرصة أم حماس شعبوي؟

حدث الأسبوع إيران

مضيق هرمز والملف النووي
يتصدران المفاوضات الأمريكية الإيرانية في إسلام آباد

لندن ـ «القدس العربي»:
محمد نون

انطلق التفاوض الأمريكي الإيراني في إسلام آباد عاصمة باكستان السبت 11 نيسان/أبريل الجاري، ليعلن عن مرحلة مختلفة عن بداية الحرب التي شنتها الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل على إيران 28 شباط/فبراير الماضي.

وما بين السبتين كانت الثقة المفقودة بين الجانبين هي لذلك تركزت الجهود الباكستانية على إنشاء جسور التواصل انطلاقا مما تم وصفه بحسن النوايا من الطرفين المتقاتلين، بعدما قررا إعطاء فرصة للتفاوض، تم التمهيد إليها بهدنة لخمسة عشر يوما جرى التوصل إليها في 8 نيسان/إبريل الجاري، وتم قبول النقاط الإيرانية العشر كأساس للتفاوض وفقا لما كان أعلنه الرئيس الأمريكي دونالد ترامب على منصته تروث سوشال.

وتتناول النقاط الإيرانية: تنظيم الملاحة في مضيق هرمز ورفع العقوبات الأمريكية ودفع تعويضات الحرب، والملف النووي السلمي غير العسكري، والحافظ على حلفاء إيران وغيرها.

أولى مظاهر حسن النوايا كان مستوى الوفد المفاوض من الجانبين، إذ أن الرئيس الأمريكي دونالد ترامب أرسل نائبه جيه دي فانس على رأس وفد كبير يضم في عضويته المبعوث الخاص ستيف ويتكوف وجاريد كوشنير صهر الرئيس ومسؤولين من وزارة الحرب الأمريكية، وخبراء أمنيين، واقتصاديين، وقانونيين.

بينما أرسل المرشد الأعلى في إيران آية الله مجتبى علي خامنئي، وفدا رفيعا برئاسة محمد باقر قاليباف رئيس البرلمان، وعباس عراقجي وزير الخارجية، وعلي أكبر أحمديان أمين مجلس الدفاع، وعبد الناصر همتي رئيس البنك المركزي، ونواب من البرلمان الإيراني وخبراء قانونيين.

وقالت وكالة أنباء تسنيم الإيرانية شبه الرسمية إن هذا الفريق الإيراني ضم 70 عضوا، من بينهم متخصصون تقنيون في المجالات الاقتصادية والأمنية والسياسية، بالإضافة إلى إعلاميين وموظفي دعم، بينما قال مصدر حكومي باكستاني إن حوالي 100 عضو من الفريق التحضيري الأمريكي كانوا في إسلام آباد.

ويعتبر حضور جيه دي فانس بمثابة طمأنة للإيرانيين بأن واشنطن جادة في المفاوضات، لأن نائب الرئيس الأمريكي معروف بمعارضته للحرب على إيران قبل بدايتها، حتى وإن تغاضى عن المجاهرة برفضه للحرب علنا كي لا يحصل شرخ داخل الإدارة الأمريكية، وذلك على عكس ما قام به رئيس مركز مكافحة الإرهاب جو كينيت الذي تقدم باستقالته، بعدما قال إن إسرائيل قامت بتوريط الولايات المتحدة في تلك الحرب.

بالمقابل يعتبر قاليباف محل ترحيب لدى الجانب الأمريكي من خلال رئاسته للبرلمان، وخلفيته العسكرية وعلاقته بالحرس الثوري، بما يعني ذلك من قدرة على تسويق ما يتم الاتفاق عليه في إسلام آباد.

وهناك مفارقة تجمع بين شخصيتي دي فانس وقاليباف، فنائب الرئيس الأمريكي هو من أبرز المرشحين الجمهوريين المحتملين للرئاسة الأمريكية بعد انتهاء الولاية الثانية للرئيس ترامب، وأما قاليباف فهو خاض سابقا الانتخابات الرئاسية دون الفوز بها، لكنه يبقى مرشحا محتملا للانتخابات الرئاسية القادمة في إيران، وبالتالي فإن موقع دي فانس وقاليباف قد يكون عاملا مساعدا في استدامة أي اتفاق قد يتوصل إليه الطرفان الإيراني والأمريكي.

ومن وجهة النظر الإيرانية فإن الاتفاق ممكن إذا طبق ترامب شعاره المعروف بأمريكا أولا، ورغم ذلك حذر محمد رضا عارف، نائب الرئيس الإيراني، إنه من المحتمل ألا يتم التوصل إلى اتفاق في باكستان إذا كان المتفاوضون (الأمريكيون) يتبنون رؤية «إسرائيل أولا» بدلا من «أمريكا أولا».

وأضاف في تدوينة نشرها السبت، على منصة شركة «إكس» الأمريكية، أنه إذا تفاوض الوفد الإيراني في إسلام آباد مع ممثلين يتبنون رؤية «أمريكا أولا»، فمن المحتمل التوصل إلى اتفاق «يعود بالنفع على العالم».

لكن في المقابل، أشار إلى أنه إذا كان الوفد المفاوض للطرف الآخر يتبنى رؤية «إسرائيل أولا»، فلن يتحقق أي اتفاق، وستضطر إيران إلى مواصلة دفاعها بقوة أكبر.

وتعد عبارة «أمريكا أولا» من أبرز الشعارات التي تعتمدها إدارة الرئيس الأمريكي دونالد ترامب، فيما تتهم إيران الإدارة الأمريكية بانتهاج سياسة «إسرائيل أولا» بدلا من شعارها الأساسي، في سياق انتقاداتها للدعم الأمريكي المطلق لإسرائيل.

ومن هنا فإن إيران أبقت مضيق هرمز شبه مغلق منذ يوم الأربعاء 8 نيسان/إبريل رغم دخول الهدنة لوقف النار، وربطت إعادة فتح المضيق بوقف إسرائيل اعتداءاتها على لبنان، وخاصة بعد الهجمات الضروس التي شنتها الطائرات الإسرائيلية على لبنان يوم الأربعاء، وقتلت أكثر من 303 مدنيين، وأصابت بجراح أكثر من 1150 آخرين، إضافة إلى عدد كبير من المفقودين تحت الأنقاض.

ولم تقتنع إيران بما أعلنه رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو عن الموافقة على التفاوض مع الحكومة اللبنانية، إذ ترى فيه خديعة للإيقاع بين اللبنانيين وخاصة بين الحكومة والمقاومة التي يقودها حزب الله في جنوب لبنان.

باكستان والدور المحوري

وتقف إسلام آباد على باب تحقيق إنجاز غير مسبوق في حال نجاح المفاوضات الأمريكية الإيرانية، وتحويل وقف النار المؤقت الهش، إلى أنهاء الحرب وتحقيق سلام دائم.

وهنا برز الدور المحوري لرئيس الوزراء الباكستاني شهباز شريف وقائد الجيش الباكستاني عاصم منير.

وتلعب باكستان دور الوساطة بالأصالة عن نفسها وبالإنابة عن عدة دول مؤثرة ومنها تركيا والمملكة العربية السعودية ومصر، وذلك بالتعاون مع جهود بذلتها الصين لدى إيران.

ووسط ذلك أفاد مسؤولون في المنطقة، السبت، بوجود مسؤولين من مصر والسعودية والصين وقطر في العاصمة الباكستانية إسلام آباد، للتوسط في تيسير المحادثات الأمريكية الإيرانية، ولكن بصورة غير مباشرة، لكن هذا الإعلان نفته مصادر إيرانية.

وفي ظل الوساطة الصعبة وصف رئيس وزراء باكستان شهباز شريف محادثات إسلام آباد بأنها فرصة «مصيرية» لتحويل الهدنة القائمة إلى وقف دائم لإطلاق النار.

كذلك أعرب وزير الخارجية الباكستانية إسحق دار عن أمله في أن تشارك الولايات المتحدة وإيران بشكل بناء في محادثات السلام. وذكر بيان لوزارة الخارجية الباكستانية أن إسحق دار أكد مجددا رغبة إسلام آباد في مواصلة تيسير العمل على وصول الطرفين إلى «حل دائم وراسخ للصراع».

وتخشى باكستان من محاولة إسرائيل إفشال المفاوضات، وهذا ما تجلى في الهجمات الإسرائيلية على لبنان، ما استدعى موقفا قويا من وزير الدفاع الباكستاني خواجة محمد آصف إلى اتهام إسرائيل بالمسؤولية عن الإبادة الجماعية في المنطقة وخاصة في غزة ومن ثم مهاجمة إيران وبعدها لبنان، واصفا إسرائيل بأنها شر على الإنسانية. وقبل سحب تغريدته تلك فقد أحدثت مواقفه صدمة سياسية داخل إسرائيل.

وشهدت إسلام آباد إغلاقا غير مسبوق قبل بدء المحادثات، إذ انتشر آلاف من أفراد القوات شبه العسكرية وقوات الجيش في الشوارع. وقال وزير الدولة الباكستاني للشؤون الداخلية طلال تشودري لرويترز «اتخذنا إجراءات أمنية متعددة المستويات لهذا الحدث تعتمد على التنسيق والمعلومات المخابراتية والمراقبة المستمرة لضمان عدم حدوث أي اضطرابات والسيطرة الكاملة».

ترامب وأوراق إيران

وأشاع الإيرانيون أجواء استعدادهم للوصول إلى اتفاق حيث قالوا إن إيران مستعدة للتوصل إلى اتفاق إذا عرضت واشنطن ما وصفه بأنه اتفاق حقيقي ومنحت بلادهم حقوقها.

ويشعر الإيرانيون أنهم انتصروا على عدة أصعدة ومن بينها الوحدة الداخلية التي تحققت حول الدفاع عن بلادهم ونظامها الجمهوري الإسلامي، وتجاوز التباينات الداخلية لمصلحة الأمة الإيرانية، وكذلك استمرارهم في المقاومة وإطلاق الصواريخ، وتوحيد جبهتهم مع حلفائهم في لبنان واليمن والعراق ضمن ما يعرف بمحور المقاومة الذي يضم حزب الله وأنصار الله الحوثيين وفصائل المقاومة العراقية والفلسطينية.

وبالمقابل قال ترامب: «يبدو أن الإيرانيين لا يدركون أنه ليس لديهم أي أوراق رابحة، سوى ابتزاز العالم على المدى القصير باستخدام الممرات المائية الدولية. والسبب الوحيد لبقائهم على قيد الحياة اليوم هو التفاوض».

إلا أن نائب الرئيس دي جيه فانس كان أكثر دبلوماسية، إذ قال لدى توجهه إلى باكستان إنه يتوقع نتيجة إيجابية، لكنه أضاف عن الإيرانيين «إذا كانوا سيحاولون التلاعب بنا، فسوف يجدون أن فريق التفاوض ليس متجاوبا إلى هذا الحد».

عقوبات وضربات ومفاوضات

ويطغى العداء على العلاقة بين إيران والولايات المتحدة منذ انتصار الثورة التي أطاحت حكم الشاه في 1979، ونقلت طهران من موقع الحليف للغرب والصديق لإسرائيل، إلى الجمهورية الإسلامية التي تعتبر واشنطن «الشيطان الأكبر»، وأن إسرائيل هي غدة سرطانية كما توصف في إيران.

واستعرضت وكالة الصحافة الفرنسية أبرز المحطات الزمنية في العلاقة بين إيران والولايات المتحدة وفق التالي:

في الرابع من تشرين الثاني/نوفمبر 1979، احتجز طلاب مؤيدون للإمام الخميني ويطالبون بتسليم الشاه المخلوع محمد رضا بهلوي، دبلوماسيين وموظفين في السفارة الأمريكية في طهران، وذلك بعد سبعة أشهر من إعلان تأسيس الجمهورية الإسلامية.

واستمرت الأزمة 444 يوما، احتجز الطلاب 52 رهينة، وأفرجوا عن عدد منهم خلال الأشهر التالية لأسباب إنسانية.

وفي نيسان/أبريل 1980، قطعت واشنطن العلاقات الدبلوماسية مع إيران وفرضت قيودا على التجارة والسفر.

وبعد تسعة أشهر، أطلق سراح آخر الرهائن.

وفي 30 نيسان/أبريل 1995، فرض الرئيس الأمريكي بيل كلينتون حظرا كاملا على التجارة والاستثمار مع إيران، متهما إيّاها بدعم الإرهاب. وانعكس ذلك على الشركات الأجنبية التي تستثمر في قطاعي النفط والغاز في إيران.

وفي 29 كانون الثاني/يناير 2002، أدرج الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش إيران، مع العراق وكوريا الشمالية، ضمن ما أسماه «محور الشر».

وفي نيسان/أبريل 2019، صنّفت الولايات المتحدة الحرس الثوري الإيراني، «منظمة إرهابية».

وتضيف فرانس برس أنه في مطلع العقد الأول من الألفية الثالثة، أثار الكشف عن وجود مواقع نووية غير معلنة في إيران، مخاوفَ من أن طهران تحاول تطوير سلاح ذري، وهي اتهامات لا تزال تنفيها حتى اليوم.

في العام 2011، أصدرت الوكالة الدولية للطاقة الذرية تقريرا، يقول إن إيران «قامت بنشاطات ذات صلة بتطوير جهاز متفجر نووي» على الأقل حتى عام 2003.

وفي 2005، وضع الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد حدا لتجميد عمليات تخصيب اليورانيوم، مع تمسّك طهران بأن برنامجها مخصص لغايات مدنية حصرا.

وبعد عشرة أعوام، توصلت إيران في فيينا الى اتفاق دولي بشأن برنامجها النووي مع ست قوى دولية هي الولايات المتحدة والصين وروسيا، والمملكة المتحدة وفرنسا وألمانيا.

ونالت طهران بموجب الاتفاق تخفيفا للعقوبات الاقتصادية القاسية مقابل ضمانات بأنها لن تصنع قنبلة نووية. لكن واشنطن انسحبت من الاتفاق بشكل أحادي أثناء الولاية الأولى للرئيس الأمريكي دونالد ترامب عام 2018، وأعادت فرض عقوباتها على إيران وعلى الشركات المرتبطة بها.

وبعد عام، بدأت إيران تتراجع عن بعض التزاماتها بموجب الاتفاق، ردا على الانسحاب الأمريكي من الاتفاق.

ولم تفلح بعض الجهود الدبلوماسية في إحياء الاتفاق.

ومع تصاعد التوترات مجددا بشأن البرنامج النووي، أعاد مجلس الأمن فرض عقوبات الأمم المتحدة على إيران في 28 أيلول/سبتمبر 2025، بناء على طلب من الدول الأوروبية الثلاث المنضوية في الاتفاق وهي ألمانيا بريطانيا وفرنسا.

وفي الثالث من كانون الثاني/يناير 2020، أسفرت غارة أمريكية بطائرة مسيّرة عن مقتل قائد فيلق القدس في الحرس الثوري الإيراني الجنرال قاسم سليماني في العاصمة العراقية بغداد.

وقال الرئيس ترامب إنه أمر بشنّ الضربة، وإن سليماني كان يخطط لهجوم «وشيك» على دبلوماسيين وقوات أمريكية في العراق. وردت إيران بإطلاق صواريخ على قاعدة عين الأسد التي تضم قوات أمريكية في غرب العراق في الثامن من الشهر ذاته.

لكن المحطة الأبرز كانت في يونيو/حزيران عام 2025 في الحرب التي بدأتها إسرائيل على إيران واستمرت 12 يوما، ثم تدخلت الولايات المتحدة إلى جانب حليفتها ووجهت ضربات إلى ثلاثة مواقع نووية إيرانية رئيسية في 21 حزيران/يونيو.

وبينما أكد ترامب أنه تمّ القضاء على هذه المنشآت، كما البرنامج النووي الإيراني، يبقى حجم الضرر غير معروف.

وتدحرجت الأمور أكثر عام 2026 عندما هدد ترامب إيران بعمل عسكري وعززت الولايات المتحدة حشودها العسكرية في المنطقة، وأرسلت حاملة طائرات قبل أن تتبعها بأخرى، إضافة إلى أسراب من المقاتلات وطائرات التجسس والتزود بالوقود جوا.

وتزامن هذا الحشد العسكري مع عقد ثلاث جولات من المباحثات غير المباشرة بين طهران وواشنطن بوساطة من عُمان.

وفي 28 شباط/فبراير، شنّت الولايات المتحدة وإسرائيل ضربات منسّقة أدّت إلى اغتيال المرشد الأعلى آية الله علي خامنئي وعدد من كبار القيادات واستهدفت البنية التحتية العسكرية والنووية لإيران.

وتوعدت الجمهورية الإسلامية بالثأر لاغتيال خامنئي، فأطلقت موجات من الصواريخ على إسرائيل والقواعد الأمريكية في الدول المجاورة التي تتمركز فيها قوات أمريكية، وأغلقت فعليا مضيق هرمز الحيوي الذي يمرّ عبره خُمس نفط العالم الخام.

وبعد كل ذلك التصعيد توصلت الولايات المتحدة وإيران إلى وقفٍ هشّ لإطلاق النار لمدة أسبوعين في 8 نيسان/أبريل، بعد أكثر من شهر من الحرب التي أوقعت آلاف القتلى وتسببت بنزوح كبير وباضطراب شديد في الاقتصاد العالمي.

البنك الدولي: حرب إيران ستبطئ النمو

وكان أبرز اضطراب في الاقتصاد العالمي هو ما نتج عن إغلاق إيران لمضيق هرمز، وعن كل تلك الآثار قال رئيس البنك الدولي أجاي بانجا في مقابلة مع «رويترز» الجمعة إن الحرب في الشرق الأوسط ستكون لها تداعيات متسلسلة على الاقتصاد العالمي، حتى لو تسنى الالتزام بوقف إطلاق النار الهش الذي أعلنه الرئيس الأمريكي دونالد ترامب.

وأضاف أن الضرر سيكون أكبر بكثير إذا انهار وقف إطلاق النار وتصاعد الصراع. وكان بانجا قال يوم الثلاثاء إن النمو العالمي قد ينخفض بين 0.3 و0.4 نقطة مئوية في السيناريو الأساسي مع انتهاء الحرب مبكرا، وبنسبة تصل إلى نقطة مئوية واحدة إذا استمرت الحرب.

وقال إن التضخم قد يرتفع 200 إلى 300 نقطة أساس، مع تأثير أكبر بكثير يصل إلى 0.9 نقطة مئوية إذا استمرت الحرب.

وأودت الحرب بحياة الآلاف في أنحاء الشرق الأوسط وإلى ارتفاع أسعار النفط 50 في المئة، مع تعطيل إمدادات النفط والغاز والأسمدة والهيليوم وبعض السلع الأخرى، فضلا عن تأثر السياحة والسفر الجوي.

وذكر بانجا في المقابلة «السؤال الحقيقي هو: هل سيؤدي السلام الحالي والمفاوضات إلى سلام دائم ثم إعادة فتح مضيق هرمز؟ إذا لم يحدث ذلك واندلع الصراع مرة أخرى، فهل سيكون لذلك تأثير أكبر أو تأثير طويل الأمد على البنية التحتية للطاقة؟».

وتابع بانجا أن أكبر بنك تنمية في العالم يجري بالفعل محادثات مع بعض البلدان النامية، بما في ذلك دول جزرية صغيرة لا تمتلك موارد طاقة طبيعية، لبحث سبل الاستفادة من الأموال المتاحة من البرامج الحالية في إطار «نوافذ الاستجابة للأزمات».

تحولات
الشارع الإسرائيلي: أيّ جديد وأيّ طارئ؟

صبحي حديدي

ثلاث مؤسسات إعلامية إسرائيلية، إذاعة «كان» والقناة 12 والقناة 13، أجرت مؤخراً سلسلة استطلاعات للرأي حول حظوظ الأحزاب في انتخابات الكنيست المقبلة، تشرين الأول (أكتوبر) المقبل كموعد أقصى؛ وكذلك حول أسئلة مثل هوية المنتصر في الحرب الأمريكية ـ الإسرائيلية الراهنة ضدّ إيران.

ففي الموضوع الأول، تقول الخلاصة إنّ الأحزاب الصهيونية المعارضة لائتلاف بنيامين نتنياهو الحاكم سوف تحقق مكاسب ضئيلة متفرقة، لكنها لن تتمكن من بلوغ سقف الـ61 مقعداً الكافية لتشكيل الحكومة؛ وأنّ الأحزاب الصهيونية المتحالفة مع نتنياهو، وبينها «ليكود» أيضاً، ستخسر مقاعد ضئيلة هنا وهناك، ولكنها لن تعجز عن إيجاد تحالفات جانبية تمكنها من الاحتفاظ بالحكومة.

الأبرز، في المقابل، أنّ حزب «القوّة اليهودية»، الذي يتزعمه وزير الأمن القومي إيتمار بن غفير، سوف يحصل على 10 مقاعد، قافزاً من 8 في استطلاعات رأي سابقة؛ وأنّ حزب «أزرق أبيض»، وزعيمه بيني غانتس رئيس هيئة أركان جيش الاحتلال الأسبق، لن يتخطى العتبة الضرورية لحيازة أعضاء في الكنيست؛ وخلاصة تلفزة «كان» أنّ ائتلاف نتنياهو سيحصل على 51 مقعداً، مقابل 59 للأحزاب الصهيونية المعارضة.

وفي الموضوع الثاني، بصدد سؤال تلفزة «كان»، هل انتصرت الولايات المتحدة ودولة الاحتلال في الحرب على إيران؟ أجابت نسبة 25% بالإيجاب، و58% بالنفي. وفي استطلاع القناة 12، حول سؤال مشابه، اعتبرت نسبة 30% أنّ أمريكا ودولة الاحتلال انتصرتا، و19% لصالح إيران، و40% لم تنسب أيّ نصر لأيّ فريق. من جانبه خرج استطلاع القناة 13 بنسبة 33% لصالح واشنطن وتل أبيب، و28% ذهبت إلى طهران، و39% كانت نسبة العاجزين عن تحديد الفريق المنتصر!

وللمرء المتابع للأطوار الحديثة والمعاصرة من تحولات المجتمع الإسرائيلي، سواء بصدد انتخابات الكنيست أو حروب دولة الاحتلال أو العرى الوثيقة بين الملفّين في تكوين «مزاج» الشارع العريض؛ ليس ثمة ما يفاجئ حقاً في معطيات هذه الاستطلاعات، ولا جديد يستحق مقام المنعطف أو حتى المحطة الفاصلة. هذا مجتمع مشوّش متشرذم، تحكمه جملة من منظومات القلق من الحرب والرهاب من السلام، في آن معاً، مع رجحان طاغٍ لكفّة الهاجس الأوّل إزاء طمأنينة الثاني؛ وانحيازٌ، تالياً، إلى حيرة الاستقرار إلا على خيار العسكرة والتطرف وإرهاب الدولة والسياسات العنصرية والتشدد الديني...

كذلك فإنّ مؤشرات هذه الاستطلاعات لا يصحّ أن تُقرأ بمنأى عن تجلياتها على أرض الاحتلال الإسرائيلي، في ملفّ واحد على الأقلّ هو الاستيطان، بافتراض أنّ جرائم الحرب المتنوعة المتكررة المستدامة يمكن أن تنقاطع تبعاتها، مثل تأويلاتها، لدى فريق حاكم وآخر يزعم موقع «المعارضة»، وربما في جانب واحد محدد من فظائع الاستيطان، هو التغطية الحاخامية/ الفقهية لأنشطة الاستيطان «غير الشرعية»؛ أي تلك التي قد يضطرّ جيش الاحتلال إلى تفكيكها، تنفيذاً لقرارات المحكمة العليا مثلاً. فبدل مقاومة الجنود الإسرائيليين القادمين لتفكيك البؤر الاستيطانية (وليس المستوطنات، للإيضاح الضروري)، عمّم المجلس الحاخامي منشوراً يطالب المستوطنين ببناء المزيد من المواقع الاستيطانية، على مبدأ: يفككون موقعاً، فنبني خمسة!

إلى هذا، يحثّ الحاخامات المستوطنين على الاستعداد عاطفياً وجسدياً لتكرار بناء المواقع الاستيطانية، بالتضافر مع الاستعداد لمواجهة الجنود، استناداً في الخلفية الأبعد إلى فتوى شهيرة أصدرها مجلس حاخامات المستوطنات وانطوت على جملة محرّمات، بينها النصّ على أنّ كل موقع استيطاني هو فريضة من فرائض إعمار دولة الاحتلال، ويمنع اخلاؤه منعاً باتاً؛ وكذلك الحكم بأنّ الجيش الإسرائيلي هو «جيش الشعب»، ومهمته «تتجسد في محاربة الإرهاب والانتصار على الأعداء».

بهذا المعنى يمكن، أيضاً، استيعاب أسباب بلبلة الإسرائيليين، حيال مفهوم «الانتصار»؛ فلا طارئ هنا أيضاً، ولا جديد.

جرد حساب إسرائيلي مرحلي للحرب الإسرائيلية الأمريكية الثانية على إيران

الناصرة – «القدس العربي»: وديع عواودة

يبدي عدد من الباحثين في معهد دراسات الأمن القومي التابع لجامعة تل أبيب نظرة تشاؤمية حيال نتائج هذه الحرب من منظار مصالح إسرائيل ويوجهّون انتقادات لها من زوايا نظر مختلفة، وذلك في منشورات قصيرة نشرها الموقع على صفحته. ويرى داني ستريتوفيتش، جنرال في الاحتياط وباحثٌ بارزٌ في الشؤون الإيرانية، أن الحملة العسكرية لم تُحدث تغييرًا جوهريًا في مواقف إيران الأساسية بشأن المفاوضات مع الإدارة الأمريكية وبالتالي، وفي ضوء الشعور بالإنجاز الذي حققته الحملة، يُشكّ في استعداد إيران لتقديم تنازلات جوهرية فيما يتعلق بتعزيز قواتها التقليدية أو دعمها لوكلائها الإقليميين. ومع ذلك، قد تُبدي طهران برأيه مرونة محدودة بشأن قضية المواد المخصبة، مع التركيز على تخفيف تركيزها داخل إيران، إذا ما اقترن ذلك برفع واسع النطاق للعقوبات إلى جانب الاعتراف بحق إيرانّ في التخصيب، وفقًا لوجهة نظر علي خامنئي الأساسية. ويضيف داني ستريتوفيتش: «في ضوء الموقف الإيراني تواجه الإدارة الأمريكية قرارًا استراتيجيًا: إما تبني اتفاق يُشابه إلى حدٍ كبير ما كان ممكنًا قبل التصعيد، أو المخاطرة بتدهور جديد إلى تصعيد وربما صراع أوسع. في الوقت نفسه، تُبدي إيران قلقًا بالغًا إزاء ما يجري في لبنان. تعتبر إيران التزامها بمحور المقاومة عنصراً أساسيا في مفهومها الأمني، بما يضمن لها عمقاً استراتيجياً. وعليه، فهي تعمل حالياً وفق نهج مزدوج: فمن جهة، تُصرّ على إشراك حزب الله في أي اتفاق لوقف إطلاق النار؛ ومن جهة أخرى، تواصل اتخاذ خطوات هجومية محسوبة، تهدف إلى الحفاظ على نفوذها، لا سيما من خلال تنظيم حركة الملاحة في مضيق هرمز، في خطوة تهدف إلى إظهار العواقب العالمية للفشل الدبلوماسي، إلى جانب التهديد باحتمالية عودة الأعمال العدائية».

داني ستريتوفيتش وهو مسؤول سابق في الاستخبارات العسكرية يخلص للقول إن طهران تدخل طاولة المفاوضات في إسلام آباد وهي في موقف قوة في الحملة العسكرية، وبالتالي إذا كانت تتوقع من الإدارة الأمريكية تقديم تنازلات كبيرة من جانبها، فقد تكون المفاوضات أقصر مما هو متوقع. ويرى إلداد شافيت، باحث أمريكي بارز في منشوره الموجز أن التحدي الرئيسي الذي يواجه إدارة ترامب الآن يتمثل في تحويل وقف إطلاق النار الهش إلى اتفاق مستقرعلى الرغم من وجود خلافات عميقة من إيران حول قضايا التخصيب، ومضيق هرمز، والعلاقة بين الساحة الإيرانية والساحة اللبنانية. وطبقا لشافيت يأتي هذا في وقت لم يُحقق فيه ترامب بعدُ الصورة الواضحة والحاسمة التي لا لبس فيها للنصر، والتي يحتاجها ليُقدّم للرأي العام الأمريكي والعالم إنجازًا استراتيجيًا جليًا. ويتابع «ببساطة، يحتاج ترامب إلى إثبات أن الانتقال من الحملة العسكرية إلى طاولة المفاوضات لا يُفسّر على أنه استسلام أمريكي أو تنازل لإيران، بل عليه أيضًا إدارة العملية بطريقة تُفضي إلى اتفاق يمنع الولايات المتحدة من الانجرار مجددًا إلى الحملة ضد إيران».

دول الخليج رؤية إسرائيلية

وطبقا ليُوئيل غوزانسكي، باحث أول ورئيس قسم الخليج في معهد دراسات الأمن القومي، فقد وضعت الحرب بين إيران والولايات المتحدة وإسرائيل دول الخليج في موقف مُعقد، بل وزادت من سوء وضعها الاستراتيجي. وعن ذلك يقول: «رغم نقاط الضعف التي عانت منها إيران، صمد النظام وأظهر مرونة، مع احتفاظه بأدوات ضغط رئيسية، ولا سيما قدرته على تهديد مضيق هرمز والبنية التحتية للطاقة في الخليج. في الوقت نفسه، أبرزت الحرب في نظر دول الخليج محدودية الضمان الأمني الأمريكي وعجز البدائل الأخرى – كالقوى الخارجية والتحالفات الإقليمية والاعتماد على الذات – عن توفير أمن حقيقي». ونتيجة لذلك، يرجح يُوئيل غوزانسكي أن تواصل دول الخليج سياسة التحوط من المخاطر؛ مزيج من استمرار الاعتماد على الولايات المتحدة، وتعميق الحشد العسكري (لا سيما الدفاع ضد الصواريخ والطائرات المسيّرة)، تنويع الشراكات الدولية، محاولة تخفيف حدة التوتر مع إيران. كما يقول إنه «في الوقت نفسه، قد تروج هذه الدول لحلول لتجاوز مضيق هرمز، وعلى المدى البعيد، قد تدرس أيضا قدرات الردع غير التقليدية، إذا ما تبين أن إيران لا تزال تمتلك قدرات نووية. باختصار، لم تحل الحرب المشاكل الأمنية لدول الخليج، بل إكدت أن جميع البدائل الاستراتيجية المتاحة أمامها تقريبا جزئية وإشكالية».

حالة حزب الله

أما أورنا مزراحي، باحثة أولى ورئيسة قسم لبنان في «المعهد» فترى أن حزب الله يختتم هذه المرحلة بنتائج متباينة: فمن جهة، أدّى الحزب دوره لصالح إيران، وجر إسرائيل إلى جبهة أخرى، وأثبت أهميته وقدرته على إعادة البناء السريع، وظلّ عاملا رادعاً وتهديدياً في لبنان. ومن جهة أخرى، دفع ثمناً باهظاً تمثل في الخسائر، وتضرر البنية التحتية، وفشله في احتواء الجيش الإسرائيلي في جنوب لبنان، وفي إيجاد معادلات جديدة، وتفاقم الانقسامات الشعبية. وتضيف: «رغم كل هذا، لا يمكن رثاء حزب الله هذه المرة أيضاً. فحتى لو استمرت الحملة الحالية، فلن يستسلم بسهولة، وسيعود إلى الاستثمار، بمساعدة إيران، في إعادة تأهيله وتعزيز مكانته، وسيعمل بحزم على منع تنفيذ اقتراح الرئيس عون بإجراء مفاوضات نزيهة مع إسرائيل».

الحل السياسي المفقود

في سياق متصل كان وزير الخارجية الإسرائيلي الأسبق شلومو بن عامي قد اعتبر أن إسرائيل فازت في المعركة وخسرت في الحرب، محذرا من أن سياسات نتانياهو الفاشلة قادتها لمواجهة تهديدات وجودية حقيقية متنوعة. في مقال موسع نشرته صحيفة «هآرتس» قال بن عامي إن وقف إطلاق النار الذي أعلن في الحرب مع إيران يضع خاتمة لهزيمة استراتيجية كبرى لمهندسي الحرب، الثنائي دونالد ترامب وبنيامين نتنياهو. وعلى رؤيته بالقول إن الإنجازات العسكرية واضحة، لكنها تذكّر أيضاً بحوار اقتبسه الكولونيل هاري سامرز في كتابه عن حرب فيتنام، إذ قال «لم تهزمونا قط في ساحة المعركة، فردّ الضابط الفيتنامي الشمالي صحيح، لكننا انتصرنا في الحرب». ويتابع «ستُسجّل هذه الحرب بأنها من الحالات البارزة التي وقعت فيها قوتان عسكريتان من الأقوى في العالم في فخ الحروب غير المتكافئة، حيث تفشل القوى الكبرى في تحويل التفوق التكتيكي إلى نصر استراتيجي. تعلّمنا من كلاوزفيتز أن تدمير قوات العدو يحسم الحروب، لكن هذا لم يحدث مع إيران. إن الحروب غير المتكافئة تتحدى مفهوم المعركة الحاسمة؛ لقد خاضت إيران حرب استنزاف ضد الاقتصاد العالمي، عبر تهديد مضيق هرمز، ووسّعت ساحة القتال عبر ميليشياتها، وعلى رأسها حزب الله، واستخدمت الطائرات المسيّرة والصواريخ بفعالية لتقليص تفوُّق خصومها». وبرأي بن عامي لا ينبع الخطر على إسرائيل من أعدائها فقط، بل من طريقة تعاملها مع التهديدات. وعن ذلك يضيف «يشكّل البرنامج النووي الإيراني تهديداً إقليمياً، لكنه لم يُنشأ أساساً ضد إسرائيل، بل كضمان لبقاء النظام. اختارت إسرائيل، بقيادة بنيامين نتنياهو، أن تكون في طليعة المواجهة مع إيران، لكن استراتيجية العقوبات والاحتواء كان يمكن أن تحقق النتائج من دون الحرب. وكان هناك مسار دبلوماسي ممكن، لكن نتنياهو عمل على إفشاله، بما في ذلك دفع إدارة ترامب إلى الانسحاب من الاتفاق النووي 2015، رغم التزام إيران به». لافتا أن هذه الحرب تظهر طبيعة النظام الإيراني، القادر على الصمود ودفع أثمان باهظة؛ رغم الضربات التي تلقّاها، فإن «نصره» يكمن في بقائه؛ بل إن ترامب منحه شرعية عبر فتح باب التفاوض معه، ولم يتحقق أي هدف من أهداف الحرب؛ فلم يتم القضاء على البرنامج النووي، ولا على القدرات الصاروخية واليورانيوم المخصّب الموجود لديها؛ هذه الملفات كلها ستعود إلى طاولة المفاوضات، مثلما كانت عليه قبل الحرب. ويقول أيضا إنه في مسائل التفاوض، يمكن للإيرانيين أن يلقنوا الذين يدّعون أنهم «أسياد الصفقات» درسا، وبشكل خاص عندما يكونون حريصين على تقليل الخسائر والتركيز على جبهات أخرى حيوية، بالنسبة إلى حكمهم. هذه المفاوضات لن يفرضها المنتصرون، كما تبددت أوهام تغيير النظام. ويتابع «في الواقع، بات الوضع اليوم أكثر راديكاليةً من أي وقت آخر؛ لقد مثلت الحرب تحوُّل الجمهورية الإسلامية الإيرانية إلى ديكتاتورية عسكرية، إذ منح نظام الملالي الحالي الشرعية للحاكم الأعلى الفعلي؛ الحرس الثوري الذي أنقذ النظام من الانهيار».

ويخلص بن عامي للقول «في النهاية، نعود إلى نقطة البداية التي لا مفرّ منها؛ السعي لحلول دبلوماسية، وهو مفهوم مرفوض في نظر حكومة نتنياهو. وبخلاف الولايات المتحدة، التي تستطيع تحمّل إخفاقات متكررة في حروب غير متكافئة، فإن إسرائيل ليست قوةً عظمى، حسبما يصوّرها نتنياهو؛ فسياساته الداخلية المُقسّمة ومغامراته الخارجية أضعفتا تماسُك المجتمع الإسرائيلي، وادتا إلى تراجُع مكانة إسرائيل، حتى في الولايات المتحدة، إلى حدّ يشكل تهديداً استراتيجياً، ووجودياً».

هدنة هشة مع إيران تثير شكوكا حول مكاسب ترامب الاستراتيجية وتكشف نقاط ضعف جوهرية

واشنطن – «القدس العربي»: رائد صالحة

تتزايد الشكوك حول أهداف ومكاسب إدارة الرئيس الأمريكي دونالد ترامب بعد التوصل إلى وقف إطلاق نار مؤقت مع إيران، وسط مؤشرات مبكرة على هشاشة الاتفاق وتصاعد الخلافات حول بنوده، خاصة ما يتعلق بلبنان ومضيق هرمز والبرنامج النووي الإيراني.

فبعد أسابيع من التصعيد العسكري الذي بدأ في 28 شباط/فبراير بضربات أمريكية إسرائيلية مشتركة، بدا أن إعلان هدنة لمدة 14 يومًا يمثل مخرجًا سريعًا من حرب مكلفة. غير أن هذا «المخرج» سرعان ما تحول إلى مصدر قلق، مع تزايد المؤشرات على أن طهران تمكنت من فرض أوراق ضغط استراتيجية، رغم الخسائر العسكرية التي تكبدتها.

خلاف مبكر يهدد الهدنة

خلال أقل من 24 ساعة على إعلان وقف إطلاق النار، ظهرت تصدعات واضحة. فقد اتهمت إيران واشنطن بانتهاك الاتفاق، خصوصًا بعد تأكيد البيت الأبيض أن العمليات الإسرائيلية في لبنان لا تدخل ضمن نطاق الهدنة. هذا الموقف يتعارض مع ما أعلنته أطراف وسيطة، بينها باكستان، التي أشارت إلى أن لبنان جزء من الاتفاق.

رئيس البرلمان الإيراني محمد باقر قاليباف اعتبر أن «أساس التفاوض قد تم انتهاكه قبل أن يبدأ»، في حين وصف المتحدث باسم الخارجية الإيرانية إسماعيل بقائي الموقف الأمريكي بأنه «تراجع مبكر» عن الالتزامات.

في المقابل، تصر واشنطن على أن لبنان «ملف منفصل»، بينما وصف نائب الرئيس جي دي فانس الخلاف بأنه «سوء فهم»، محذرًا من أن إصرار طهران على ربط الملفين قد يؤدي إلى انهيار المفاوضات.

لبنان: ساحة تفجير محتملة

يبرز التصعيد الإسرائيلي في لبنان كأخطر تهديد مباشر للهدنة. فقد شنت إسرائيل أعنف غاراتها منذ بدء الحرب، مستهدفة مناطق واسعة في الجنوب والشرق، وصولًا إلى بيروت، ما أسفر عن مئات القتلى وآلاف الجرحى، إضافة إلى أكثر من مليون نازح منذ بداية التصعيد.

وترى طهران أن استمرار هذه الضربات بدعم أمريكي غير مباشر يقوض أي فرصة لنجاح الاتفاق، فيما حذر مسؤولون لبنانيون من أن الوضع يمثل «نقطة تحول خطيرة».

مضيق هرمز: ورقة الضغط الأهم

يبقى مضيق هرمز، الذي يمر عبره نحو 20 في المئة من إمدادات النفط العالمية، العامل الأكثر حساسية في المعادلة. فخلال الحرب، تمكنت إيران من فرض سيطرة فعلية على الممر البحري، ما أدى إلى ارتفاع حاد في أسعار النفط والغاز عالميًا. ورغم إعلان الهدنة، لا يزال وضع المضيق غامضًا. فبينما تؤكد واشنطن أنه مفتوح، تشير تقارير ملاحية إلى مرور عدد محدود جدًا من السفن، مقارنة بأكثر من 100 سفينة يوميًا قبل الحرب.

إيران، من جانبها، لم تلتزم بفتح كامل للمضيق، وطرحت فكرة فرض رسوم عبور قد تصل إلى دولار واحد لكل برميل نفط، في خطوة تعزز نفوذها الاقتصادي. بل إن تصريحات ترامب حول إمكانية إدارة المضيق «كمشروع مشترك» مع طهران أثارت مزيدًا من الجدل، واعتُبرت مؤشرًا على قبول ضمني بدور إيراني دائم في الممر الحيوي.

استمرار الهجمات رغم الهدنة

على الأرض، لم تتوقف العمليات العسكرية بالكامل. فقد أعلنت عدة دول خليجية، بينها قطر والكويت والسعودية، اعتراض صواريخ وطائرات مسيرة إيرانية استهدفت منشآت حيوية، بما في ذلك مرافق نفطية ومحطات كهرباء.

وتعزو واشنطن هذه الهجمات إلى «تأخر في إيصال أوامر وقف إطلاق النار» إلى بعض الوحدات الإيرانية، في حين تؤكد طهران أن قواتها «لا تزال في حالة جاهزية كاملة» تحسبًا لانهيار الاتفاق.

البرنامج النووي: غموض مستمر

أحد أبرز أهداف الحرب المعلنة كان منع إيران من امتلاك سلاح نووي. لكن هذا الهدف لا يزال بعيدًا عن التحقق، إذ تحتفظ طهران بمخزون كبير من اليورانيوم عالي التخصيب، يُقدَّر بنحو 970 رطلا، وفق الوكالة الدولية للطاقة الذرية.

ورغم تأكيد ترامب ووزير دفاعه بيت هيغسيث أن هذا المخزون «تحت المراقبة الدقيقة»، لا توجد مؤشرات على استعداد إيران للتخلي عنه. كما أن تصريحات أمريكية حول «إزالة المواد النووية المدفونة» لم تُقابل بأي التزام إيراني واضح.

انتصار عسكري أم مأزق استراتيجي؟

تؤكد الإدارة الأمريكية أنها حققت «انتصارًا حاسمًا»، مشيرة إلى تدمير آلاف الأهداف وإضعاف القدرات الجوية والبحرية الإيرانية. غير أن هذه القراءة تواجه تشكيكًا واسعًا.

فمنذ البداية، حذر محللون من قدرة إيران على خوض حرب غير متكافئة، تعتمد على استنزاف الخصم بدل مواجهته مباشرة، وهو ما تحقق جزئيًا عبر الضغط على الاقتصاد العالمي من خلال مضيق هرمز، واستمرار الهجمات غير المباشرة في المنطقة.

الأهم من ذلك، أن النظام الإيراني نجح في تحقيق هدفه الأساسي: البقاء. فرغم الضربات القاسية، لم تظهر أي مؤشرات على انهيار داخلي أو تمرد شعبي واسع، بل تم استبدال القيادة بسرعة بعد مقتل المرشد السابق، ما عزز استمرارية النظام.

مفاوضات مرتقبة وسط ضبابية

من المقرر أن تنطلق جولة مفاوضات جديدة في إسلام آباد بوساطة باكستانية، بقيادة نائب الرئيس الأمريكي، في محاولة لتحويل الهدنة المؤقتة إلى اتفاق دائم. لكن حجم الخلافات القائمة يجعل فرص النجاح غير مضمونة.

خلاصة

تكشف التطورات أن وقف إطلاق النار لم ينه الأزمة، بل نقلها إلى مرحلة أكثر تعقيدًا. فبين خلافات سياسية، وتصعيد ميداني، وغموض حول الملفات الاستراتيجية، تبدو إدارة ترامب أمام تحد صعب: ترجمة «الانتصار العسكري» إلى مكاسب سياسية حقيقية.

وفي المقابل، تظهر إيران أنها، رغم الخسائر، نجحت في فرض معادلة جديدة: القدرة على الصمود وإلحاق الضرر من دون الحاجة إلى تحقيق انتصار تقليدي. وهي معادلة قد تترك آثارها طويلاً على توازنات المنطقة والعلاقات الدولية.

وفي هذا السياق، لم تعد الانتقادات مقتصرة على التحليلات السياسية، بل امتدت إلى الفضاء الشعبي، حيث انتشر مقطع فيديو ساخر للكوميدي ديف كولومبو وحصد انتشارًا واسعًا، باعتباره تلخيصًا مكثفًا لحالة الارتباك في الخطاب الأمريكي.

في الفيديو، يؤدي كولومبو دور متحدث باسم البيت الأبيض يعلن «انتصارًا» يقوم على منطق متناقض، مثل القول إن هدف الحرب كان فتح مضيق هرمز الذي لم يُغلق إلا بعد الهجوم، وإن الولايات المتحدة طلبت مساعدة رغم تفوقها العسكري. كما يسخر من رواية تدمير البرنامج النووي، مقابل استمرار التحذير من خطره.

ورغم الطابع الكوميدي، يستند المقطع إلى مضامين قريبة من تصريحات فعلية، ما جعله يعكس حالة تشكك أوسع في الرأي العام بشأن أهداف الحرب ونتائجها، ويبرز كيف تحولت السخرية إلى أداة لانتقاد تضارب الرواية الأمريكية، خصوصًا في ملفات المضيق والبرنامج النووي والعلاقة مع الحلفاء.

لبنان: «حزب الله» يصرّ على عرقلة مسار التفاوض ويحاول تنفيذ انقلاب على الحكومة

بيروت – «القدس العربي»: سعد الياس

شهد لبنان هذا الأسبوع أعنف عدوان إسرائيلي على العاصمة اللبنانية منذ اجتياح عام 1982 لم يوفّر ناحية من بيروت من دون أن تطالها الغارات وخصوصاً كورنيش المزرعة وتلة الخياط وعين المريسة والبسطة امتداداً إلى منطقة عاليه والضاحية والجنوب والبقاع، كما شهد تسخيناً على الجبهة الجنوبية بين إسرائيل وبين «حزب الله» الذي يحاول إعادة فرض قواعد اشتباك جديدة من خلال تأكيد أمينه العام الشيخ نعيم قاسم رفض العودة إلى الوضع السابق و«استمرار المقاومة حتى ينقطع النفس»، معتبراً «أن العدو الإسرائيلي عجز عن الاجتياح البري»، وداعياً «المسؤولين اللبنانيين إلى إيقاف التنازلات المجانية».

وبدا أن «حزب الله» غاضب جداً من الدولة اللبنانية ولاسيما من رئيس الحكومة نواف سلام الذي يتهمه أنصار «الحزب» بأنه «صهيوني» وبأنه بزّر لإسرائيل قصف بيروت. ونظّم «الحزب» تظاهرتين في محيط السرايا الحكومية عشية سفره إلى الولايات المتحدة الأمريكية تزامناً مع الإعلان عن انطلاق المفاوضات المباشرة بين لبنان وإسرائيل يوم الثلاثاء بعد اتصال تمهيدي جرى بين سفيرة لبنان في واشنطن ندى حمادة معوض وسفير إسرائيل يحئيل لايتر بمشاركة السفير الأمريكي في بيروت ميشال عيسى ومدير تخطيط السياسات في الخارجية الأمريكية مايك نيدهام.

ويتهم «الحزب» رئيس الحكومة بأنه لم يأبه لأمر شمول لبنان بوقف إطلاق النّار أو كيح آلة الحرب الإسرائيلية وإنما ما شغله هو كيفية مفاوضة إيران لهدنة شملت لبنان. ويعبّر هذا الواقع عن شد الحبال الداخلي بين «حزب الله» الذي يريد تفويض إيران بالتفاوض عن لبنان آملاً بإفادة طهران من الورقة اللبنانية من جهة وآملاً باحتفاظ «الحزب» بسلاحه، فيما يرفض رئيس الجمهورية العماد جوزف عون ومعه رئيس الحكومة نواف سلام ووزير الخارجية يوسف رجي أن يفاوض أحد عن لبنان وأن يحتفظ أحد بسلاحه. وكان الرئيس عون حاسماً في جلسة مجلس الوزراء الخميس من «أننا دولة لها كيانها وموجودة، والدولة هي التي تفاوض، ولا نقبل بأن يفاوض أي أحد سوانا»، مضيفاً «نحن لنا القدرة والإمكانيات للتفاوض، وتالياً لا نريد أن يفاوض أي أحد عنا، هذا أمر لا نقبل به». أكثر من ذلك، قرر مجلس الوزراء تعزيز بسط سيطرة الدولة الكاملة على محافظة بيروت وحصر السلاح فيها بالقوى الشرعية وحدها، والتشدد في تطبيق القوانين واتخاذ التدابير كافة المطلوبة بحق المخالفين وإحالتهم على القضاء المختص، وهو ما لقي اعتراض وزراء الثنائي الشيعي.

وقد تسببت التحركات التي قام بها الثنائي الشيعي في محيط السرايا الحكومية وفي شوارع بيروت والعودة إلى إطلاق هتافات «شيعة شيعة» في توتير الأجواء وإلى ارتفاع أصوات سنية ترفض التعرض لرئيس الحكومة واستفزاز الشارع السنّي وخصوصاً بعد الأنباء التي تسرّبت عن تحضير «حزب الله» لتنفيذ انقلاب على الحكومة ترجمة لما يعتقدّانه على «مشارف انتصار تاريخي».

فلم تمض ساعات على إعلان الولايات المتحدة وقفًا لإطلاق النّار مع إيران لمدة أسبوعين، حتى سارع «حزب الله» إلى تسويق فكرة «الانتصار» ومحاولة استثمار الأمر ورفع منسوب التهديد والوعيد بإسقاط الحكومة والانتقام من المعارضين الذين رفضوا تتويج لبنان بالحرب، مستعيداً تجربة القمصان السود حيناً و7 أيار/مايو حيناً آخر لفرض منطق الغلبة من جديد على البلد، متجاهلاً ما حلّ بقرى وبلدات الجنوب من دمار وتهجير لحوالي مليون نسمة وسقوط آلاف الضحايا بين قتلى وجرحى.

وردا على هذه التظاهرات التي تندرج في سياق محاولة الانقلاب، بدا أن أي شارع في حال استمرار التحركات سيستدعي شارعاً مقابلاً ما يهدد بأخذ البلاد إلى فتنة في غير أوانها، وقد سُجلت دعوات للجيش والأجهزة الأمنية للتعامل مع هذه التحركات بصرامة منعاً لاستعادة مشهد احتلال ساحة رياض الصلح كما حصل في عهد حكومة الرئيس فؤاد السنيورة.

وشجبت أوساط سنية «الهجوم على رئيس الحكومة في وقت المطلوب هو الالتفاف حول الدولة من أجل مواجهة العدوان بدل الانشغال بصراعات سياسية داخلية»، وانتقدت هذه الأوساط «تسويرَ الأنظار عن المشكلة الأساسية المتمثلة بتوريط البلد بحرب فُرضت على اللبنانيين من دون أن يختاروها وإطلاق الاتهامات العشوائية والشعارات الاستفزازية»، مطالبين «الجيش اللبناني بالتدخل الصارم لمنع الفوضى لأن مسؤوليته حماية البلد والسلم الأهلي وليس مراقبة انهيار الدولة». واستغربت الأوساط قبول الثنائي الشيعي بالتفاوض بين إيران وأمريكا واعتباره انتصاراً لهم بينما التفاوض بين لبنان وإسرائيل هو خيانة وتنازل؟!»، سائلة «كيف كان التفاوض على الحدود البحرية التي أجراها الرئيس نبيه بري بالتنسيق مع أمين عام الحزب السابق حسن نصرالله حلالا وبات التفاوض حالياً محرّماً ويُقابَل بتظاهرات وتخوين؟!».

واللافت أن أول من بادر إلى رفض التعرض لرئاسة مجلس الوزراء واستنكار «حملة السّباب والشتائم» بحق الرئيس سلام كان الرئيس نجيب ميقاتي الذي ناشد الجميع «التعقل»، قائلاً «تبقى الوحدة اللبنانية هي الأساس والمدخل لحماية وطننا إزاء العدوان الإسرائيلي الذي نتعرض له».

كذلك، خرج أكثر من نائب بيروتي دفاعاً عن رئاسة الحكومة، ولوحظ حتى أن نائب البقاع الغربي حسن مراد الذي يخوض انتخاباته بالتحالف مع الثنائي الشيعي قطع علاقته بحزب الله بعد التهديدات بإعادة مشاهد 7 أيار. كذلك، لفت أن نائب طرابلس فيصل كرامي أبدى تضامنه مع الرئيس سلام، واعتبر ما جرى في بيروت «ليس تعبيراً مشروعاً عن الرأي بل هو فوضى سياسية في غير مكانها وتوقيتها». ولاحظ «أن المفارقة الصارخة هي أن، الفريق الذي يملأ الشارع اعتراضاً ممثل داخل الحكومة وشريك في القرار وبالتالي فإن المزايدة في ملف التفاوض هي تضليل مكشوف».

وجاءت هذه التحركات الاحتجاجية بعد مواقف تحريضية من مرجعيات شيعية في طليعتها المفتي الجعفري الممتاز الشيخ أحمد قبلان الذي حذّر من «لعبة حرق لبنان»، منتقداً «السلطة التي تفاوض إسرائيل بنفس الوقت الذي تتخلى فيه عن الوظيفة القتالية السيادية المقاومة وتمنع الجيش اللبناني من القيام بوظيفته الرئيسية وهي القتال الحدودي»، رافضاً ما أسماه «صفقة خيانة تذل من لبنان وسيادته والعودة إلى 17 أيار/مايو جديد». فيما نائب رئيس المجلس السياسي في «حزب الله» محمود قماطي الذي سبق له أن شبّه الحكومة بـ«حكومة فيشي»، عاود تهديداته وتوقع «تسونامي شعبي يجرف الحكومة».

وعليه، لن يكون دخول لبنان مسار التفاوض المباشر مع إسرائيل ميسراً في الداخل ولاسيما بوجود تساؤلات تحتاج إلى أجوبة وعلى رأسها هل سيقبل «حزب الله» بشرط نزع سلاحه وهل ستستطيع الدولة الالتزام بحصر السلاح من دون تفويض مسبق من «الحزب» بالتفاوض؟ وهل إذا وافق «حزب الله» على وقف إطلاق النار سيوافق على السير بمعاهدة سلام؟

وبات معلوماً أن اعتراضات «الحزب» على المفاوضات بين لبنان وإسرائيل يتأتى من رغبته في أن تضم إيران ملف لبنان إلى طاولة مفاوضاتها بهدف الإمساك مجدداً بالملف اللبناني وهذا ما لا تقبل به الولايات المتحدة ولا إسرائيل. من هنا، جاء قبول نتنياهو بالبدء بالمفاوضات مع لبنان وتخلت واشنطن عن لامبالاتها تجاه مبادرة الرئيس عون لقطع الطريق على طهران التي يُنتظر منها في إسلام آباد أن تتخلى عن أذرعها في المنطقة، وإلا ستبقى الأمور تراوح مكانها. لكن إذا علّقت إيران مفاوضاتها تضامناً مع «حزب الله» فستكون معرّضة لاحتمال معاودة الهجمات الأمريكية والإسرائيلية على أراضيها وعلى مواصلة حرب أنهكتها ما يضعها أمام معادلة شديدة الاحراج.

ومن المعلوم أن المبادرة الرئاسية التي أطلقها الرئيس عون ترتكز على 4 بنود هي:

«أ–إرساء هدنة كاملة مع وقف لكل الاعتداءات الإسرائيلية البرية والجوية والبحرية على لبنان. ب–المباشرة إلى تقديم الدعم اللوجستي الضروري للقوى المسلحة اللبنانية. ج–تقوم هذه القوى فورا بالبسيطرة على مناطق التوتر الأخير، ومصادرة كل سلاح منها، ونزع سلاح حزب الله ومخازنه ومستودعاته، وفق المعلومات والمعطيات الممكن توافرها لها. د – وبشكل متزامن، يبدأ لبنان وإسرائيل مفاوضات مباشرة برعاية دولية، للتوصل إلى تنفيذ تفاصيل كل ما سبق».

وكانت تل أبيب أعلنت على لسان مسؤوليها أنها غير معنية بأي وقف لإطلاق النار مع «حزب الله»، وأكدت الولايات المتحدة بدورها أن وقف إطلاق النار لا يشمل لبنان.

يبقى أن المفاوضات بين بيروت وتل أبيب ليست مجرد بحث في وقف إطلاق النار، بل ستكون جزءاً من إعادة ترتيب المشهد الإقليمي، وبمجرد انتقال الملف اللبناني من طهران إلى بيروت سيكون تحولاً مهماً وهذا ما يفسّر غضب «حزب الله» العارم.

مضيق هرمز والجدل الصاخب حوله في الأمم المتحدة

عبد الحميد صيام

كانت حجة الولايات المتحدة لتبرير الحرب العدوانية على إيران اقتراب البرنامج النووي من إنتاج القنبلة النووية، كما قال نائب الرئيس جي. دي. فانس. لكنها عادت وأكدت أن البرنامج توقف أصلا بعد هجمات حزيران/يونيو 2025. الآن يبررون الحرب بسبب إغلاق مضيق هرمز الذي ظل مفتوحا على مرّ العصور. أتذكرون تبريراتهم لتدمير العراق بحجة أسلحة الدمار الشامل؟ وعندما لم يجدوا أثرا لها قالوا نحن جئنا لنشر الديمقراطية.

في بداية الأزمة الحالية كانت هناك قناعة عامة أن دول الخليج لا دخل لها في المعركة وأن هذه الحرب بين طرفي الولايات المتحدة وإسرائيل من جهة وإيران من جهة أخرى. لذلك كان هناك موقف شبه متماسك لدول الخليج العربي عندما قدموا مشروع قرار لإدانة استهداف إيران لدول الخليج بحجة أن لا ناقة لهذه الدول ولا جمل في الحرب. قدمت مجموعة دول الخليج مشروع قرار للتصويت عليه يوم 11 آذار/مارس عندما وسّع نطاق التصويت إيجابيا وامتناع كل من روسيا والصين. وحصل مشروع القرار على رعاية من 136 دولة.

عاد مندوب البحرين، رئيس مجلس الأمن لشهر نيسان/أبريل وبدعم أمريكي، وقدم مشروع قرار لفتح مضيق هرمز بالقوة إن لزم الأمر. ومع بعض التعديلات على النص الأصلي وتخفيف اللغة إلا أن مشروع القرار عندما طرح للتصويت يوم الثلاثاء 7 نيسان/أبريل الحالي تعرض للفيتو الروسي الصيني المزدوج وامتناع كل من باكستان وكولومبيا عن التصويت.

ولو أن مشروع القرار تم اعتماده لشرعن استخدام القوة لإبقاء المضيق مفتوحا ولقامت الولايات المتحدة بتشكيل قوة بحرية من عديد من الدول لمرافقة سفن الشحن والدفاع عنها في حال تعرضها لأي تدخل من إيران، ما يمكن أن يحول المضيق والخليج العربي وبحر عمان وباب المندب ساحة صراع مفتوح، ولوجدت دول الخليج نفسها أنها الخاسر الأكبر. إن استخدام الفيتو سحب الغطاء عن المخطط الأمروصهيوني لتدويل الحرب وجذب دول عديدة للمشاركة مستندة إلى شرعية التدخل حسب منطوق ذلك القرار.

سنعرض بعض الآراء حول أزمة مضيق هرمز ومحاولة استخدام القوة لإبقائه مفتوحا للملاحة البحرية، كما كانت تتمنى الولايات المتحدة وبعض من حلفائها في المنطقة.

نستطيع أن نقسم مواقف أعضاء مجلس الأمن الدولي إلى ثلاثة: مؤيد متحمس بشدة، ومعارض بشدة وفئة ثالثة اتخذت موقفا وسطا يدعو إلى العقلانية، ترفض الحرب من أساسها وترفض كذلك الاعتداءات الإيرانية على دول الخليج.

ترأس عبد اللطيف بن راشد الزياني، وزير خارجية البحرين ورئيس المجلس الجلسة. وفي كلمة ألقاها بصفته الوطنية قبل إجراء التصويت: «إننا نعلن بصوت عالٍ وبشكل قاطع أمام هذا المجلس، المنوط به صون السلم والأمن الدوليين، أنه ليس لإيران أي حق في إغلاق هذا الممر المائي أمام الملاحة الدولية». وقال: «إن مشروع القرار المطروح اليوم لا يخلق واقعا جديدا، بل يشكل ردا جادا على نمط متكرر من السلوك الإيراني العدائي». وحث جميع أعضاء المجلس على دعم مشروع القرار.

وبعد فشل المجلس باعتماد مشروع القرار بسبب الفيتو المزدوج، أعرب الزياني عن أسفه لعدم اعتماد المجلس لمشروع القرار، قائلاً: «إن الفشل في اعتماد هذا القرار يبعث برسالة خاطئة إلى العالم»، داعياً المجلس إلى تحمل مسؤولياته، وإيران إلى الامتثال الكامل للالتزاماتها بدلاً من مهاجمة جيرانها.

السفير الأمريكي، مايكل والتز، أكد في مستهل كلمته أن بلاده «تقف إلى جانب مملكة البحرين وشعوب الخليج» في لحظة مفصلية. والتصويت على مشروع القرار يمثل «لحظة اختيار» للدول الأعضاء، في ظل انقسام داخل المجلس بشأن كيفية التعامل مع التطورات الجارية.

وأشار والتز إلى أن إيران قامت بزرع ألغام بحرية في المضيق، وإطلاق النار على سفن تجارية مدنية، مؤكداً أن هذه السفن تحمل مواد أساسية مثل النفط والأسمدة والإمدادات الطبية. كما اعتبر أن هذه الأعمال تهدد بإحداث نقص في الطاقة وتعطيل سلاسل الإمداد العالمية، مع احتمالات انعكاس ذلك على الأمن الغذائي. وأضاف أن تصريحات صادرة عن مسؤولين إيرانيين بشأن اعتبار مضيق هرمز «جزءاً من الأراضي الإيرانية» تمثل تطوراً خطيراً، معتبراً أن مثل هذا الطرح يهدد حرية الملاحة الدولية ويضع الاقتصاد العالمي تحت ضغط مباشر.

وتطرق المندوب الأمريكي إلى موقف بعض الدول داخل المجلس، مشيراً إلى أن روسيا والصين لم تدعما مشروع القرار، معتبراً أن ذلك يعكس تبايناً في المواقف الدولية بشأن التعامل مع الأزمة. كما وسّع نطاق مداخلته لتشمل اتهامات لإيران بدعم جماعات مسلحة وتهديد الاستقرار الإقليمي، واستهداف مصالح أمريكية، وأكد أن استمرار الوضع الحالي يحمل تداعيات تتجاوز الإطار الإقليمي لتشمل الاقتصاد العالمي والأمن الإنساني.

الموقف الإيراني عبر عنه السفير أمير سعيد إيرواني قائلاً: «إن الهدف من هذا المشروع جليٌّ وواضح، إذ يسعى إلى معاقبة الضحية على دفاعها عن سيادتها ومصالحها الوطنية الحيوية في الخليج الفارسي ومضيق هرمز، بينما يوفر غطاءً سياسياً وقانونياً للمزيد من الأعمال غير المشروعة التي يرتكبها المعتدون». وأضاف أن «هذا المشروع كان في جوهره مشروعاً أمريكياً»، معرباً عن ترحيبه بقيام الصين والاتحاد الروسي بممارسة حق النقض «الفيتو» بأسلوب «مسؤول»، وبامتناع كولومبيا وباكستان عن التصويت على نص كان من شأنه أن يضفي طابعاً طبيعياً على استخدام القوة استناداً إلى مزاعم غامضة لا أساس لها من الصحة. وقال إن النص المعروض «معيب من حيث الوقائع والقانون والسياسة»، وأنه يتسم بـ«الانحياز الكامل» ضد إيران، و يحملها مسؤولية الأزمة بشكل غير دقيق، ويتجاهل الأسباب الجذرية للتصعيد. وأوضح السفير الإيراني أن هذه الإجراءات الإيرانية تأتي - بحسب وصفها - في إطار «الحق الأصيل في الدفاع عن النفس» وفق ميثاق الأمم المتحدة، وفي سياق ما وصفته بـ«العدوان المستمر» على أراضيها وسيادتها.

المندوب الدائم للصين، فو كونغ، فسر تصويت بلاده ضد مشروع القرار المقترح لأن النص «أخفق في استيعاب الجذور العميقة للصراع وصورته الكاملة بطريقة شاملة ومتوازنة». وأشار إلى أن النص تضمن إدانات أحادية الجانب، فقد شدد على أن «هذه الحرب ما كان ينبغي لها أن تقع أبداً»، ودعا الولايات المتحدة وإسرائيل إلى الكف عما وصفه بالأعمال العسكرية غير القانونية. كما دعا إيران إلى وقف هجماتها، مشيراً إلى أن وفده يعمل حالياً جنباً إلى جنب مع موسكو على إعداد مشروع قرار بديل لمعالجة هذا الوضع.

ممثل الاتحاد الروسي السفير فاسيلي نيبينزيا، قال إنه استخدم حق النقض «الفيتو» ضد مشروع القرار غير المتوازن وأنه مع الصين سيقدمان «مشروعا موجزا ومنصفا ومتوازنا». وفي المقابل، أشار إلى أن مشروع القرار المطروح «زخر بعناصر غير متوازنة وغير دقيقة وتصادمية»، فقد صوّر التحركات الإيرانية باعتبارها المصدر الوحيد للتوترات الإقليمية. كما لاحظ أن الهجمات غير القانونية التي شنتها الولايات المتحدة وإسرائيل «لم تُذكر على الإطلاق». وعلاوة على ذلك، شدد على أن تداعيات هذا النص «واضحة لنا»، مذكّراً أعضاء المجلس بما أحدثه «التفسير الفضفاض والواسع النطاق» للقرار رقم 1973 (2011) من آثار في ليبيا.

ممثل باكستان عاصم افتخار أحمد الذي صوت بـ«امتناع» قال: «يجب إتاحة الوقت والمجال للجهود الدبلوماسية الجارية». وتحقيقا لهذه الغاية، سلّط الضوء على خطة من خمس نقاط أعلنت عنها بلاده والصين، وتدعو إلى الوقف الفوري للأعمال العدائية؛ وإطلاق محادثات سلام شاملة؛ وحماية المدنيين والبنى التحتية الحيوية؛ واستعادة الأمن البحري في المضيق؛ وتأكيد راسخ على القانون الدولي باعتباره إطاراً لا غنى عنه للتوصل إلى تسوية سياسية دائمة.

ممثلة كولومبيا، ليونور زالاباطا توريس، قالت إن وفدها قد امتنع عن التصويت، لأن «النص المعروض علينا اليوم أبعد ما يكون عن الإسهام في التوصل إلى حل تفاوضي». كما شددت هي الأخرى على ضرورة إفساح المجال لجهود الوساطة الجارية، مضيفة: «أن التدابير التي تؤدي إلى تصعيد المواجهة تنطوي على خطر تقويض هذه الفرص وعرقلة التقدم نحو حل تفاوضي».

إننا نعتقد أن فشل المجلس بتأمين غطاء شرعي للعدوان الأمروصهيوني على إيران، قد ساهم بدفع الولايات المتحدة لقبول الوساطة الباكستانية والتراجع عن تهديدات تدمير الحضارة الإيرانية وارتكاب حرب إبادة كما فعلت إسرائيل في غزة. لقد تخلى عن أمريكا أقرب حلفائها، لأن هذه الحرب غير المبررة وغير الشرعية كان يجب ألا تقع أصلا. ونأمل لبني قومنا أن يتنبهوا ويبحثوا عن مواطن قوتهم الذاتية وتحالفاتهم الإقليمية والدولية بعيدا عن محور الشر الثنائي الذي لا يقتأ يهين العرب والمسلمين وقياداتهم ويعمل على تدمير بلدانهم ونهب ثرواتهم وتركيع المنطقة بعصاها الغليظة تضرب كل من يحاول أن يتصرف وكأنه دولة مستقلة ذات سيادة.

تحركات دبلوماسية قطرية لاحتواء التصعيد في المنطقة

الدوحة – «القدس العربي»: حامد محمد

رغم التوترات العسكرية التي شهدتها منطقة الخليج خلال الأيام الماضية، أظهرت دولة قطر قدرة واضحة على إدارة المشهد المعقد سياسيا وأمنيا واقتصاديا، عبر تحرك دبلوماسي مكثف لاحتواء التصعيد، واستعدادات أمنية عالية لمواجهة التهديدات، بالتوازي مع استمرار مؤشرات الاستقرار والنمو في الاقتصاد الوطني. وشهد الأسبوع الماضي حراكا سياسيا واسعا قاده الشيخ تميم بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر، تزامن مع اتصالات وتحركات دبلوماسية مكثفة من قبل الحكومة القطرية لخفض التصعيد في المنطقة والحفاظ على أمن الملاحة والطاقة، في وقت واصل فيه الاقتصاد القطري تسجيل مؤشرات إيجابية تعكس متانته رغم التحديات الإقليمية.

وتعكس التطورات التي شهدتها قطر خلال الأسبوع الماضي قدرة الدولة على إدارة الأزمات المتشابكة في آن واحد، عبر الجمع بين التحرك الدبلوماسي الفاعل والاستعداد الأمني، مع الحفاظ في الوقت نفسه على استقرار الاقتصاد واستمرار النشاط الاستثماري، وهو ما يعزز صورة قطر كدولة قادرة على التعامل مع التحديات الإقليمية دون أن تتأثر مسيرة التنمية أو الاستقرار الاقتصادي.

وأجرى الشيخ تميم بن حمد آل ثاني سلسلة اتصالات مع عدد من قادة الدول، من بينهم الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون، والرئيس التركي رجب طيب أردوغان، ورئيس الوزراء الإسباني بيدرو سانشيز، إضافة إلى رئيس جمهورية غويانا، حيث جرى خلال هذه الاتصالات بحث تطورات الأوضاع الإقليمية وانعكاسات التصعيد العسكري على استقرار المنطقة وأمن الطاقة العالمي.

وفي السياق ذاته، أجرى أمير قطر اتصالاً هاتفياً مع رئيس وزراء باكستان شهباز شريف، جرى خلاله استعراض تطورات الأوضاع الإقليمية، لا سيما مستجدات إعلان وقف إطلاق النار بين الولايات المتحدة وإيران.

وخلال الاتصال، أطلع رئيس الوزراء الباكستاني أمير قطر على تفاصيل الاتفاق والجهود التي بذلتها إسلام آباد والتي أسهمت في التوصل إليه، حيث أعرب الشيخ تميم بن حمد عن دعمه لهذه الجهود الرامية إلى خفض التصعيد وتعزيز الاستقرار في المنطقة، كما بحث الجانبان الاعتداءات على لبنان وتداعياتها على أمن المنطقة واستقرارها، وأدانا الغارات الإسرائيلية التي استهدفت مناطق واسعة في لبنان، مؤكدين ضرورة دعم جهود إحلال السلام وتسوية النزاعات عبر الحوار والوسائل الدبلوماسية.

مباحثات قطرية بريطانية

كما بحث الشيخ تميم بن حمد آل ثاني مع رئيس الوزراء البريطاني كير ستارمر تطورات الأوضاع الإقليمية والدولية، خلال اجتماع بالدوحة.

وجدد ستارمر إدانته للاعتداءات الإيرانية التي تعرضت لها الدوحة، مؤكداً تضامن بلاده مع قطر ودعمها لإجراءاتها الرامية إلى حماية سيادتها وأمنها.

ورحب الجانبان بإعلان وقف إطلاق النار بين الولايات المتحدة وإيران، معتبرين أنه خطوة مهمة لخفض التصعيد وتعزيز الاستقرار الإقليمي. كما شددا على أهمية العمل مع الأطراف الدولية لتثبيت التهدئة وصولاً إلى اتفاق سلام دائم، بما يضمن أمن المنطقة واستقرار سلاسل الإمداد واستمرار تدفق الطاقة العالمية عبر مضيق هرمز.

كما واصل رئيس مجلس الوزراء وزير الخارجية الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن جاسم آل ثاني اتصالاته مع عدد من نظرائه في دول مختلفة، من بينهم وزراء خارجية إسبانيا والهند وتركيا والبرتغال والسعودية، إضافة إلى رئيس وزراء النرويج.

وأكد خلال هذه الاتصالات ضرورة وقف الاعتداءات التي تستهدف دول المنطقة، محذراً من تداعيات استهداف البنية التحتية الحيوية، خاصة المنشآت المرتبطة بالمياه والغذاء والطاقة.

كما شدد على أهمية حماية الممرات البحرية وضمان حرية الملاحة الدولية، لما لذلك من تأثير مباشر على استقرار الاقتصاد العالمي وسلاسل الإمداد.

رسائل تضامن وتنسيق أمني

وفي إطار الدعم الدولي، تلقى وزير الداخلية وقائد قوة الأمن الداخلي «لخويا» الشيخ خليفة بن حمد بن خليفة آل ثاني رسائل وبرقيات تضامن من عدد من وزراء الداخلية والمسؤولين الأمنيين في دول شقيقة وصديقة.

وشملت الرسائل مسؤولين من الإمارات والسعودية والبحرين والكويت وعُمان وباكستان وتركيا وإسبانيا وسنغافورة ورومانيا وفرنسا، حيث أكدت جميعها أهمية تعزيز التنسيق الأمني بين الدول لمواجهة التحديات التي تشهدها المنطقة.

وأعرب وزير الداخلية عن تقديره لهذه المواقف التي تعكس عمق العلاقات التي تربط قطر بشركائها الإقليميين والدوليين.

ومن جهته أكد مستشار رئيس مجلس الوزراء المتحدث الرسمي لوزارة الخارجية الدكتور ماجد الأنصاري أن قطر ليست طرفا في الحرب الدائرة، لكنها تواصل تحركاتها الدبلوماسية المكثفة مع مختلف الأطراف الدولية لخفض التصعيد.

وأشار إلى أن استهداف منشآت الطاقة في الخليج أو تعطيل الملاحة في مضيق هرمز يمثل خطوة مهمة لخفض التصعيد وتعزيز الاستقرار الإقليمي، كما شددا على أهمية العمل مع الأطراف الدولية لتثبيت التهدئة وصولاً إلى اتفاق سلام دائم، بما يضمن أمن المنطقة واستقرار سلاسل الإمداد واستمرار تدفق الطاقة العالمية عبر مضيق هرمز.

كما وصل رئيس مجلس الوزراء وزير الخارجية الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن جاسم آل ثاني اتصالاته مع عدد من نظرائه في دول مختلفة، من بينهم وزراء خارجية إسبانيا والهند وتركيا والبرتغال والسعودية، إضافة إلى رئيس وزراء النرويج.

وأكد خلال هذه الاتصالات ضرورة وقف الاعتداءات التي تستهدف دول المنطقة، محذراً من تداعيات استهداف البنية التحتية الحيوية، خاصة المنشآت المرتبطة بالمياه والغذاء والطاقة.

كما شدد على أهمية حماية الممرات البحرية وضمان حرية الملاحة الدولية، لما لذلك من تأثير مباشر على استقرار الاقتصاد العالمي وسلاسل الإمداد.

اقتصاد قوي رغم التوترات

اقتصادياً، أظهرت المؤشرات استمرار الأداء القوي للاقتصاد القطري رغم التوترات الإقليمية. فقد سجلت بورصة قطر مكاسب أسبوعية بلغت نحو 24.8 مليار ريال، مع ارتفاع المؤشر العام بنسبة تجاوزت 4 في المئة، كما ارتفع احتياطي النقد الأجنبي لدى مصرف قطر المركزي إلى نحو 262 مليار ريال بنهاية آذار/مارس 2026، في حين زادت احتياطيات الذهب بنسبة تقارب 48 في المئة خلال عام واحد لتتجاوز 60 مليار ريال.

وأشارت تقديرات وكالة ستاندرد آند بورز إلى أن الأصول السائلة الحكومية في قطر تعادل نحو 181 في المئة من الناتج المحلي الإجمالي، ما يعزز قدرة الدولة على مواجهة التقلبات الاقتصادية.

على صعيد الاستثمارات العالمية، ارتفعت أصول جهاز قطر للاستثمار إلى نحو 600 مليار دولار، ليحتل المرتبة التاسعة عالمياً بين أكبر الصناديق السيادية.

كما يواصل الجهاز توسيع نشاطه الاستثماري في قطاعات مختلفة حول العالم، في إطار استراتيجية تنويع الأصول وتعزيز العوائد طويلة الأجل.

وفي مؤشر آخر على حيوية الاقتصاد، أعلن مركز قطر للمال استقطاب أكثر من 800 شركة جديدة خلال الربع الأول من العام الجاري، بنسبة نمو بلغت 57 في المئة مقارنة بالفترة نفسها من العام الماضي.

كما أظهرت بيانات القطاع العقاري ارتفاع قيمة معاملات البيع إلى نحو 9.2 مليار ريال خلال الربع الأول من عام 2026، بزيادة تجاوزت 28 في المئة.

وفي قطاع الطاقة، تستعد قطر للطاقة لبدء تصدير الغاز الطبيعي المسال من مشروع «غولدن باس» في الولايات المتحدة بطاقة إنتاجية تبلغ 18 مليون طن سنوياً، في خطوة تعزز حضور قطر في أسواق الطاقة العالمية.

وفي قطاع التجارة، واصلت الخطوط الجوية القطرية استعادة نشاطها التشغيلي، حيث سجلت أعلى عدد رحلات يومية منذ بداية الأزمة، ما يعكس عودة حركة الطيران تدريجيا إلى مستويات مرتفعة.

وأعلنت وزارة التجارة والصناعة القطرية اتخاذ إجراءات احترازية بالتعاون مع القطاع الخاص لضمان استمرار تدفق الإمدادات الغذائية عبر مسارات بديلة، في إطار تعزيز منظومة الأمن الغذائي في مختلف الظروف.

واكد الدكتور سيف بن علي الحجري- الخبير البيئي - على الآثار السلبية الكبيرة للحروب على البيئة، وان هذه الآثار تختلف على اساس الأسلحة المستخدمة في الحروب، وأن أثرها لا يقتصر على الإنسان بل يمتد للكثير من أشكال الحياة الفطرية.

وقال د. سيف الحجري في تصريحات خاصة لـ «القدس العربي»: من أخطر الأسلحة التي تشكل تهديدا للبيئة الأسلحة النووية، والتي تشكل كابوسًا ومصدرًا للهلع، لما تسببه من آثار مدمرة على البيئتين الطبيعية والمشيدة، واستحالة التخلص الآمن من مخلفاتها حتى في مرحلة الاختبار، أما الأسلحة الكيميائية فقد تُستخدم بغرض إلحاق أقصى الضرر للعدو، لكنها لا تقتل الإنسان فقط بل تقتل كل ما هو حي، فتفيد الغابات، وتسبيت في انقراض سلالات من الكائنات الحية.

وأضاف: أما الأسلحة البيولوجية، أو الأسلحة القذرة، فلا تقتل فحسب، بل تتسبب في أمراض، مثل الأسلحة الجرثومية والبيكتيرية، حتى لو أدى الأمر إلى إحداث جوائح، في الغالب تخرج عن السيطرة، فتصيب المتسبب، فيما تستخدم الأسلحة الإشعاعية لغرضين الأول سلمي والثاني كأشد أسلحة الدمار فتكا بالأحياء، وتختلف عن باقي الأسلحة في كونها تدمر الأحياء، بينما لا تؤثر على البيئة المشيدة.

وأوضح أن التأثير على البيئة لا يقتصر على هذه الأسلحة فحسب، فقد خضعت الأسلحة التقليدية لعمليات تطوير لتصبح أكثر تسببا للهلاك والضرر، وهي تستهدف الإنسان والبيئة الطبيعية والمشيدة.

ونوه إلى أن الحروب تتسبب في إطلاق كميات هائلة من الغازات السامة والخانقة التي تؤثر على الغلاف الجوي وتتسبب في تغييرات مناخية على إلدين القريب والبعيد، وينتج عن خطر قد يأتي في السنوات المقبلة من جارها السوري، ومهما انتهى إليه الحال في إيران، فلن تستكين لقاعدتي الاحتواء والإضعاف. فقد أظهرت الحرب الحالية قدراتها الاستخباراتية في الداخل الإيراني.

خرج نتنياهو ليعلن بشكل صريح أن وقف إطلاق النار مع إيران هو «مرحلة استعداد للقادم» وليس نهاية المعركة. قال إن إسرائيل ستستمر في ضرب أهدافها بالاتفاق أو تجديد الحرب. تحتاج إسرائيل، كما كل الأطراف، إلى إعادة تذخير مخزوناتها الهجومية والدفاعية.

ستحدد محادثات إسلام آباد اتجاهات الآتي من الأيام، وما إذا كانت حرب الـ40 يوماً فتحت الطريق أمام بداية مسار حقيقي للسلام. لا تبدو القراءات لدى الفاعلين والمنخرطين والمستهدفين والمتأثرين بالصراع تحمل كثيراً من التفاؤل، وأننا على طريق نهايات الحرب أو الحروب. لن تخسر طهران ورقة «حزب الله» بكليتها، لكن سيتم إضعافها بما أمكن ما دامت جزءاً من أوراق قوة النظام في دولة الإمارات إلى ظهور مؤشرات على انتقال بعض دول الخليج من موقع الدفاع إلى أشكال أكثر فاعلية من الانخراط؛ وإذا صح ذلك، فإننا قد نكون أمام احتمال تحوُّل الصراع الأمريكي - الإسرائيلي – الإيراني إلى مواجهة إقليمية أوسع، تدخل إليها أطراف جديدة.

إيران التي مُنيت بضربات قاصمة في بنية النظام، وقُصفت منشآتها العسكرية، تحتاج إلى التقاط الأنفاس. ليس باستطاعة طهران أن تُعيد بناء قدراتها الصاروخية بالوتيرة التي قامت بها بعد الـ12 يوماً في حزيران/يونيو 2025. فقد أصاب التدمير شبه الكلّيّ منشآتها الصناعية العسكرية، واستهدفت الضرباتُ مداخل «مدن الصواريخ» المحفورة في الجبال. ضعفتْ قوتها العسكرية كبنية تحتية وذخائر ومنصات إطلاق وخبرات بما لا يمنح إيران هامش الإشباع من الصواريخ والمسيّرات الذي اعتمدته لاختراق الدفاعات الجوية.

من هنا، يتحوّل مضيق هرمز إلى الورقة الأهم بيدها نظراً إلى تأثيراته الاقتصادية العالمية. تُقامر بهذه الورقة. قد تخرج محتفظة بها كأحد أوراق الضغط التعويضية أو حتى التفوُّق الإستراتيجي، إذا سار ترامب بهذا المنحى، لكنها قد تخسر هذه الورقة إذا ما ارتدت عليها، من خلال إغلاق المضيق أمام كل السفن باعتماد معادلة: «إما المضيق للجميع وإما ليس لأحد». هذا سيُغير لعبة إيران، وسترفع من كلفتها عليها وعلى حلفائها كما على خصومها، إنما قد تحدّ من «الابتزاز» الذي يعيشه العالم.

عين إيران على واقع أذرعها، ولا سيما «حزب الله» في لبنان الذي أظهرت حرب الـ40 يوماً أن إيران أعادت بناء قوته بسواعدها وصواريخها وخبرات حرسها الثوري المنتشر على الأراضي اللبنانية. وهذا الانتشار وإعادة بناء قدرات «الحزب» تَمّ تحت أعين السلطات الأمنية والعسكرية والاستخباراتية التي كان يُفترض بها أن تُنفّذ خطة السلطة السياسة بحصر سلاح «حزب الله» في جنوب الليطاني، وفقاً لاتفاق وقف الأعمال العدائية الموقع في 27 تشرين الثاني/نوفمبر 2024 بعد انخراط «حزب الله» في حرب «إسناد غزة» وحرب الـ66 يوماً التي قضت على كبار قيادات «الحزب»، وفي مقدمهم أمينه العام السيد حسن نصرالله.

عاد انخراط «حزب الله» في حرب «الثأر لخامنئي» إلى تفعيل مفهوم «ربط الساحات»، الذي دخلت على خطه الفصائل المتحالفة مع إيران في العراق. قالت تل أبيب، ومعها واشنطن، إن وقف إطلاق النار مع إيران لا يشمل لبنان. فكان «الأربعاء الأسود» في عملية «الظلام الأبدي» التي شنّتها المقاتلات الحربية الإسرائيلية في 8 نيسان/أبريل الحالي على نحو 100 هدف في غضون 10 دقائق على مواقع ومرافق تابعة لـ«حزب الله» في بيروت والجنوب والبقاع ومناطق أخرى، فكانت الحصيلة سقوط مئات الضحايا المدنيين ودمار هائل أصاب العاصمة أعاد إلى الأذهان أهوال 4 آب/أغسطس 2020 يوم تفجير مرفأ بيروت.

أفضت تداعيات عملية «الظلام الأبديّ» إلى تحريك ملف المفاوضات المباشرة بين لبنان وإسرائيل. ستُعقد هذه المفاوضات في جولتها الأولى على مستوى دبلوماسي في واشنطن برعاية أمريكية. ليس خبراً سارّاً لإيران محاولات فصل الملف اللبناني الذي تريد أن تُبقيه بيدها حتى تأتي به إلى طاولة المفاوضات مع الأمريكيين. لن تخسر طهران ورقة «حزب الله» بكليتها، لكن سيتم إضعافها بما أمكن ما دامت جزءاً من أوراق قوة النظام الإيراني الذي يذهب إلى طاولة التفاوض الكبرى.

وسيبقى «حزب الله» تحت النار الإسرائيلية، فحتى لو ذهب بنيامين نتنياهو إلى وقف لإطلاق النار مع لبنان، فسيكون عودة إلى اتفاق 27 تشرين الثاني/نوفمبر 2024 الذي يُعطيه حق التحرُّك واستهداف «حزب الله» إذا ما شعر بخطره. ليس في العقل الإسرائيلي بعد 7 تشرين الأول/أكتوبر 2023 سياسة الاعتماد على التسويات لضمان أمن إسرائيل، في ظل رؤيتها أن الحرب التي تخوضها راهناً هي حرب وجودية. من الصعب أن تتعامل مع جبهة لبنان على غرار التفاهمات السابقة. تريد بالقين أن تُنهي خطر «حزب الله» على جبهتها الشمالية، وأي خطر قد يأتي في السنوات المقبلة من جارها السوري، ومهما انتهى إليه الحال في إيران، فلن تستكين لقاعدتي الاحتواء والإضعاف. فقد أظهرت الحرب الحالية قدراتها الاستخباراتية في الداخل الإيراني.

خرج نتنياهو ليعلن بشكل صريح أن وقف إطلاق النار مع إيران هو «مرحلة استعداد للقادم» وليس نهاية المعركة. قال إن إسرائيل ستستمر في ضرب أهدافها بالاتفاق أو تجديد الحرب. تحتاج إسرائيل، كما كل الأطراف، إلى إعادة تذخير مخزوناتها الهجومية والدفاعية.

ستحدد محادثات إسلام آباد اتجاهات الآتي من الأيام، وما إذا كانت حرب الـ40 يوماً فتحت الطريق أمام بداية مسار حقيقي للسلام. لا تبدو القراءات لدى الفاعلين والمنخرطين والمستهدفين والمتأثرين بالصراع تحمل كثيراً من التفاؤل، وأننا على طريق نهايات الحرب أو الحروب. لن تخسر طهران ورقة «حزب الله» بكليتها، لكن سيتم تبدو ملامح المرحلة المقبلة قاتمة على المنطقة. الحديث عن ترميم الثقة صعب ولا سيما بين دول الخليج وإيران.

الهدنة الهشة بين واشنطن وطهران: استراحة محارب تعيد ترتيب ساحات الحرب

رلى موفّق

يرى كثير من المراقبين أن هدنة الأسبوعين بين أمريكا وإسرائيل من جهة، وإيران من جهة ثانية، هي استراحة محارب قد تُمدَّد لمرات عدة تتراقبُ مع جولات تفاوض ستتعثر حيناً وتتقدَّم حيناً آخر. عَلق وقف إطلاق النار مشهد الانفجارات القوية في سماءي إيران وإسرائيل، لكنه بالتأكيد لم يُنه الحرب.

الهدنة حاجةٌ لكل الأطراف من أجل ترتيب أوضاعها تحضيراً لجولة مقبلة. قال الرئيس الأمريكي دونالد ترامب لـ«نيويورك بوست» إنه يجري تزويد السفن الحربية بالذخائر لاستئناف قصف إيران في حال فشلت المفاوضات، فيما نقلت صحيفة «وول ستريت جورنال» أن تعزيزات عسكرية من طائرات مقاتلة وهجومية وصلت مؤخراً إلى الشرق الأوسط، ويُتوقع وصول نحو 2000 جندي من الفرقة 82 المحمولة جواً خلال أيام. كذلك تُواصل حاملة الطائرات «جورج دبليو بوش» والسفن المرافقة لها تحركها عبر البحر الأطلسي باتجاه المنطقة.

واشنطن تستعد في التحشيد العسكري، في الوقت المستقطع؛ وهذه حال الآخرين. دول الخليج، التي وجدت نفسها في خضم الصراع، ما زالت تطالها الهجمات الإيرانية التي تستهدف منشآت الطاقة ومواقع حيوية. إيران، وسترفع من كلفتها عليها وعلى حلفائها كما على خصومها، إنما قد تحدّ من «الابتزاز» الذي يعيشه العالم.

عين إيران على واقع أذرعها، ولا سيما «حزب الله» في لبنان الذي أظهرت حرب الـ40 يوماً أن إيران أعادت بناء قوته بسواعدها وصواريخها وخبرات حرسها الثوري المنتشر على الأراضي اللبنانية. وهذا الانتشار وإعادة بناء قدرات «الحزب» تَمّ تحت أعين السلطات الأمنية والعسكرية والاستخباراتية التي كان يُفترض بها أن تُنفّذ خطة السلطة السياسة بحصر سلاح «حزب الله» في جنوب الليطاني، وفقاً لاتفاق وقف الأعمال العدائية الموقع في 27 تشرين الثاني/نوفمبر 2024 بعد انخراط «حزب الله» في حرب «إسناد غزة» وحرب الـ66 يوماً التي قضت على كبار قيادات «الحزب»، وفي مقدمهم أمينه العام السيد حسن نصرالله.

عاد انخراط «حزب الله» في حرب «الثأر لخامنئي» إلى تفعيل مفهوم «ربط الساحات»، الذي دخلت على خطه الفصائل المتحالفة مع إيران في العراق. قالت تل أبيب، ومعها واشنطن، إن وقف إطلاق النار مع إيران لا يشمل لبنان. فكان «الأربعاء الأسود» في عملية «الظلام الأبدي» التي شنّتها المقاتلات الحربية الإسرائيلية في 8 نيسان/أبريل الحالي على نحو 100 هدف في غضون 10 دقائق على مواقع ومرافق تابعة لـ«حزب الله» في بيروت والجنوب والبقاع ومناطق أخرى، فكانت الحصيلة سقوط مئات الضحايا المدنيين ودمار هائل أصاب العاصمة أعاد إلى الأذهان أهوال 4 آب/أغسطس 2020 يوم تفجير مرفأ بيروت.

أفضت تداعيات عملية «الظلام الأبديّ» إلى تحريك ملف المفاوضات المباشرة بين لبنان وإسرائيل. ستُعقد هذه المفاوضات في جولتها الأولى على مستوى دبلوماسي في واشنطن برعاية أمريكية. ليس خبراً سارّاً لإيران محاولات فصل الملف اللبناني الذي تريد أن تُبقيه بيدها حتى تأتي به إلى طاولة المفاوضات مع الأمريكيين. لن تخسر طهران ورقة «حزب الله» بكليتها، لكن سيتم إضعافها بما أمكن ما دامت جزءاً من أوراق قوة النظام الإيراني الذي يذهب إلى طاولة التفاوض الكبرى.

وسيبقى «حزب الله» تحت النار الإسرائيلية، فحتى لو ذهب بنيامين نتنياهو إلى وقف لإطلاق النار مع لبنان، فسيكون عودة إلى اتفاق 27 تشرين الثاني/نوفمبر 2024 الذي يُعطيه حق التحرُّك واستهداف «حزب الله» إذا ما شعر بخطره. ليس في العقل الإسرائيلي بعد 7 تشرين الأول/أكتوبر 2023 سياسة الاعتماد على التسويات لضمان أمن إسرائيل، في ظل رؤيتها أن الحرب التي تخوضها راهناً هي حرب وجودية. من الصعب أن تتعامل مع جبهة لبنان على غرار التفاهمات السابقة. تريد بالقين أن تُنهي خطر «حزب الله» على جبهتها الشمالية، وأي خطر قد يأتي في السنوات المقبلة من جارها السوري، ومهما انتهى إليه الحال في إيران، فلن تستكين لقاعدتي الاحتواء والإضعاف. فقد أظهرت الحرب الحالية قدراتها الاستخباراتية في الداخل الإيراني.

الهدنة لم تمنع الهجمات على بغداد وأربيل: من يخرق اتفاق وقف العمليات العسكرية في العراق؟

بغداد – «القدس العربي»: مشرق ريسان

على الرغم من توصّل الولايات المتحدة الأمريكية وإيران، إلى هدْنة تقضي بوقف العمليات العسكرية لمدّة أسبوعين، والدخول في مفاوضات تهدف إلى تسوية الأزمة وإنهاء الحرب القائمة منذ أكثر من 40 يوميا، يقابلها إعلان رسمي للفصائل المسلحة العراقية بوقف عملياتها خلال المدّة ذاتها، وثّق إقليم كردستان العراق هجمات بطائرات مسيرة، تقابلها هجمات مماثلة طالت مصالح أمريكية في العراق والمنطقة، في سلسلة حوادث تُنذر بعودة العمليات العسكرية في العراق مجدداً.

ونهاية الأسبوع الماضي، كشفت وزارة الداخلية في إقليم كردستان العراق، عن تصدي القوات الأمنية لهجمات بطائرات مسيرة استهدفت مواقع متفرقة في الإقليم بعد ليلة من قرار الهدْنة، مجددة التأكيد بأن سياسة الإقليم تركّز على النأي بكردستان عن التوترات الدائرة في المنطقة.

بيان صحافي للوزارة الكردستانية أفاد بأن «الهجمات وقعت ليلة الخميس، 9 نيسان/أبريل 2026، في أوقات وأماكن متفاوتة»، مؤكدة «نجاح الدفاعات في إفشال الهجمات وإسقاط المسيرات بدون تحقيق أهدافها».

وأشار البيان إ

حدث الأسبوع – غزة

غزة «الإبادة» تستمر... قتل يومي ومعاناة وفرض وقائع

غزة ـ «القدس العربي»: أشرف الهور

تشير كل الوقائع إلى أن إسرائيل ذاهبة نحو فرض المزيد من الوقائع على الأرض في قطاع غزة، مستغلة استمرار انشغال العالم بالحرب على جبهة إيران، وذلك لتمرير مخططاتها العسكرية، التي تهدف إلى استمرار احتلال أغلب مناطق قطاع غزة، من خلال الخطة التي عرضها «مجلس السلام» وتتلاءم مع مطالبها بشأن «سلاح المقاومة»، والتي أبدت فصائل المقاومة بشكل مبدئي الاعتراض عليها.

قتل وقصف

وقد لوحظ أن حجم الهجمات الحربية الدامية تزايد في قطاع غزة خلال أيام الأسبوع الماضي، لتطال الهجمات حواجز شرطية وتجمعات لمدنيين ومناطق النزوح، مخلفة ضحايا بين شهداء وجرحى.

وفي مرات عدة قصفت طائرات إسرائيلية مناطق النزوح في مدينة غزة، واستهدفت بطائرات مسيرة من نوع «كواد كابتر» بطلقات نارية مناطق أخرى تقع وسط القطاع، ركزت على تجمعات للمواطنين المدنيين، بالإضافة إلى ذلك شنت غارات أخرى على مدينة خان يونس وتحديدا على المناطق الغربية من المدينة، التي يكثر فيها النازحون، فاستهدفت هناك حواجز شرطية ومناطق الخيام.

وكغيرها قتلت هذه الصواريخ الحربية التي أطلقت على المواطنين، أو الرصاص الموجه من الطائرات المسيرة عددا من السكان بينهم نساء، في عدة مجازر أضيفت لسجل المجازر الطويل الذي بدأ منذ السابع من أكتوبر.

وكان لافتا أن عدد الضحايا ارتفع خلال فترة الشهر الماضي، بسبب تزايد الهجمات تحت غطاء انشغال العالم بالحرب الدائرة على جبهة إيران، حيث لم تعد قوات الاحتلال تركز على المناطق الواقعة خلف «الخط الأصفر»، التي تتبع لسيطرتها الكاملة، حيث تتواصل هناك يوميا عمليات القصف المدفعي وإطلاق النار الكثيف، بل وامتدت إلى ما تبقى من مناطق ضيقة يقيم فيها السكان بكثافة كبيرة تفوق أكثر مناطق العالم ازدحاما.

ويتضح من الأمور الجارية على الأرض، خاصة في ظل التصعيد المتتالي الذي بدأته منذ أن شرعت بالحرب ضد إيران، أن الأمور تتجه نحو الأسوأ، خاصة وأن إسرائيل تتعمد إفشال أي جهود حقيقية لإنهاء الحرب وبدء معالجة آثارها الصعبة على سكان غزة.

تخوف من التصعيد

ولذلك يتوقع أن يتضاعف حجم القصف والقتل اليومي للفلسطينيين في غزة، حيث يفشل المجتمع الدولي في فرض قيود على إسرائيل التي تتحرك بغطاء أمريكي، خاصة وأن كل الدلائل على الأرض تشير إلى أن النوايا الإسرائيلية تتجه نحو إبقاء احتلال الجزء الأكبر من قطاع غزة، وذلك من خلال قوة النار التي تمنع فيها الوصول إلى أطراف مناطق «الخط الأصفر»، ومن التوغلات البرية في محيطه، كما جرى مؤخرا في مدينتي خان يونس جوبا وغزة في الشمال.

الطريقة الفجّة ما هو إلا سعي مفضوح من قبل الاحتلال لمواصلة القتل والإبادة بحق شعبنا، وهو ما لن نقبله بأي حال من الأحوال»، وأضاف «ما لم يستطع العدو انتزاعه منا بالدبابات والإبادة، لن ينتزعه منّا بالسياسة وعلى طاولة المفاوضات»، وكان بذلك يؤكد رفض مقترح «نزع السلاح».

وبما يكشف النوايا الإسرائيلية، أكد الوزير الإسرائيلي المتطرف بتسلئيل سموتريتش، وجود مخططات لاقتطاع أراض من قطاع غزة وإقامة مشاريع استيطانية، ولذلك اعتبرت حماس هذه التصريحات تأكيدا على «النوايا الإجرامية لحكومة الاحتلال، الرامية إلى تقويض اتفاق وقف إطلاق النار».

ومع مواصلة الخروقات الإسرائيلية لاتفاق التهدئة، قالت مؤسسة الضمير لحقوق الإنسان في غزة، إن الانتهاكات الجسيمة والمنهجية التي ترتكبها قوات الاحتلال الإسرائيلي بحق المدنيين تتواصل، وقالت إنها لا تقتصر على القتل والاستهداف المباشر، بل امتدت لتشمل تدمير الأحياء السكنية بشكل واسع، وفرض حصار خانق، وتهجير السكان قسرا من مناطقهم، وتطرقت في تقرير أصدرته إلى تواصل سياسات السيطرة على الأراضي في قطاع غزة بوتيرة متصاعدة، من خلال فرض ما يُعرف بـ«المناطق العازلة»، وعلى وجه الخصوص «المنطقة الصفراء»، وذكرت أن المعلومات الميدانية تشير إلى أن ما نسبته 53 في المئة من مساحة القطاع أصبحت خاضعة لقيود مشددة، بعد تفريغها من سكانها وتحويلها إلى مناطق عسكرية مغلقة، بما يشكل انتهاكا واضحا لحقوق الملكية، الفردية والجماعية، وحرمانا للسكان من الانتفاع بأراضيهم ومواردهم.

فرض وقائع

وأكدت أن قوات الاحتلال «تواصل فرض وقائع جغرافية جديدة بالقوة العسكرية»، من خلال السيطرة على مساحات واسعة من قطاع غزة، شملت مدينة رفح جنوبا، وأجزاء كبيرة من محافظة خان يونس، إضافة إلى المناطق الشرقية في المحافظة الوسطى، ومناطق واسعة في مدينة غزة وشمال القطاع، وقالت إن ذلك أدى إلى «تغيير ديموغرافي قسري وحرمان السكان من الوصول إلى أراضيهم وممتلكاتهم»، وطالبت المجتمع الدولي بضرورة التدخل الفوري، وعدم التضحية بمبادئ القانون الدولي، وبالتعامل مع قضية الشعب الفلسطيني باعتبارها قضية حقوق إنسانية رتبتها الشرعية الدولية، وقالت إن ذلك يستوجب من المجتمع الدولي عدم الاستسرار في الصمت من خلال ما التزم به وفقا للقانون الدولي، وشددت على ضرورة الوقف الفوري لكافة أشكال الاستهداف والانتهاكات بحق المدنيين في قطاع غزة، وإنهاء الحصار المفروض على القطاع، وضمان تدفق المساعدات الإنسانية من دون قيود، ووقف سياسات التهجير القسري، وإعادة السكان إلى مناطقهم الأصلية، وكذلك إلغاء ما يسمى بـ«المنطقة الصفراء» ووقف سياسات مصادرة الأراضي.

أوضاع إنسانية متدهورة

وعن صورة الوضع القائم حاليا، قالت وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين لبيان أصدرته، التطورات الميدانية في قطاع غزة والضفة الغربية والانتهاكات التي يقوم بها الاحتلال بشكل فج في تنفيذ اتفاق وقف إطلاق النار، حيث وصل عدد الشهداء منذ بدء الاتفاق إلى نحو 700 شهيد، إلى جانب إعادة احتلال مناطق في قطاع غزة حول «الخط الأصفر».

وقالت الحركة إن الوفد استعرض في لقاءاته آخر المستجدات التفاوضية، مشددا على أهمية الالتزام بتنفيذ اتفاق شرم الشيخ، وخاصة إلزام الاحتلال بتنفيذ كل ما هو مطلوب في المرحلة الأولى، كما قدم شرحا مستفيضا حول الأوضاع الإنسانية والأمنية في القطاع.

وترافق ذلك مع مناقشات حركة حماس وفصائل المقاومة لمقترح «مجلس السلام» الذي تسلمته الشهر الماضي من الممثل السامي لـ«مجلس السلام» نيكولاي ملادينوف، والذي يطالبها بنزع سلاحها، كمقدمة للبدء في تنفيذ المرحلة الثانية من الاتفاق، وهو أمر تشكك فيه الحركة، في ظل ما كشف عن خطط إسرائيلية جديدة لإبقاء الاحتلال، ورفض إسرائيل تنفيذ ما عليها من التزامات وردت في المرحلة الأولى.

ولذلك لم توافق حركة حماس على الخطة التي قدمت لها من قبل ملادينوف، وأعلنت ذلك صراحة عبر الناطق باسم الجناح العسكري لكتائب القسام أبو عبيدة، قبل أيام، حيث قال «إن ما يحاول الاحتلال تمريره اليوم على المقاومة الفلسطينية عبر الوسطاء أمر بالغ الخطورة»، مؤكدا أن الطرف الفلسطيني أدى ما عليه من التزامات، احتراما لجهود الوسطاء وسحبا للذريعة من يد الاحتلال.

وشدد على أن «طرح ملف السلاح بهذه الطريقة الفجّة ما هو إلا سعي مفضوح من قبل الاحتلال لمواصلة القتل والإبادة بحق شعبنا، وهو ما لن نقبله بأي حال من الأحوال»، وأضاف «ما لم يستطع العدو انتزاعه منا بالدبابات والإبادة، لن ينتزعه منّا بالسياسة وعلى طاولة المفاوضات»، وكان بذلك يؤكد رفض مقترح «نزع السلاح».

وبما يكشف النوايا الإسرائيلية، أكد الوزير الإسرائيلي المتطرف بتسلئيل سموتريتش، وجود مخططات لاقتطاع أراض من قطاع غزة وإقامة مشاريع استيطانية، ولذلك اعتبرت حماس هذه التصريحات تأكيدا على «النوايا الإجرامية لحكومة الاحتلال، الرامية إلى تقويض اتفاق وقف إطلاق النار».

ومع مواصلة الخروقات الإسرائيلية لاتفاق التهدئة، قالت مؤسسة الضمير لحقوق الإنسان في غزة، إن الانتهاكات الجسيمة والمنهجية التي ترتكبها قوات الاحتلال الإسرائيلي بحق المدنيين تتواصل، وقالت إنها لا تقتصر على القتل والاستهداف المباشر، بل امتدت لتشمل تدمير الأحياء السكنية بشكل واسع، وفرض حصار خانق، وتهجير السكان قسرا من مناطقهم، وتطرقت في تقرير أصدرته إلى تواصل سياسات السيطرة على الأراضي في قطاع غزة بوتيرة متصاعدة، من خلال فرض ما يُعرف بـ«المناطق العازلة»، وعلى وجه الخصوص «المنطقة الصفراء»، وذكرت أن المعلومات الميدانية تشير إلى أن ما نسبته 53 في المئة من مساحة القطاع أصبحت خاضعة لقيود مشددة، بعد تفريغها من سكانها وتحويلها إلى مناطق عسكرية مغلقة، بما يشكل انتهاكا واضحا لحقوق الملكية، الفردية والجماعية، وحرمانا للسكان من الانتفاع بأراضيهم ومواردهم.

مباحثات مع الوسطاء

وقام وفد قيادي من حماس بزيارة إلى كل من العاصمة التركية أنقرة والمصرية القاهرة، لمتابعة تنفيذ اتفاق وقف إطلاق النار، وشهدت الزيارة الثانية عقد لقاء مع الوسطاء من مصر وقطر وتركيا، إلى جانب عدد من اللقاءات الوطنية مع قادة ومسؤولي الفصائل الفلسطينية، لتحقيق مواقف وطنية مشتركة من مختلف القضايا، وبحث حماس وفقا

صيادو غزة بلا بحر: لقمة العيش تغرق في صمت الحصار

إسماعيل عبدالهادي

تزداد معاناة الصيادين في غزة يوميا والفقر يطال آلاف العائلات في ظل استمرار الحرب والحصار، ما أدى إلى انهيار شبه كامل لقطاع الصيد، أحد أهم مصادر الدخل والغذاء في القطاع، وحرمان الصيادين من ممارسة عملهم، حتى الاقتراب من البحر في بعض المناطق قد يؤدي إلى الاستهداف، وسط قيود خانقة ومساحات صيد محدودة.

ويعمل في مهنة الصيد في غزة قرابة 4500 شخص، فقدوا جميعهم مصدر دخلهم الأساسي، فيما قتل على مدار السنوات الماضية أكثر من 200 صياد خلال عملهم داخل البحر، في حين يواصل الاحتلال اعتقال ما يقارب من 145 صيادا داخل السجون الإسرائيلية.

ومنذ بدء حرب الإبادة على غزة مطلع أكتوبر 2023، دمر الاحتلال الإسرائيلي ميناء غزة، وحرق وأغرق جميع مراكب الصيادين، عدا عن قصف غرف الصيادين والمعدات، في مقابل ذلك يحاول صيادون باستخدام قوارب بدائية الإبحار لمسافات قصيرة، والصيد باستخدام الشباك الممزقة لتوفير لقمة عيش يسدون من خلالها رمق جوعهم.

وتحول ميناء غزة الذي كان يعج بالمراكب والصيادين إلى مخيمات للنازحين، بعد أن كان مزارا يأتي إليه الغزيون للتنزه وركوب القوارب، لكن اليوم تحول إلى عشوائيات في ظل ضيق المساحات.

يقول نقيب الصيادين الفلسطينيين نزار عياش يواجه قطاع الصيد في غزة انهيار شبه كامل نتيجة الاستهداف المتكرر للبنية التحتية البحرية، بما في ذلك الموانئ والقوارب ومعدات الصيد، وقد تم تدمير نحو 95 في المئة من القوارب، بما فيها القوارب الكبيرة التي كانت تشكل العمود الفقري للإنتاج السمكي، ما أدى إلى توقف شبه تام في العمل البحري.

وأضاف لـ «القدس العربي»: أن الخسائر لم تطل الصيادين فقط، بل أن العمال وباقي الأسماك وصانع القوارب والشباك هم أيضا تضرروا من الدمار الذي حل بقطاع الصيد، فهم جميعا كانوا يعتمدون على عمليات الإبحار والصيد.

وبين أن قطاع الصيد البحري يعتبر ثاني أهم القطاعات التشغيلية المهمة في قطاع غزة، ويضم شريحة كبيرة من العمال، لكن بعد توقفه بشكل كامل، زادت معدلات البطالة.

وأشار إلى أن قطاع الصيد كان يوفر مصدر دخل لآلاف العائلات، لكن مع توقفه فقد آلاف الصيادين أعمالهم وتعيش عائلات كاملة اليوم في فقر مدقع، وتضررت مهن مرتبطة بالصيد مثل بيع الأسماك والنقل والتبريد، وجميع هذه القيود أدت إلى انخفاض الإنتاج السمكي بشكل حاد، ما فاقم الأزمة الاقتصادية والغذائية في القطاع.

في سياق ذلك، عبر عدد من صيادي الأسماك ممن فقدوا عملهم نتيجة تدمير معداتهم، عن بالغ استيائهم من توقف عملهم وفقدان مصدر دخلهم الوحيد، وحرمانهم من ترميم معداتهم واستئناف عملهم في الصيد.

يقول سليم أبو عمر الذي يعمل في مهنة الصيد البحري منذ ما يزيد عن عشرين عاما، تحول البحر من رمز للحياة إلى رمز للخطر والمعاناة، حيث تقدر خسائر الصيادين بمئات ملايين الدولارات، بعد التدمير المتعمد من قبل الاحتلال لميناء الصيادين، وجميع القوارب والمعدات التي كانت تتواجد داخل حوض الميناء.

وبين لـ«القدس العربي» أن «دمر الاحتلال قاربا بحريا خاصا بي تقدر تكلفته بخمسة آلاف دولار أمريكي، كنت أعمل عليه برفقة أخوتي وعدد من العمال، لكن بعد أن دمر بالكامل وقطعت أرزقنا، أحاول الإبحار بقارب صنعته بشكل يدوي، من أجل البحث عن لقمة العيش في ظل الظروف الصعبة».

وأشار إلى أن قطاع الصيد تعرض لكارثة، بعد أن دمر الاحتلال الإسرائيلي ميناء غزة، حيث تحول بحر غزة من مصدر للأسماك لمناطق الضفة الغربية والداخل المحتل، إلى مستورد للأسماك المجمدة.

ولم تنته معاناة الصيادين عند حد تدمير معداتهم وقتلهم واعتقالهم، بل أن تعرض العشرات منهم لإصابات جسدية بالغة، أفقدتهم فرصة العمل بشكل نهائي، وهذا حال الصياد خضر الصادي، الذي أنهى الاحتلال عمله وفقدت عائلته مصدر الدخل، وباتت في وضع معيشي صعب، بعد أن تعرض لطلق ناري من الزوارق الحربية في الرأس، فقد على إثر ذلك بصره، كذلك هو حال الصياد موسى جياب، الذي أصيب خلال عمله في البحر لطلق ناري من الزوارق الحربية في الظهر، وما زال يعاني من شلل نصفي، ولم تجد أسرته مصدر دخل.

«الأونروا»، إن «وقف إطلاق النار في غزة هو بالاسم فقط»، هذه المنظمة الأممية التي تعد الأكبر من بين مقدمي الخدمات لسكان غزة المنكوبين، أوضحت أنه بعد ما يقارب من الستة أشهر على بدء سريان وقف إطلاق النار، «تواصلت الغارات الجوية والقصف وإطلاق النار في مختلف أنحاء قطاع غزة»، ونقلت تحذير مفوضية الأمم المتحدة السامية لحقوق الإنسان، من أنه لا يزال الفلسطينيون يعيشون في ظروف الهشاشة والتجريد من الإنسانية.

ويقول ويلي نيبكو، منسق الطوارئ ورئيس مكتب برنامج الأغذية العالمي في غزة، إن أفضل وصف للوضع الغذائي في القطاع اليوم هو أنه «هشّ إلى درجة خطيرة»، ويوضح أن غزة كانت، قبل وقف إطلاق النار في تشرين الأول/أكتوبر 2025، تعيش ما يشبه «الجحيم على الأرض» مع نقص الإمدادات وتعطل وصول السلع الأساسية والمساعدات، قبل أن يشهد القطاع إنفراجة نسبية بعد الهدنة مع فتح المعابر وارتفاع تدفق السلع الإنسانية والتجارية، لكنه قال إن هذا التحسن كان «هشا وقصير العمر»، وأنه منذ التصعيد الإقليمي الذي بدأ في 28 شباط /فبراير2026، دخل القطاع، بحسب وصفه، مرحلة جديدة من «الهشاشة ذات الأفق السلبي جدا»، مع إغلاق المعابر أو تقليص عملها، وتراجع الشاحنات التجارية والإنسانية، والارتفاع الحاد في الأسعار، لافتا إلى أن هذا الأمر «يهدد بتقويض المكاسب المحدودة التي تحققت بعد الهدنة».

وأوضحت بيانات نشرها موقع الأمم المتحدة هذا الأمر، وأشارت إلى انخفاض الإمدادات التجارية الواصلة إلى غزة من أكثر من 900 شاحنة أسبوعيا في كانون الثاني/يناير وشباط/فبراير، إلى أقل من 400 شاحنة أسبوعيا خلال آذار/مارس، مع بقاء الحجم الأسبوعي حتى نهاية الشهر عند أقل من نصف مستواه قبل التصعيد.

وأشار الموقع الإعلامي للأمم المتحدة إلى أن المشاكل الصحية التي يواجهها سكان غزة، ومنها أمراض التهابات الجهاز التنفسي تتزايد بشكل كبير بين السكان، تليها حالات الإسهال الحاد، إضافة إلى انتشار الطفيليات الخارجية مثل القمل والقراد والبراغيث، في ظل ظروف صحية صعبة داخل مراكز الإيواء والخيام في قطاع غزة.

وذكر أن التحديات تزداد مع النقص الحاد في مستلزمات النظافة الشخصية والمبيدات الحشرية وعلاجات الجرب، حيث مُنع دخول العديد من المواد الأساسية، فيما أوشكت المخزونات على النفاد، وقد أدى ذلك إلى تقليص عمليات التوزيع لتصبح محدودة وموجهة، في وقت تصل فيه الإمدادات ببطء وعلى دفعات متقطعة.

ونقل عن الدكتور لوكا بيغوزي، القائم بأعمال مدير مكتب منظمة الصحة العالمية في غزة، تحذيره من استمرار المخاطر، قائلا: «لا تزال المجتمعات المحلية في غزة عرضةً بشكل كبير للعديد من المخاطر والأضرار»، وأشار إلى أنه من الأمثلة على ذلك الظروف الجوية القاسية، والأمطار الغزيرة، والعواصف الرملية التي اجتاحت القطاع خلال الأسابيع القليلة الماضية»، كما عبر عن قلقه البالغ إزاء الأوضاع الصحية وظروف المياه، التي تؤثر على سبل عيش المجتمعات وسلامتها، إذ تُحدث كل هذه المخاطر تأثيرا مباشرا على الصحة العامة في غزة.

أزمة طبية

وبسبب استمرار سلطات الاحتلال في تشديد إجراءات الحصار، قامت وزارة الصحة في قطاع غزة، بالتحذير من تفاقم أزمة تشغيل المولدات الكهربائية في المستشفيات، في ظل استمرار منع إدخال الزيوت وقطع الغيار اللازمة لصيانتها، ما يهدد استمرارية تقديم الخدمات الطبية.

وأشارت الوزارة، في تصريح لها، إلى أن الإجراءات الفنية التي تحاول الفرق الهندسية تنفيذها لاستمرار عمل المولدات الكهربائية في المستشفيات، «لن تُتيح المزيد من الوقت مع تواصل منع إدخال الزيوت وقطع الغيار»، وأوضحت أن المولدات وصلت إلى معدلات تشغيل قياسية، الأمر الذي يتطلب إجراء أعمال صيانة عاجلة لضمان استمرار تزويد الأقسام الحيوية بالكهرباء، وأطلقت مناشدة إلى الجهات المعنية بضرورة توفير الزيوت وقطع الغيار، لتشغيل المولدات الكهربائية في المستشفيات.

وفي هذا السياق، يقول محمود بصل الناطق باسم جهاز الدفاع المدني «ما يجري في قطاع غزة ليس مجرد أزمة إنسانية، بل هو انهيار شامل للحياة، حيث يعيش معظم السكان في صدمات نفسية مستمرة»، ويؤكد أن صمت منظمات حقوق الإنسان الدولية، مثل الأمم المتحدة ومنظمة العفو الدولية، «يطرح تساؤلات خطيرة حول مصداقيتها، ويجعلها شريكاً في هذا الفشل الأخلاقي والإنساني».

هزيمة في ثياب نصر: جريمة ترامب الأخلاقية وثمن حماقته وبحثه عن كبش فداء

إبراهيم درويش

توقفت الحرب التي ورط الرئيس الأمريكي دونالد ترامب نفسه بها أو ورطه بها رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو، فلا يهم من ورط الآخر، لأن عالمها يتقاطعان، من ناحية عدم الاهتمام بالثمن الأخلاقي للحرب والسياسة، مثلما لا يهتمان بالمعايير الأخلاقية والأعراف الدولية والنظام القائم على القانون الذي تدعي الولايات المتحدة أنها بنت معماره مع الكتلة الغربية في مرحلة ما بعد العالمية الثانية.

ونقول إن الحرب توقفت على الأقل في الوقت الحالي لأن ترامب لم يتوقف عن تهديداته أما نتنياهو فهرب إلى الأمام وبدأ بتدمير لبنان وقتلت القوات الإسرائيلية مئات اللبنانيين في يوم من الجحيم، وذلك بعدما أيقن مثل ترامب أنه خسر الحرب على إيران، وهذه الدولة التي ظل مهووسا بأسطورة تهديدها الوجودي على إسرائيل قد تؤدي إلى نهاية مسيرته السياسية، وهو ما يقوله المعلقون الإسرائيليون والساسة المعارضون له.

عقلية بدائية

ومهما كانت مآلات نتنياهو فيظل لاعبا/تابعا في ذلك أمريكا، لكن الأهم هو موقف القوة الأعظم الأخلاقي، فقد أفقد ترامب بلاده في الحرب على إيران وتهديده بتدمير حضارتها بوصلتها الأخلاقية، وما قاله عن محور الحضارة الإيرانية، لم يكن مجرد جنون بل جريمة أخلاقية، كانت دعوة لمحو شعب وحضارة وتحريضا للجيش الأقوى في العالم على ارتكاب جرائم الحرب. وقد عبر فريد زكريا في لقاء مع عزرا كلاين من صحيفة «نيويورك تايمز» (2026/4/10) عن هذا الموقف بوضوح عندما قال إنه شعر بالرعب من تغريدة ترامب التي هدد فيها بمحو شعب وحضارة، إلا أن كلاين كان واضحا أن الحضارة الأمريكية هي التي ماتت، وأمريكا التي كانت تلتزم بالقانون لم تعد موجودة فهي قابعة الآن في أنقاض الدمار الذي خلفته الغارات الأمريكية على المدن الإيرانية. وقال كلاين إن الشعب الإيراني عانى بما فيه الكفاية، ولا يستحق أن يموت تحت الأنقاض لإنقاذ كرامة ترامب.

ورد زكريا معلقا «بدا الأمر وكأن تلك التغريدة كانت تتويجا لشيء كان مستمرا منذ فترة، وهو أن رئيس الولايات المتحدة كان يتخلى ببساطة عن الثقل الأخلاقي الذي أضفته الولايات المتحدة على دورها العالمي منذ الحرب العالمية الثانية». واعترف بأن أمريكا التي ظهرت بعد عام 1945 لم تكن إمبريالية رغم ما اعترى تجربتها من النفاق، قد تغيرت الآن في عالم ترامب «قررت أن تتصرف بجشع وأن تفرض الجزية وتمارس رؤية وحشية للهيمنة».

وعندما تتحدث عن تدمير حضارة، فإن هذا إبادة حياة وتطلعات وثقافة وكرامة شعب بأكمله، نحن نتحدث عن 93 مليون شخص. فتراوب تصرف كإمبريالي جشع من القرن الثامن عشر، إنه مثل ويليام ماكينلي الرئيس الخامس والعشرين الذي ذهب إلى الفلبين «لتحضير» شعبها. فقد أصبحت الولايات المتحدة بتعبيرات الكاتب السياسي ستيفن والت دولة «مهيمنة مفترسة» وهو تعبير يؤكد، كما يقول إيشان ثارور في مجلة «ذي نيويورك» (2026/4/8)، عقلية سياسية راسخة تقوم على نزع الأنسنة عن الآخر، وأن ما قاله ترامب ووزير دفاعه بيت هيغسيث، يعبر عن تفكير يبادي يجد من يدافع عنه في واشنطن ويلقى قبولا لدى قاعدة ترامب القومية، لكنه لم يحقق أيا من أهدافه في الشرق الأوسط.

ويقول ثارور إن ترامب، سيجد صعوبة بالغة في إقناع أي شعب، باستثناء أشد مؤيديه حماسة، بأن ما حدث خلال الأسابيع الستة الماضية يعد نجاحا أمريكا.

ومع ذلك فهناك من بات داخل هذا المعسكر يشكك في جدوى تجميل هذا الوضع، وأعرب أوروين كاس، كبير الاقتصاديين في «أمريكان كومباس»، وهو مركز أبحاث يميني، عن أسفه على وسائل التواصل الاجتماعي قائلا: «هذه الحرب تضعف القوة الأمريكية بشكل فعلي وتزيد من الخطر على المواطنين الأمريكيين وتعرقل جهود الرئيس المهمة في معالجة تحدياتنا الداخلية العديدة، لقد أغلق ذلك مضيقا آخر للسعي وراء الأسلحة النووية، وفي هذا الخطاب الأخير جعل استخدامها أكثر منطقية». وأشار ثارور إلى استطلاع رأي أجرته مؤسسة «بيو» في الأسبوع الأخير من شهر آذار/مارس كشف أن نحو ثلثي الأمريكيين لا يثقون بقدرة ترامب على اتخاذ قرارات سياسية سليمة بشأن إيران.

نتائج محرجة

وهذا يشرح توسل أو دخول باكستان على خط الوساطة لإخراج ترامب من ورطته، وتمظهرت بخطة النقاط العشر التي كان ترامب نفسه يقول قبل يوم واحد على نهاية إنذاره إنها ليست كافية. ولا داعي هنا لتكرار ما قيل أكثر من مرة بعد موافقة ترامب على تأجيل حربه من الثمن الإنساني الباهظ الذي دفعته إيران وشعوب الخليج ويدفعه لبنان حاليا والفلسطينيون في غزة والضفة الغربية لا يضاهي النتائج القليلة التي حققتها الـ 21.000 غارة التي تباهى ترامب وهيغسيث بأنهما أمطرا الشعب الإيراني بها.

وكما تقول سوزان غليسر، في مجلة «ذي نيويورك» (2026/4/9) والتي ركزت على الانقسام بين واقع ما يقوله ترامب وفريقه وحقيقة ما حدث، وتساءلت إن كانت هذه هي طبيعة النصر فماذا سيكون الحال لو هزمت أمريكا. وقالت إن تكاليف حماقة ترامب تتجاوز بكثير آلاف القتلى وعشرات المليارات من الدولارات التي أنفقها البنتاغون على الحرب، بدءا من مليارات الدولارات من الأضرار التي لحقت بالبنى التحتية العسكرية الأمريكية، ومرافق إنتاج النفط والغاز، والبنية التحتية المدنية في البحرين والعراق وإسرائيل والكويت وعمان وقطر والمملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة، وصولا إلى تعطيل سلاسل الإمداد العالمية وخطوط الملاحة الجوية والبحرية، وارتفاع الدفاع الجوي والذخائر التي يصعب استبدالها. وقد تكون التكاليف طويلة الأجل والأقل وضوحا أعلى من ذلك، كما يتضح من توتر التحالفات في آسيا وأوروبا مع الحلفاء الذين رفضوا الانضمام إلى الحرب ترامب، وتآكل فكرة أمريكا كقائدة عالمية. ولا عجب إذن أن يرى أنصار ترامب النصر، بينما لا يراه بقية العالم كذلك.

وتساءلت مندهشة أنه من النادر أن تلحق قوة عظمى ضررا بنفسها، كما أحدثته الحرب الحالية وبسرعة فارقة.

فقد استمرت حرب فيتنام قرابة عقدين من الزمن وامتدت الحرب في العراق قرابة تسع سنوات. أما هذا العمل من إيذاء الذات فلم يستغرق سوى ثمانية وثلاثين يوما. ومن هنا فتجربة ترامب كقائد حرب ونهايتها بالهزيمة كانت متوقعة. فعلى مدى سنوات، وضع الخبراء سيناريوهات لحرب مماثلة مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية، بنتائج متوقعة تماما كتلك التي كانت تنتظر ترامب. ولهذا السبب لم يُقدم أسلافه، جيمي كارتر ورونالد ريغان وجورج بوش الأب وبيل كلينتون وجورج بوش الابن وباراك أوباما وجو بايدن،على خوفهما، كانوا جميعا لأنهم، كما أشار ترامب مؤخرا، كانوا جميعا جبناء وخاسرين. بل لأنهم لم يكونوا حمقى.

وتعتقد أن سبب وقوع ترامب في فخ إيران، نابع من شعوره أن الحرب ستكون قصيرة وناجحة، وكما كشف مراسلا صحيفة «نيويورك تايمز» (2026/4/7) جوناثان سوان وماغي هابرمان، من «غرفة الوضع» عن كيفية اتخاذ ترامب قرار بدء الحرب وأن أحدا من حاشيته لم يجرؤ على تحدي افتراضاته الخاطئة. وكيف اقتنع بما عرضه عليه نتنياهو من سيناريوهات للإطاحة بالنظام الإيراني وإحداث ثورة والانتصار السريع. وقد تبين عند الفحص أن ما قاله نتنياهو كان «مهزلة» بكلمة الاستخبارات و«هراء» بكلمات ماركو روبيو، وزير الخارجية الذي لم يتجرأ مثل غيره من المسؤولين على تحدي قرار ترامب بالمضي مع إسرائيل في الحرب بل وأصبح أحد المطبلين.

وقالت إن سلوك ترامب خلال الحرب كان أحد أهم أسباب نتائجها المحرجة، ليس فقط أكاذيبه وتضليله المستمر حول دوافعه للحرب وأهدافه منها، بل والأدهى من ذلك، استعراضه لقوة أمريكية جامحة لا تخضع للمساءلة.

ولهذا كان الخاسر الأكبر بحسب كل العناوين الصحافية التي أعقبت وقف الحرب المؤقت وهذه عينة بسيطة:

«لا يوجد فائزون: الولايات المتحدة وإيران تدخلان في هدنة هشة» (فايننشال تايمز).

«حرب ترامب على إيران تظهر الولايات المتحدة بمظهر ضعيف أمام خصومها» (بلومبيرغ).

«لماذا ينظر إلى وقف إطلاق النار بين الولايات المتحدة وإيران على أنه فشل لدونالد ترامب» (ساوث تشاينا مورننغ بوست).

وحتى قناة فوكس نيوز، المؤيدة لترامب فقد عرضت رسما بيانيا ضخما يسرد أهداف الرئيس المختلفة التي لم تتحقق في الحرب، بينما أعلن أحد المذيعين: «مطالب الرئيس – لم نحقق أيا من هذه الأهداف». «ترامب هو أكبر الخاسرين» (مجلة إيكونوميست).

وقد خصصت الأخيرة صورة غلافها للحدث «المهمة أنجزت» في توقيع ساخر على خبر الهدنة، وقالت في الحروب منتصرون وهناك خاسر واحد، وفي الحرب الحالية كان ترامب هو الخاسر الأكبر.

وجاء في افتتاحية «إيكونوميست» (2026/4/9) أن القوة قد لا تكون حقا إن لم ترفق باستراتيجية، ذلك أن الحرب كشفت عن رؤية ترامب الضيقة بشأن استخدام القوة الأمريكية.

وتعتقد المجلة أن أفضل سبب يدعونا للاعتقاد أن ترامب لن يعود إلى الحرب هو إدراكه الآن أنه ما كان ينبغي له إشعالها أصلا، فمنشوراته البغيضة التي هدد فيها بتدمير إيران تبدو وكأنها محاولات لتبرير تراجعه، فهو يعلم أن تجدد الحرب سيثير الذعر في الأسواق، وأنه بعد أن أشاد بـ«العصر الذهبي» في الشرق الأوسط، فإن لاعب الشطرنج متعدد المواهب سيخاطر بالظهور بمظهر الأحمق.

ورغم وصف ترامب حربه ضد إيران بالنصر العظيم، لكنه لا يبدو كذلك بالنظر إلى التقدم الضئيل الذي أحرزه في تحقيق الأهداف الثلاثة للحرب وهي، جعل الشرق الأوسط أكثر أمانا وازدهارا من خلال كبح جماح إيران وإسقاط النظام ومنع إيران من أن تصبح قوة نووية وللأبد. وتعتقد «إيكونوميست» (2026/4/9) في تقرير مطول أن الحرب غيرت الشرق الأوسط للأسوأ وليس للأحسن.

وقالت إن الهدنة كانت «وقفا مرتبكا لحرب مرتبكة». فقد هدد دونالد ترامب في البداية بتكثيف القصف الأمريكي لدرجة تدمير «الحضارة الإيرانية بأكملها»، ثم، قبل أقل من ساعتين من الموعد المقرر لبدء هذا الهجوم، أعلن أن أمريكا وإسرائيل وإيران ستعقل الأعمال العدائية لمدة أسبوعين، وأن إيران ستسمح باستئناف الملاحة التجارية عبر مضيق هرمز. ورغم تأكيدها على خسارة ترامب إلا أنها قالت إن من الصعب تحديد أي فائز.

لقد كان الاضطراب الذي لحق بالاقتصاد العالمي هائلا، وسيستمر لبعض الوقت. لم تقتصر الأضرار التي لحقت بإيران على المنشآت العسكرية فحسب، بل امتدت لتشمل البنية التحتية المدنية والتجارية. وشهدت دول الخليج خسائر في الإيرادات وتضررت منشآت الطاقة وتأثرت سمعتها في مجال الأمن والاستقرار.

نتنياهو الخاسر

كما تراجعت شعبية إسرائيل في أمريكا وخارجها. واستنزفت أمريكا مخزونها من الذخائر وأرهقت قواتها المسلحة. وستدفع المنطقة والعالم ثمن هذا الصراع لسنوات قادمة.

ومن وجهة نظر نتنياهو، مثلت الحرب انتصارا استراتيجيا في جانب بالغ الأهمية: فقد تعاونت إسرائيل وأمريكا على نحو غير مسبوق. إلا أن الطريقة التي تم بها التوصل إلى وقف إطلاق النار، بوساطة باكستان بين أمريكا وإيران، مع استبعاد إسرائيل، أوضحت طبيعة العلاقة: علاقة قوة عظمى بدولة تابعة. وقد يتعزز هذا الأمر في الأسابيع المقبلة. لن تكون إسرائيل طرفا في المفاوضات التي تسعى أمريكا وإيران من خلالها إلى التوصل إلى اتفاق دائم. سيصبح أمن إسرائيل المستقبلي رهنا بأهواء ترامب.

والأسوأ بالنسبة لنتنياهو، أنه قد يتحول من شريك إلى كبش فداء. وقالت إن التسريبات لصحيفة «نيويورك تايمز»، مع اقتراب نهاية الحرب، تشير إلى رغبة العديد من أعضاء إدارة ترامب في النأي بأنفسهم عن نتنياهو. فهم يدركون تماما أن إسرائيل باتت تحظى بشعبية متدنية للغاية بين الناخبين الأمريكيين. وقالت إن نتنياهو يرغب بشدة في أن يكون سببا في إفشال وقف إطلاق النار، ولكنه قبل كل شيء، حريص على تجنب أي خلاف علني مع الرئيس. وللفوز بالانتخابات، المتوقع إجراؤها في تشرين الأول/أكتوبر، سيسعى نتنياهو لإقناع الإسرائيليين بأنه وترامب ما زالا شريكين. وأن إسرائيل انتصرت في حربهما في إيران ولبنان. مع ذلك، يبدو ترامب مصمما على إنهاء الحرب، رغم بقاء النظام الإيراني في السلطة وقدرته على ضرب إسرائيل بالصواريخ والمسيرات. بل قد يحتفظ النظام الإيراني بمواده النووية، رغم إصرار المسؤولين الأمريكيين على عكس ذلك. ولن يكون نتنياهو المعروف بالأعيبه السياسية قادرا على تحويل هذا إلى نصر.

وهم التغيير من الخارج

وبالنسبة للنظام الإيراني، فسيحاول تصوير الحرب على أنها نصر، ويبدو أنها قد عززت قبضة رجاله على الحكم ووحدت فصائله، وبقي الجنود والموظفون المدنيون في مواقعهم، متجاهلين دعوات الانشقاق. وأزالت فرق الإنقاذ الأنقاض وانخفضت حالات انقطاع التيار الكهربائي والمياه في المعتاد. ورغم الضربات على البنوك، تم صرف الرواتب. وتحول محور الغضب الشعبي من مجازر النظام ضد المتظاهرين في كانون الثاني/يناير إلى تجاوزات أمريكا وإسرائيل. وقد تضاءل الحماس الأولي للتدخل الأجنبي مع تضاؤل الآمال بانهيار الجمهورية الإسلامية، ومع اتساع نطاق القصف من الأهداف العسكرية إلى مصانع الصلب ومصافي النفط والجسور، فقد العديد من الملكيين الأمل في عودة رضا بهلوي، نجل الشاه الأخير، وانصرفوا عن قناة إيران الدولية، وهي قناة المعارضة التي دافعت عن الضربات الأمريكية والإسرائيلية كوسيلة لإعادة النظام.

خيارات الخليج

وبالنسبة للدول النفطية في الخليج، يعد المضيق إما صلتها البحرية الرئيسية بالأسواق العالمية، أو صلتها الوحيدة، وعليه فقدرة إيران على إغلاق المضيق تشكل تهديدا وجوديا ورغبتها الواضحة في فرض رسوم على السفن التي تعبر مضيق هرمز تشير إلى الابتزاز.

قد لا تتمكن إيران من تطبيق مثل هذه الخطة في وقت السلم، ومع ذلك، يفكر المسؤولون في جميع أنحاء الخليج، في بدائل على المدى الطويل للمضيق. وتمكنت السعودية والإمارات من الحفاظ على جزء من صادراتهما النفطية رغم إغلاق المضيق، وذلك باستخدام خطوط أنابيب تربط السعودية بميناء ينبع على البحر الأحمر، والإمارات بالفجيرة، ميناء خليج عُمان، في المقابل، لا تملك البحرين والعراق والكويت وقطر بدائل للمضيق.

أما نقطة الضعف الثانية التي كشفت عنها الحرب وتثير قلق دول الخليج بشدة؛ اعتمادها على أمريكا التي باتت أقل موثوقية. وقد قلبت حرب ترامب هذا المنطق رأسا على عقب، بدلا من صد الهجمات، استقطبت القوات الأمريكية تلك الهجمات.

ولدى دول الخليج خيارات أخرى، بالطبع. ستعمق قطر علاقاتها مع تركيا، التي نشرت قوات في الإمارة منذ عام 2017. وستعزز السعودية اتفاقية الدفاع التي وقعتها مع باكستان في أيلول/سبتمبر. وسارعت كوريا الجنوبية بتزويد الإمارات العربية المتحدة بنظام دفاع جوي خلال الحرب، وقد تعززت العلاقات بين البلدين بشكل ملحوظ. ومع ذلك، فرغم قدرة هذه القوى المتوسطة على مساعدتهما في تنويع علاقاتهما، إلا أنها لا تغني عن قوة عظمى.

العودة إلى غزة

وفي النهاية لم يكن ترامب أو نتنياهو ليتجرأ مرة أخرى على إيران أو لبنان لو تمت معاقبتهما على ما اقترفاه في غزة، وقال أوين جونز في صحيفة «الغارديان» (2026/4/10) إن إيران كانت تعرف أن قوتها لا تضاهي القوة التي يلوح بها ترامب، لكنها رفضت مطالبه، تماما كما رفضت الصين وروسيا والمكسيك وكندا وغرينلاند مطالبه. وكما رفضت هارفارد تهديدات ترامب وقاومت مينابوليس أمن الجمارك، إلى جانب كتاب ومنظمات هزموا ترامب في المحاكم. والخلاصة يقول ريش: باتت هناك الآن خطة واضحة لهزيمة ترامب، وهي متاحة لأي دولة أو منظمة أو شخص يسعى لفرض إرادته عليه، «أرفض مطالبه، ثم استخدام قوتك غير المتكافئة، شكل من أشكال الجيوجيتسو، لقلب قوة ترامب ضده».

فلسطين تقاوم «الصهيونية المسيحية»

رام الله – «القدس العربي»: سعيد أبو معلا

إذا دخلت موقع منظمة «مسيحيون متحدون من أجل إسرائيل» «CUFI» وهي أكبر منظمة موالية لإسرائيل في الولايات المتحدة، تأسست عام 2006 وتضم أكثر من 10 ملايين عضو، فإنه ستطالعك دعوة تطالب الأعضاء لإرسال المساعدات المختلفة من أجل إسرائيل. وفي الدعوة تجد نصوصا قصيرة «لبانر» باللون الأحمر والأبيض والأزرق تخبرك أن «100 في المئة من تبرعك يذهب إلى إسرائيل».

وتشدد الدعوة على طلب «تقديم المساعدات الطارئة إلى الإسرائيليين المحتاجين اليوم» وذلك بعد دعوة عاجلة للأعضاء خلال العدوان على إيران الذي استمر لنحو 40 يوما كان الطلب الأبرز من أعضاء هذه المنظمة النشطة بإرسال الرسائل إلى الرئيس الأمريكي دونالد ترامب من أجل إظهار الدعم له في حربه ضد إيران. فمن هؤلاء المتحمسون جدا لإسرائيل أكثر من اليهود وحتى اليهود الإسرائيليين؟ وكيف أصبحوا على ما هم عليه من هذا الدعم الكامل بحيث أصبحوا يشكلون أكبر خطر على القضية والشعب الفلسطيني؟

وفي ذات السياق ومن أجل الكشف عن الصهيونية المسيحية التي تعرف بـ«CUFI» أبرز مظاهرها الغاشة، نظم معهد إبراهيم أبو لغد للدراسات الدولية في جامعة بيرزيت، بالتعاون مع مبادرة مهد المشرق، ندوة حوارية حملت عنوان: «الصهيونية المسيحية: كيف يُستخدم اللاهوت كسلاح ضد فلسطين؟».

وحاضر في الندوة التي استمرت نحو ساعتين ونصف الساعة الدكتور الفلسطيني المُبعد أنطون أبرashi، وهو لاهوتي فلسطيني وباحث في دراسات الكتاب المقدس، والمدير المشارك في معهد بيت لحم للسلام والعمل.

قدّم الندوة كل من د. باسل فراج، مدير المعهد، وسمى عنفوص من مبادرة مهد المشرق، وأشارت الأخيرة إلى أن الندوة تعكس أن فلسطين جامعة رغم كم الصعوبات التي تعيشها فلسطين المحتلة في ظل الظرف المصيري الذي تمر به.

واعتبرت عنفوص أن الندوة تأتي في ظل تزايد ممارسات اضطهاد الفلسطينيين، فـ«الشعب الفلسطيني حرم على مدى أربعين يوما من الصلاة في أقدس الأماكن بمسلميه ومسيحييه».

ورأت أن ما نعيشه اليوم يظهر أن «السرديات الدينية تتشابك مع مشاريع الهيمنة»، فيما لا يرى البعض من المشرق العربي هذه العلاقة التي تربط بين الدين والسياسة، ويظهر أن البعض أصبح «منحازا للرواية الاستعمارية».

ورأت عنفوص أن الندوة التي عقدت افتراضيا لظروف الحرب على إيران تعتبر مساحة للتفكير النقدي حول سؤال: كيف يواجه أصحاب الأرض هذه السرديات الخطيرة؟

ومن بولفيلد–الجنوب الأمريكي حيث يقيم الحديث شدد على أن الموضوع «يستحق أن يعرض في مساق دراسي كامل»، وكشف عن جوانب القصور عندما قال إنه «ينشط في هذا الحقل منذ ما يقرب من عشر سنوات لكن الحديث غالبا ما يكون باللغة الإنكليزية وفي المقابل لا يتم الحديث في هذا الموضوع باللغة العربية».

وأشار إلى أن فلسطين وعبر مؤسسات مثل كلية الكتاب المقدس ومعهد بيت لحم وحركة المسيح أمام الحاجز هي تعمل منذ أكثر من عشر سنوات، وعبر الكتابات والمؤتمرات المختلفة تسعى إلى مواجهة «الصهيونية المسيحية، وهي الظاهرة الغربية والتي تشكل أكبر تهديد وجودي للفلسطينيين وللشعب الفلسطيني».

وطالب وهو ما تحقق من خلال الندوة بضرورة أن يكون للحركة الوطنية الفلسطينية وللشعب الفلسطيني «فهم عميق لهذه الظاهرة لأثرها الخطير علينا»، وشدد على أهمية مواجهتها من خلال تطوير قراءة فلسطينية تحررية للاهوت، ودعم المبادرات الفكرية في هذا السياق.

تعريف الصهيونية الدينية

رغم وجود نقاشات كثيرة بين الأكاديميين حول تعريف الصهيونية المسيحية، ذكر ادعيق تعريف الدكتور روبرت سميث بإنها: «عمل سياسي تحركه التزامات مسيحية محددة ويهدف إلى تعزيز أو الحفاظ على السيطرة اليهودية على فلسطين».

ورأى الباحث الفلسطيني أن تعريف سميث مفيد ولكنه ليس دقيقا بسبب وجود صهيونية مسيحية غير فاعلة سياسيا حيث لا تقترن عقيدتهم بالعمل السياسي، وذكر مثال كنيسة قريبة من مكان سكنه في بوليفيا لا يعرض بداخلها أي رمز مسيحي لكنها ترفع علم إسرائيل، إلى جانب أن المسيحيين الفلسطينيين تعرضوا لإيذاء شخصي وتمييز عنصري من أعضاء هذه الكنيسة وهو أمر لا يعتبر عملا سياسيا.

ورأى أن اختزال المسيحية الصهيونية بالعمل السياسي غير دقيق، وهو ما يجعله يقدم تعريفا خاصا به حيث يقول: «هي عقيدة دينية غربية، وجزء أصيل من ثقافة الاستشراق الغربية، ترسخ فكرة تفوق اليهود أولا، وثانيا تستخدم لتبرير مشروع الاستعمار الإحلالي في فلسطين».

وحسب تعريف متري الراهب فإن الصهيونية المسيحية هي «البرمجية التي تشغل وتفعل آلة الحرب الإسرائيلية» وقال ادعيق في الجزء الأول من ندوته إنه رغم وجود دراسات كثيرة تعيد الصهيونية المسيحية إلى القرن التاسع عشر، إلا أن روبرت سميث يظهر بالدليل والبرهان انها بدأت في القرن السابع عشر مع حركة الإصلاح الإنكليزية وتحديدا الحركة التطهيرية (مع حركة البيوريتانية) وهي حركة ظهرت مناهضة للكنيسة الكاثوليكية كما دعت لقراءات حرفية وأصولية للكتاب المقدس.

وأضاف: «من هنا بدأ الفكر الصهيوني المسيحي الذي ركز على مركزية اليهود ومعاداة العثمانيين والكاثوليك. حيث نقرأ في كتابات اللاهوتيين أمثال توماس دريكس، أن اليهود هم شعب الله المختار وهم أفضل من الأمم، أما توماس برايتمان فقد ركز على أن اليهود سيعودون إلى فلسطين وسيكون لهم دور في هزيمة العثمانيين والكاثوليك».

وحسب حركة الإصلاح فقد أصبحت المعادلة تضم البيوريتانيين إلى جانب اليهود بصفتهم شعب الله المختار، في مقابل الأعداء: المسلمين والكاثوليك.

وإن كانت النشأة في إنكلترا سيكون السؤال كيف وصلت إلى أمريكا؟ وعن ذلك يقول ادعيق إنه في النصف الثاني من القرن السابع عشر تم تصدير هذه العقائد إلى أمريكا، لكن المختلف هذه المرة أنه أضيف لها عامل مهم جدا وهو أن البيوريتانيين أو المستعمرين الإنكليز كانوا يرون أن لهم استثناء من الله (فيما يعرف اليوم بالاستثناء الأمريكي)، وترتب على ذلك أن تغلغل فكر البيوريتانيين في الثقافة الأمريكية، وهو ما يفسر اليوم الحماس الزائد في دعم المشروع الصهيوني.

اما النقطة التاريخية الثانية المهمة بحسب ادعيق فقد حدثت في القرن التاسع عشر مع ظهور ما يسمى «لاهوت التدبير» على يد جون نيلسون داربي، وهو بريطاني، ومن أهم إنجازاته انه عزز اللاهوت الصهيوني عند البيوريتان، كما أنه قام بفصل كلي بين إسرائيل العهد القديم وكنيسة العهد الجديد في تناقض صارخ لعقيدة المسيحية التاريخية التي تقول إن إسرائيل في العهد القديم تستمر في كنيسة العهد الجديد، كما أن كل ما يتعلق بوعود الأرض (من النيل للفرات) في العهد القديم (التناخ العبري) لا تمت بصلة، بحسب داربي، للكنيسة ولا للمسيحية بل تمت بصلة إلى إسرائيل. فكر داربي لم يلق رواجا في بريطانيا بل ذهب برحلات مطولة لأمريكا. حيث لقي فكره انتشارا واسعا جدا في أمريكا.

وفي تلك الفترة التاريخية زاد انتشار فكر اللاهوتي داربي مع ظهور شخص اسمه سي إس سكوبيد الذي نشر كتابا مقدسا باسمه، حيث قام بأخذ نص الكتاب المقدس ووضعه في نصف الصفحة من الكتاب وفي النصف الثاني من الكتاب وضع العقيدة الدكتاتور بداربي (العقيدة الصهيونية) كجزء من الكتاب المقدس نفسه.

وشدد ادعيق أن هذا الكتاب الذي انتشر في أمريكا ما زال حتى اليوم يدرس في بعض الجامعات الأمريكية، فكتاب «سكوبيد» يشرح رسميا الكتاب المقدس أي شرح التدبير الصهيوني.

وأضاف: «للأسف الشديد ما حدث لاحقا أن الأمر انتشر في أمريكا الجنوبية مباشرة، لقد بدأوا بتأسيس منظمات أرسالية لنشر الفكر التدبيري في الجنوب العالمي خلال الفترة من عام 1890، وهو ما جعله الفكر الأكثر انتشارا في أمريكا». ويرى ادعيق أن السؤال المهم بالنسبة للفلسطينيين هو ما هي التداعيات السياسية للصهيونية المسيحية؟ حيث قدم قراءة نقدية لمفهوم الصهيونية المسيحية، مبيّناً كيف جرى توظيف النصوص الدينية لتبرير المشروع الاستعماري في فلسطين.

وقال ادعيق إنه جرت العادة الحديث عن «وعد بلفور» بصفته أبرز وأقدم التداعيات السياسية للصهيونية المسيحية.. لكن أقدم مثال على الصهيونية المسيحية وتداعياتها السياسية يعود للقرن السابع عشر، حيث ظهرت أول توصية سياسية في مخطوطة تبين دور إنكلترا الفعال مع هولندا في نقل اليهود أبناء يعقوب واسحاق إلى أرضهم الموعودة كميراث أبدي».

ورأى ادعيق أن هذا هو أول حراك سياسي صهيوني في التاريخ حيث تضمن توصية سياسية مباشرة، وتم الرد على الرسالة/المخطوطة بأنه تم «استلامها بإيجابية مع وعد بالنظر في المقترح على وجه السرعة حالما ينتهي العمل على الحرب الأهلية في إنكلترا».

وخلال الندوة قدم أمثلة على جذور هذا الخطاب وبدايات ظهور الديباجة الصهيونية الدينية التقليدية التي تسمع اليوم على لسان الصهاينة في أمريكا: «إذا دعمت بريطانيا اليهود فإن الله سيباركها.. وإذا لم تدعم فإن لعنة الله ستحل عليهم».

وأضاف ادعيق: «هذا خطاب نسمعه اليوم في أمريكا ونصه، من يبارك إسرائيل سيباركه الله ومن لا يباركها سيلعنه الله، وهو أمر كانت بدايته قبل نحو 260 عاما من إصدار وعد بلفور».

وضرب مثالا ثالثا في مقولة «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض» حيث يعتقد الفلسطينيون أن المقولة نشأت مع الحركة الصهيونية اليهودية، لكن الصحيح، بحسب ادعيق، أنها بدأت مع الصهاينة المسيحيين من أمثال: ريتشرد واتسون والكساندر كيث..الخ، مشددا على أن الصهاينة المسيحيين هم الذين علموا الصهاينة اليهود الشعار السابق.

ويخلص إلى أن جميع التيارات السابقة قادت إلى ما يعرف لاحقا بوعد بلفور الشهير الذي كتب على يد ديفيد لويد جورج وآرثر بلفور، وهما صهاينة مسيحيين عقائديا حيث ينظر للوعد على أنه ترجمة للعقيدة إلى عمل سياسي.

وسلط الباحث اللاهوتي ادعيق الضوء على تأثير تيار الصهيونية المسيحية السياسي المباشر، حيث أشار إلى أنه يُعد من أبرز جماعات الضغط الداعمة لإسرائيل عالميا، وله تأثير واضح على صنع القرار، لا سيما في الولايات المتحدة، إضافة إلى دوره في سياسات مثل نقل السفارة الأمريكية إلى القدس.

ولفت إلى أن هذا التيار لا يقتصر على البعد السياسي، بل يسهم في إنتاج خطاب ديني يضفي شرعية «مقدسة» على السياسات الإسرائيلية، بما في ذلك حرب الإبادة على غزة.

وقال: «المسيحية الصهيونية تشكل أكبر لوبي صهيوني في العالم، وعلى أقل تقدير يبلغ أنصاره ما بين 25–30 مليونا في أمريكا لوحدها».

وتابع: «هؤلاء يدعمون ويمارسون عملا سياسيا كاملا، وهم أكثر من عدد اليهود في فلسطين التاريخية مع المستوطنين».

وحول دور الصهيونية المسيحية في شرعنة حرب الإبادة وصفه بأنه «أمر لا يصدق من ناحية كم الفعل والأنشطة في دعم حرب الإبادة».

وتناول في حديثه ثلاثة أسماء كنماذج على السياسيين الأمريكيين الذين يعتنقون الصهيونية المسيحية ومنهم: مايك بينس، وهاكابي، السفير الأمريكي في إسرائيل، وبيت هيغسيت، وزير الحرب الأمريكي.

اللاهوت الفلسطيني

وفي المقابل، استعرض ادعيق إنجازات «اللاهوت الفلسطيني» بوصفه خطاباً فكرياً ودينياً مقاوماً نشأ لمواجهة الصهيونية المسيحية، ويقوم على مسارين رئيسيين: تفكيك الخطاب اللاهوتي الصهيوني والرد عليه، وتقديم قراءات بديلة للنصوص الدينية تنطلق من الواقع الفلسطيني، وتؤكد قيم العدالة والكرامة.

وأشار إلى أن هذه الحركة شهدت تطوراً ملحوظاً منذ الانتفاضة الفلسطينية الأولى، وأسهم فيها عدد من اللاهوتيين الفلسطينيين من خلال مؤلفات ودراسات أكاديمية.

وحول ردة فعل اللاهوت الفلسطيني على حرب الإبادة في قطاع غزة قال ادعيق أنها كانت مباشرة، «لقد نشرنا رسالة مفتوحة دعونا فيها للتوبة من اللاهوتيين والقسس الانجيليين، وثيقة ترجمت للغات مختلفة وتم نقاشها بمحافل لاهوتية كبيرة».

أما الرد الثاني فكان من خلال وثيقة «كايروس فلسطين الثانية» وتضمنت رداً مباشرا على كل اللاهوت الذي شرعن الحرب بغزة وقدمت دعوة صريحة للتوبة.

كما أصدر الفلسطينيون ثلاثة كتب من فلسطينيين أولهم «اللاهوت بعد غزة: مختارات عالمية»، تحرير: متري الراهب وغراهام ماكفيوخ، وفيه رد على كل الشرعنة الغربية لإبادة غزة. الكتاب الثاني "أن تكون مسيحيًا بعد خراب غزة» وهو من تحرير: بروس ن. فيسك وج. روس واغنر، والكتاب الثالث «الصليب وشجرة الزيتون: بلورة اللاهوت الفلسطيني في ظل غزة» وهو من: تقديم: نعيم عتيق وسيدر دعيس وتأليف جون س. منير وصموئيل س. منير.

وخلصت الندوة إلى أن الصهيونية المسيحية تمثل تحدياً فكرياً وسياسياً حقيقياً، يستدعي مواجهتها ليس فقط على المستوى السياسي، بل أيضاً عبر تفكيك خطابها الديني، وإنتاج بدائل معرفية تستند إلى العدالة والحق الفلسطيني في التحرر وتقرير المصير.

حوار

الأكاديمي اللبناني د. عماد سلامة: الشرق الأوسط يدخل مرحلة «شلل القوة» بلا نظام واضح... ونفوذ طهران تغيَّر شكله

حاورته: رلى موفق

يقول الأكاديمي اللبناني د. عماد سلامة إن الضربات التي نفَّذتها الولايات المتحدة وإسرائيل ضد إيران حققت نجاحات عملياتية ملموسة، لكنها أخفقت في تحقيق الحسم الاستراتيجي أو إحداث تغيير جذري في بنية النظام الإيراني. فطهران، برأيه، لم تنهَر بل أعادت تموضعها، معززة اعتمادها على أدوات الرد غير المباشر، ورافعة كلفة المواجهة عبر توسيعها إلى ساحات الطاقة والخليج.

سلامة، الذي يشغل منصب رئيس قسم الدراسات الدولية والسياسية في الجامعة اللبنانية الأمريكية، يُشير إلى أن وقف إطلاق النار الحالي لا يتجاوز كونه هدنة هشّة ضمن مسار تفاوضي طويل، مرجّحاً أن يقود إلى تفاهمات جزئية أكثر من اتفاق شامل، في ظل انعدام الثقة بين الأطراف. كما يرى أن إيران تتجه نحو إعادة إنتاج نفوذها بصيغة أكثر مرونة، قائمة على التعطيل الاستراتيجي بدل السيطرة المباشرة.

يعتبر أن الحرب أعادت خلط موازين القوى من دون أن تُنتج نظاماً مستقراً، حيث خرجت دول الخليج أكثر انكشافًا، بينما عززت كل من روسيا والصين موقعهما، في مقابل تراجع الدور الأوروبي.

ويرى أن بقاء لبنان خارج ترتيبات وقف إطلاق النار يعكس سعي إسرائيل إلى مواصلة الضغط على «حزب الله»، وتحويل ملف سلاحه إلى قضية داخلية، ضمن مسار تفاوضي أوسع مرتبط بالمفاوضات الأمريكية–الإيرانية. ويحذّر في الوقت نفسه من أن المرحلة المقبلة تحمل مخاطر اضطراب داخلي، وإن كانت احتمالات الانزلاق إلى صدام أهلي ليست حتمية وتبقى رهناً بتوازنات دقيقة. وهنا النص الحوار:

○ كيف تُقيِّم الحرب التي شنَّتها الولايات المتحدة وإسرائيل على إيران لجهة نتائجها المتوقعة؟ هل يمكن القول إن أهداف الحرب المعلنة من قبل الرئيس الأمريكي دونالد ترامب على طريق التحقّق؟

● الحرب التي شنتها الولايات المتحدة وإسرائيل على إيران يمكن توصيفها كحملة حققت نجاحات عملياتية واضحة لكنها أخفقت في بلوغ هدفها الاستراتيجي النهائي. فمن حيث النتائج المباشرة، تمكنت الضربات الجوية والاستخباراتية من إلحاق أضرار كبيرة بالبنية التحتية العسكرية الإيرانية، خصوصاً المنشآت المرتبطة بالبرنامج النووي ومراكز تطوير الصواريخ. كما أن استهداف القيادات العسكرية العليا خلق حالة من الارتباك المؤقت داخل هرم القيادة الإيرانية، وأضعف القدرة على التنسيق في المراحل الأولى من الحرب. هذه النتائج تمنح إدارة الرئيس دونالد ترامب مادة كافية للقول إن جزءاً مهماً من الأهداف قد تحقق، خصوصاً ما يتعلق بإبطاء البرنامج النووي وتقويض القدرات الهجومية الإيرانية.

لكن عند الانتقال إلى المستوى الاستراتيجي، تظهر محدودية هذه الإنجازات. الهدف غير المعلن، بل الضمني، كان دفع النظام الإيراني نحو الانهيار أو على الأقل خلق دينامية داخلية تؤدي إلى تغييره، وهذا لم يتحقق. على العكس، أظهر النظام قدرة على التكيّف، وانتقل إلى استراتيجية الرد غير المباشر، ففعَّل شبكاته الإقليمية ورفع كلفة الحرب على خصومه. إغلاق أو التهديد بإغلاق مضيق هرمز شكَّل نقطة تحوُّل، إذ نقل الصراع من كونه مواجهة عسكرية محدودة إلى أزمة اقتصادية عالمية. كما أن استهداف منشآت الطاقة في الخليج أدخل أطرافاً جديدة في دائرة التهديد.

إضافة إلى ذلك، ساهمت الحرب في تعميق الخلاف بين الولايات المتحدة وحلفائها الأوروبيين، الذين وجدوا أنفسهم أمام كلفة اقتصادية مرتفعة دون دور سياسي حقيقي. بالتالي، يمكن القول إن الحرب نجحت في تحقيق أهداف تكتيكية، لكنها فشلت في تحقيق الحسم السياسي، وهو ما أدى إلى إطالة أمد الصراع وتعقيده.

○ نشهد وقف إطلاق النار لأسبوعين من أجل التفاوض الأمريكي–الإيراني للتوصل إلى اتفاق؟ هل هناك فرصة فعلية للاتفاق أم نحن أمام مجرد هدنة مؤقتة؟

● وقف إطلاق النار الحالي لا ينبغي فهمه كمرحلة نهائية، بل كجزء من عملية تفاوضية أوسع وأكثر تعقيداً. التجارب التاريخية تُشير إلى أن مثل هذه الحروب، خاصة عندما لا تنتهي بانتصار حاسم، تتحوَّل إلى مسارات تفاوض طويلة تتخللها فترات تهدئة مؤقتة. في هذه الحالة، يبدو أن الطرفين، الأمريكي والإيراني، توصلا إلى قناعة بأن استمرار المواجهة المباشرة سيؤدي إلى كلفة غير محتملة، سواء على المستوى الاقتصادي أو الأمني.

من المرجح أن نشهد مرحلة من خفض التصعيد تمتد لأسابيع أو حتى أشهر، يتم خلالها فتح قنوات تفاوض رسمية وغير رسمية. هذه المفاوضات لن تهدف في البداية إلى اتفاق شامل، بل إلى إدارة الأزمة ومنع عودة التصعيد. وبالتالي، قد نرى سلسلة من التفاهمات الجزئية، مثل ترتيبات أمنية مؤقتة، أو آليات لخفض التوتر في الخليج، أو خطوات محدودة تتعلق بالبرنامج النووي.

لكن الطريق نحو اتفاق شامل سيكون صعباً، نظراً لانعدام الثقة بين الطرفين. كل طرف سيحاول تقديم تنازلات محدودة مقابل مكاسب ملموسة، مع الحرص على عدم الظهور بمظهر الضعيف أمام جمهوره الداخلي. لذلك، من المرجح أن يتم تسويق أي تقدّم على أنه «انتصار» حتى لو كان محدوداً.

بالتالي، نحن أمام هدنة قابلة للتمديد، لكنها تبقى هشَّة، وقابلة للانهيار في أي لحظة إذا ما حصلت حادثة ميدانية كبيرة أو تغيُّر في الحسابات السياسية. الاتفاق ممكن، لكنه سيكون تدريجياً، وغير مكتمل، ويعكس توازن القوى أكثر مما يعكس تسوية نهائية.

○ نحن اليوم أمام أي إيران؟ هل فعلاً قد نرى تحوّلات في عقلية نظام الجمهورية الإسلامية؟ وهل ما زال قادراً على الاستمرار؟

● إيران بعد الحرب ليست كما كانت قبلها، لكنها أيضاً ليست في حالة انهيار. يمكن وصفها بأنها دولة تعرضت لضربات قاسية، لكنها ما زالت تحتفظ بعناصر القوة الأساسية التي تضمن بقاء النظام. أول هذه العناصر هو غياب البديل السياسي المنظم والقادر على ملء الفراغ في حال سقوط النظام. هذا العامل وحده يشكل ضمانة غير مباشرة لاستمرار النظام، إذ تخشى القوى الدولية والإقليمية من سيناريو الفوضى.

العامل الثاني هو استمرار قدرة النظام على السيطرة الداخلية. رغم الضغوط الاقتصادية والاحتجاجات، ما زالت أجهزة الدولة، الأمنية والعسكرية، متماسكة وقادرة على فرض النظام. هذه القدرة على القمع والسيطرة تمنح النظام هامشاً واسعاً للاستمرار حتى في ظل الأزمات.

أما العامل الثالث فهو البُعد الاقتصادي والجيوسياسي، حيث تمكنت إيران من الحفاظ على جزء من صادراتها النفطية، مستفيدة من علاقاتها مع روسيا والصين. هذا الدعم لا يقتصر على الجانب الاقتصادي، بل يمتد إلى غطاء سياسي يُخفِّف من وطأة الضغوط الدولية.

من ناحية العقلية السياسية، لا يبدو أن النظام سيتجه نحو الاعتدال، بل على العكس، قد يُعزِّز من اعتماده على أدوات الردع غير التقليدية. الحرب أكدت له أن المواجهة المباشرة مكلفة، لكنه في الوقت نفسه أثبت قدرته على الصمود، ما قد يدفعه إلى تبنّي استراتيجية مزدوجة تجمع بين التفاوض من جهة، والاستمرار في بناء أدوات القوة غير المباشرة من جهة أخرى.

○ ما السيناريوهات الواقعية للتوصل إلى اتفاق شامل بين ما تبقى من النظام الإيراني وأمريكا؟

● الدافع نحو اتفاق شامل لا ينبع فقط من الرغبة في إنهاء الحرب، بل أيضاً من الحاجة السياسية لكل من الولايات المتحدة وإيران لإظهار إنجاز. إدارة الرئيس ترامب، على وجه الخصوص، تحتاج إلى تقديم نتيجة ملموسة تُبرِّر كلفة الحرب، ما يجعلها أكثر استعداداً للدفع نحو اتفاق واسع النطاق.

السيناريو الأكثر واقعية يتمثل في اتفاق يتضمن إعادة ضبط البرنامج النووي الإيراني، بحيث يتم خفض مستويات التخصيب ووضعها تحت رقابة دولية صارمة. في المقابل، ستحصل إيران على رفع تدريجي للعقوبات، ما يسمح لها بإعادة الاندماج في الاقتصاد العالمي. كما قد يشمل الاتفاق ترتيبات أمنية تتعلق بضمان حرية الملاحة في الخليج، خصوصاً في مضيق هرمز.

لكن التحدّي الأكبر يكمن في القضايا غير النووية، مثل البرنامج الصاروخي ودعم الجماعات الحليفة في المنطقة. هذه الملفات تمثل عناصر أساسية في استراتيجية إيران الإقليمية، ومن غير المرجح أن تتخلى عنها بسهولة. لذلك، قد يتم تأجيلها أو التعامل معها بشكل غير مباشر.

بالتالي، حتى في حال التوصل إلى اتفاق شامل، سيبقى هناك شك كبير حول مدى التزام إيران به، خاصة إذا شعرت أن الظروف الإقليمية أو الدولية تسمح لها بإعادة بناء قدراتها. الاتفاق، في هذه الحالة، سيكون أكثر شبهاً بإدارة للصراع منه بحل نهائي له.

○ سنكون أمام نسخة معدّلة من الاتفاق النووي السابق أم نموذج جديد بالكامل يشمل النووي والبرنامج الصاروخي والأذرع في المنطقة؟

● من المرجح أن يكون الاتفاق القادم مزيجاً بين إعادة إحياء الاتفاق النووي السابق وتوسيعه ليشمل عناصر إضافية. بمعنى آخر، نحن أمام نسخة معدَّلة، وليست اتفاقاً جديداً بالكامل. هذا الخيار يعكس الواقعية السياسية، حيث إن بناء إطار جديد بالكامل قد يكون معقداً ويستغرق وقتاً طويلاً، بينما يوفر الاتفاق السابق أساساً يمكن البناء عليه.

التعديل قد يشمل تشديد آليات الرقابة، وتوسيع نطاق القيود على التخصيب، إضافة إلى إدخال بنود تتعلق بالسلوك الإقليمي لإيران. لكن هذه البنود الأخيرة ستكون على الأرجح فضفاضة، نظراً لصعوبة التحقق منها.

المشكلة الأساسية تكمن في فجوة الثقة. التجربة السابقة أظهرت أن إيران قد تلتزم شكلياً بالاتفاق، لكنها تستمر في تطوير أدواتها بشكل غير مباشر. لذلك، حتى مع وجود اتفاق جديد أو معدل، ستبقى الشكوك قائمة حول مدى فعاليته على المدى الطويل.

○ تلقت دول الخليج الكم الأكبر من الصواريخ والمسيَّرات الإيرانية؟ ما هي الاستراتيجية الإيرانية من وراء ذلك؟

● استهداف دول الخليج لم يكن عملاً عشوائياً، بل جزءاً من استراتيجية مدروسة تهدف إلى توسيع نطاق الصراع ورفع كلفته. الرسالة الأساسية التي أرادت إيران إيصالها هي أن أمنها لا يمكن عزله عن أمن المنطقة، وأن أي محاولة لاستهدافها ستنعكس مباشرة على استقرار الدول المجاورة، خصوصاً تلك التي تعتمد بشكل كبير على صادرات الطاقة.

من خلال استهداف منشآت النفط والبنية التحتية، سعت إيران إلى ضرب نقطة الضعف الأساسية لدول الخليج، وهي الاقتصاد الريعي المعتمد على الطاقة. كما أن هذه الهجمات أظهرت محدودية أنظمة الدفاع الجوي، حتى تلك المدعومة من الولايات المتحدة، ما أضعف الثقة في المظلة الأمنية الغربية. محدودية أنظمة الدفاع لا يعني فشلها الكامل، بل يُشير إلى أنها محدودة الفعالية أمام هجمات كثيفة ومنسقة، وأن كلفتها العالية مقابل كل عملية اعتراض، مقارنة بكلفة الصواريخ أو المسيّرات المهاجمة، تخلق معادلة استنزاف غير متكافئة.

في الوقت نفسه، هدفت هذه الاستراتيجية إلى دفع دول الخليج للضغط على الولايات المتحدة من أجل إنهاء الحرب، من خلال خلق حالة من عدم الاستقرار الاقتصادي. هذا الأسلوب يعكس اعتماد إيران على الحرب غير المباشرة كوسيلة لتعويض تفوُّق خصومها العسكري.

> فتح مسار تفاوضي لبناني-إسرائيلي هدفه إضعاف ورقة «حزب الله» قبل إدخالها إلى طاولة التفاوض الكبرى

○ يشكِّل مضيق هرمز أحد أوراق القوة في يد إيران عبر السيطرة عليه وإغلاقه ومن ثم فرض قيود وفرض رسوم؟ هل ستكرِّس الحرب – كما الاتفاق – هذه الورقة الحيوية في الطاقة والاقتصاد العالمي بيدها؟

● الحرب عزَّزت من أهمية مضيق هرمز كورقة ضغط استراتيجية بيد إيران. هذا المضيق، الذي يمر عبره جزء كبير من تجارة النفط العالمية، أصبح أداة فعَّالة يمكن من خلالها التأثير على الاقتصاد العالمي.

إيران أثبتت أنها قادرة على تعطيل الملاحة أو على الأقل تهديدها، ما أدى إلى ارتفاع تكاليف النقل والتأمين. هذا الوضع يمنحها نفوذاً غير مباشر على أسعار النفط، وبالتالي على الاقتصاد العالمي. في المستقبل، قد تسعى إيران إلى استخدام هذه الورقة بشكل أكثر تنظيماً، سواء من خلال فرض قيود أو عبر التأثير على تدفقات الطاقة. وقد يدفع هذا التطوُّر الدول الكبرى إلى البحث عن بدائل، مثل تنويع مصادر الطاقة أو تطوير طرق نقل جديدة، لكنه في الوقت نفسه يمنح إيران موقعاً تفاوضياً أقوى.

○ برأيك، سنكون أمام تقليص نفوذ إيران أم إعادة إنتاجه بصيغة مختلفة؟

● الحديث عن تراجع نفوذ إيران بعد الحرب صحيح جزئياً فقط إذا تم قياسه بالمؤشرات التقليدية للقوة، مثل القدرات العسكرية المباشرة أو مستوى السيطرة الميدانية في بعض الساحات. فقد تعرَّضت إيران لضربات موجعة استهدفت بنيتها العسكرية وقياداتها، ما أدى إلى إضعاف قدرتها على إدارة العمليات التقليدية بنفس الكفاءة السابقة. لكن هذا التراجع لا يعني نهاية النفوذ الإيراني، بل يُشير إلى تحوُّل في طبيعته وأدواته.

إيران تاريخياً لم تعتمد على القوة الصلبة فقط، بل بنت نفوذها على مزيج من الأدوات غير المباشرة، مثل الشبكات الإقليمية والقدرة على التأثير في الأمن البحري والطاقة. بعد الحرب، يبدو أن طهران تتجه نحو تعزيز هذا النموذج، حيث أصبح لديها حافز أكبر لتجنبِ المواجهة المباشرة مع قوى متفوقة عسكرياً، والتركيز بدلاً من ذلك على أدوات الضغط غير المتناظرة.

أحد أبرز هذه التحولات هو تعاظم أهمية دورها في التحكم غير المباشر بالممرات الحيوية مثل مضيق هرمز، حيث لم تعد القوة الإيرانية تُقاس فقط بما تمتلكه من صواريخ، بل بما تستطيع تعطيله أو تهديده من تدفقات الطاقة العالمية. كما أن اعتمادها على حلفائها الإقليميين لم يتراجع، بل قد يتخذ أشكالاً أكثر مرونة وأقل انكشافاً.

بالتالي، نحن أمام حالة إعادة إنتاج للنفوذ الإيراني بصيغة أكثر تكيّفاً مع البيئة الجديدة، حيث تتحوَّل من قوة إقليمية تسعى إلى التمدد المباشر، إلى لاعب قادر على تعطيل النظام الإقليمي وفرض كلفة عالية على خصومه دون الحاجة إلى السيطرة الكاملة.

○ كيف ستكون نتائج الحرب على ميزان القوى في الشرق الأوسط؟ وهل من إعادة رسم لمحاور التحالفات في المنطقة؟ على حساب مَنْ؟ مَن الرابح ومَن الخاسر؟

● الحرب أعادت تشكيل ميزان القوى في الشرق الأوسط، لكنها لم تفرز نظاماً جديداً مستقراً، بل خلقت حالة من الاختلال المركّب. الولايات المتحدة، بقيادة ترامب، أثبتت مرة أخرى تفوقها العسكري وقدرتها على توجيه ضربات دقيقة ومؤثرة، لكنها في المقابل أظهرت حدود هذه القوة عندما لا تكون مدعومة باستراتيجية سياسية واضحة أو ببدائل واقعية لما بعد الحرب.

إيران، رغم الخسائر، خرجت من الحرب وهي لا تزال قادرة على التأثير، بل ونجحت في فرض معادلة مفادها أن إسقاطها ليس خياراً سهلاً أو قليل الكلفة. هذا بحد ذاته يُعيد تثبيت موقعها كفاعل لا يمكن تجاوزه في أي ترتيبات إقليمية. أما دول الخليج، فقد كانت من أبرز الخاسرين، ليس فقط بسبب تعرضها المباشر للهجمات، بل لأنها كشفت عن هشاشة نموذجها الأمني المعتمد بشكل كبير على الحماية الخارجية. هذه الدول باتت تواجه معادلة صعبة بين الاستمرار في الاعتماد على الغرب أو البحث عن بدائل.

في المقابل، برزت روسيا كأحد المستفيدين الرئيسيين، حيث أدى ارتفاع الطلب على الطاقة إلى تعزيز موقعها الاقتصادي والسياسي، فيما عززت الصين حضورها كقوة داعمة للنظام الإيراني ومنافسة للنفوذ الأمريكي، فيما خرجت أوروبا بصورة ضعيفة، حيث بدت غير قادرة على حماية مصالحها أو التأثير في مسار الحرب، ما يعكس تراجع دورها الاستراتيجي في المنطقة.

○ ما أبرز السيناريوهات المحتملة لمستقبل الشرق الأوسط في ضوء هذه الحرب؟ هل نحن أمام بداية تحوُّل استراتيجي كبير في المنطقة؟

● المشهد الإقليمي بعد الحرب لا يتجه نحو استقرار، بل نحو مرحلة طويلة من التوازن الهش أو ما يمكن تسميته بـ«شلل القوة». لا يوجد طرف قادر على فرض هيمنة كاملة، ولا طرف مستعد للتراجع الكامل، ما يخلق بيئة تتسم بالتوتر المستمر والانفجارات المتقطعة.

السيناريو الأول، يتمثل في استمرار هذا الوضع، حيث تبقى المنطقة في حالة «لا حرب ولا سلم»، مع إدارة الصراع عبر تفاهمات جزئية. هذا السيناريو هو الأكثر ترجيحاً على المدى القريب.

السيناريو الثاني، يتمثل في إعادة تشكيل التحالفات، حيث قد نشهد تعمقاً في محور إيران ـ روسيا ـ الصين مقابل تراجع الدور الأوروبي، ومحاولات خليجية لبناء توازنات جديدة.

أما السيناريو الثالث، فهو عودة التصعيد في حال فشل المفاوضات أو حدوث تغييرات سياسية داخلية في أحد الأطراف. هذا السيناريو يبقى قائماً، لكنه مُكلف للجميع.

بشكل عام، يمكن القول إن المنطقة تدخل مرحلة تحوُّل استراتيجي عميق، حيث لم يعد النظام الإقليمي القديم قائماً، ولم يتشكل بعد نظام جديد واضح المعالم.

○ لننتقل إلى لبنان، كيف قرأت بقاء لبنان خارج إطار وقف إطلاق النار؟ وما دلالات استمرار العمليات العسكرية التي تنفذها إسرائيل ضد «حزب الله»؟

● بقاء لبنانٍ خارج إطار وقف إطلاق النار ليس تفصيلاً عسكرياً، بل يحمل دلالات سياسية واستراتيجية عميقة. إسرائيل ترى أن أي اتفاق مع إيران لا يُعالج التهديد المباشر على حدودها الشمالية يبقى ناقصاً، ولذلك تسعى إلى استمرار الضغط على «حزب الله» حتى في ظل التهدئة العامة.

هذا السلوك يعكس رغبة إسرائيل في لعب دور «المفسد» أو «الموازن» لأي اتفاق لا يحقق مصالحها الأمنية بالكامل. فهي تدرك أن بقاء «حزب الله» كقوة عسكرية فاعلة يعني استمرار التهديد، بغض النظر عن أي تفاهمات مع طهران.

من جهة أخرى، تسعى إسرائيل إلى تفكيك الجبهة الإيرانية عبر ضرب إحدى أهم حلقاتها، أي لبنان، بهدف تقليص العمق الاستراتيجي لإيران. هذا يعني أن الساحة اللبنانية قد تتحوَّل إلى ساحة صراع منفصلة نسبياً عن المسار الأمريكي–الإيراني، لكنها مرتبطة به بشكل غير مباشر.

○ طرح رئيس الجمهورية المفاوضات المباشرة مع إسرائيل، وبالأمس وافقت إسرائيل على الجلوس مع لبنان وقالت إن هدفها هو نزع سلاح «حزب الله» والتوصل إلى اتفاقية سلام. ما هو أكيد أن المفاوضات ستكون في واشنطن برعاية أمريكية على مستوى دبلوماسي والموعد المبدئي هو الثلاثاء المقبل؟ ما المتوقع عملياً من هذه المفاوضات؟ وما مدى ارتباطها بمحادثات إسلام أباد بين إيران وأمريكا؟

● ما يجري اليوم لا يمكن فصله عن السياق الإقليمي الأوسع، بل يجب قراءته كجزء من إعادة ترتيب شاملة لملفات الصراع في المنطقة. من هذا المنطلق، ترى إسرائيل في طرح المفاوضات المباشرة مع لبنان فرصة استراتيجية نادرة، ليس فقط لتحقيق اختراق دبلوماسي، بل أساساً لإطلاق مسار تدريجي نحو نزع سلاح «حزب الله».

عملياً، ما يمكن توقعه من هذه المفاوضات في واشنطن هو البدء بملفات تقنية وأمنية محدودة، مثل تثبيت قواعد الاشتباك، تعزيز دور الجيش اللبناني جنوباً، وربما إدخال آليات رقابة دولية أكثر صرامة. لكن الهدف الحقيقي لإسرائيل يتجاوز هذه العناوين المباشرة، إذ تسعى إلى نقل ملف «حزب الله» من كونه قضية صراع إقليمي إلى قضية داخلية لبنانية. بمعنى آخر، تريد إسرائيل أن يتحول سلاح «الحزب» إلى موضع نزاع داخلي، وليس فقط موضع مواجهة مع الخارج.

هذا التحوُّل بالغ الأهمية، لأنه يخلق زخماً داخلياً لبنانياً ضد «حزب الله»، خاصة في ظل التدهور الاقتصادي والضغوط السياسية، ويضع «الحزب» في موقع الدفاع أمام شرائح لبنانية متزايدة ترى في سلاحه عبئاً على الدولة. وفي الوقت نفسه، يؤدي هذا المسار إلى رفع كلفة الدعم الإيراني لـ«الحزب»، سواء لوجستياً أو سياسياً، حيث يصبح إيصال الدعم أكثر تعقيداً في ظل الرقابة الدولية والضغط الداخلي.

> لا غالب في هذه الحرب بل توازن قلق ومفتوح... والخليج دفع الكلفة الأكبر

أما بالنسبة للارتباط مع المفاوضات الجارية بين الولايات المتحدة وإيران، سواء في واشنطن أو في إسلام أباد، فهو ارتباط وثيق. فواشنطن تدرك أن أي اتفاق شامل مع طهران لن يكتمل من دون معالجة ملف الأذرع الإقليمية، وعلى رأسها «حزب الله». لذلك، فإن فتح مسار تفاوضي لبناني–إسرائيلي يهدف عملياً إلى إضعاف ورقة «حزب الله» قبل إدخالها إلى طاولة التفاوض الكبرى.

بعبارة أوضح، إسرائيل والولايات المتحدة تسعيان إلى خلق واقع جديد يجعل من استمرار دعم «حزب الله» مكلفاً وغير مستدام لإيران، ما قد يدفع طهران، في لحظة معينة، إلى تقديم تنازلات أو «بيع» هذا الملف ضمن صفقة إقليمية أوسع. وبالتالي، فإن هذه المفاوضات ليست معزولة، بل تشكل جزءاً من استراتيجية ضغط متعددة المستويات تهدف إلى إعادة تشكيل التوازنات في لبنان وربطها مباشرة بمسار التفاوض الأمريكي–الإيراني.

○ هل الحكومة اللبنانية قادرة على تنفيذ ما قد تلتزم به؟ هي قالت إن الجيش اللبناني أنجز مهمته بحصر السلاح بيده في جنوب الليطاني، ليظهر إخفاقه بعد انخراط «حزب الله» في حرب «الثأر لخامنئي»؟

● إخفاق الدولة اللبنانية في فرض احتكار السلاح، خاصة بعد إعلان نجاحها في جنوب الليطاني، يكشف عن فجوة كبيرة بين الخطاب والواقع. هذا الفشل سيؤدي إلى فقدان الثقة في قدرة الدولة على تنفيذ التزاماتها، سواء داخلياً أو دولياً. وفي أي محاولة مستقبلية لنزع السلاح، سيكون من الضروري اعتماد مقاربة مختلفة، تقوم على إشراف دولي مباشر، وربما وجود قوات مراقبة تمتلك صلاحيات تنفيذية. كما أنَ إعادة هيكلة الجيش اللبناني ستكون شرطاً أساسياً، لضمان استقلاليته عن أي نفوذ سياسي أو حزبي. سيكون هذا المسار مُكلفاً سياسياً وأمنياً، لكنه قد يكون الخيار الوحيد لاستعادة الثقة الدولية والحصول على الدعم اللازم لإعادة بناء الدولة.

○ هل تتخوف من فوضى داخلية واقتتال أهلي؟ ولا سيما بعد رفع الحكومة الغطاء السياسي كلياً عن الجناح العسكري لحزب الله (المقاومة) واعتباره تنظيما مسلحاً خارج القانون؟

● لبنان يقف أمام مرحلة شديدة الحساسية، حيث تتقاطع الضغوط الخارجية مع الانقسامات الداخلية. الحكومة اللبنانية قد ترى، في هذه اللحظة، فرصة تاريخية لإعادة فرض سلطة الدولة، خصوصاً في ظل انشغال «حزب الله» في المواجهة مع إسرائيل وتراجع قدراته.

رفع الغطاء السياسي عن الجناح العسكري لـ«حزب الله» يُشير إلى محاولة لإعادة تعريف التوازنات الداخلية، لكن هذه الخطوة تحمل مخاطر كبيرة. فـ«الحزب»، رغم ضعفه النسبي، ما زال يمتلك قاعدة شعبية وسلاحاً مؤثراً، ما يجعل أي محاولة لنزع سلاحه بالقوة محفوفة باحتمالات التصعيد.

في المقابل، قد يسعى «حزب الله» إلى تجنّب مواجهة داخلية، خاصة إذا شعر أن البيئة الإقليمية لا تسمح له بخوض صراعين في آن واحد. هذا قد يفتح الباب أمام تسويات داخلية، تقوم على تقاسم النفوذ أو إعادة تنظيم العلاقة مع الدولة.

بالتالي، احتمال الفوضى أو الاقتتال الأهلي قائم، لكنه ليس حتمياً، حيث قد تفرض موازين القوى نوعاً من التهدئة القسرية.

حريات

تصاعد قضايا الطلاق الخلعي في العراق... حرية الزوجة مقابل تنازل مالي

بغداد – «القدس العربي»:
مصطفى العبيدي

تعد ظاهرة تصاعد حالات طلاق الخلع، في الآونة الأخيرة، أحد مؤشرات تدهور أوضاع العائلة العراقية وتفتتها، ضمن تداعيات الأزمات المتنوعة التي تعصف بالبلد منذ عقود.

وإزاء تصاعد ملحوظ لقضايا الخلع التي تشهدها المحاكم العراقية في السنوات الأخيرة، فقد أطلق ناشطون وحقوقيون ومنظمات المجتمع المدني، تحذيرات من خطورة تنامي هذه الظاهرة وضرورة دراسة أسبابها وتداعياتها على المجتمع.

ويعد الطلاق الخلعي أحد أبرز الوسائل القانونية والشرعية لإنهاء العلاقة الزوجية في العراق، حيث تلجأ إليه الزوجة عندما يتعذر استمرار الحياة المشتركة، مقابل التنازل عن بعض حقوقها المالية.

والخلع، بالمفهوم العام، هو «اتفاق الزوجين على الطلاق مقابل عوض تلتزم الزوجة أو من ينوب عنها بدفعه إلى الزوج». أما الخلع شرعاً «هو اتفاق الزوجين على إنهاء رابطة زوجية بلفظ الخلع أو ما في معناه مقابل عوض يدفع من جانب الزوجة إلى الزوج».

جولة في محاكم بغداد

وخلال جولة لـ«القدس العربي» في محاكم العاصمة العراقية بغداد، جرى حوار مع بعض الزوجات اللواتي رفعن قضايا خلع ضد أزواجهن، إضافة إلى آراء بعض المحامين، للاطلاع على طبيعة تنامي ظاهرة الخلع في العراق وأسبابها وآثارها على أوضاع العائلات.

وتحدثت المدعوة هدى الدليمي، للصحيفة، انها رفعت دعوى للخلع من زوجها أمام المحكمة، بعد مرور نحو خمس سنوات على الزواج. وأشارت إلى أن أسباب الخلع تعود إلى تفاقم الخلافات بينهما وعدم إمكانية استمرارهما في العيش معا، حيث فشل الزوج في توفير مستلزمات الزواج المالية منذ سنوات بحجة كونه عاطل عن العمل، رغم وجود أطفال بينهما، مما اضطرها إلى البحث عن عمل لها في العديد من الشركات والمكاتب لتوفير مستلزمات العائلة من إيجار السكن ومصاريف البيت كأجور الماء والكهرباء والعلاج وغيرها من الالتزامات. وأضافت انها أبلغت القاضي تنازلها عن حقوقها المادية مقابل إنهاء هذا الزواج الفاشل.

أما همسة ام حمودي، فذكرت أن زوجها تزوجها قبل سنوات بعد كتابة منزل كبير باسمها في منطقة راقية من بغداد، وتقديم مغريات مادية كبيرة أخرى لها، ولكن لاحقا ألقت هيئة النزاهة الحكومية، القبض عليه وحكمت عليه بالسجن وصادرت جميع ممتلكاته وممتلكات زوجته وبضمنها البيت، وذلك بسبب قضايا فساد وسرقة المال العام وتبييض أموال. ونظرا لرفض الزوج تطليقها، فقد رفعت دعوى خلع عليه في المحكمة وحصلت على قرار الطلاق لصالحها.

وعن قضايا الخلع في المحاكم العراقية، ذكر المحامي محمد المشهداني أن لديه العديد من دعاوى الخلع التي رفعتها نساء راغبات بإنهاء العلاقة الزوجية لوجود أضرار من استمرار تلك العلاقة واستحالة العيش مع أزواجهن.

وبين أن أغلب أسباب قضايا الخلع التي تتزايد في الآونة الأخيرة، هي المشاكل المادية أو خيانة الأزواج أو تدخل أهل الزوجين في شؤون عائلات أبنائهم وغيرها من الأسباب. منوها إلى أن أغلب الزوجات تلجأ إلى رفع دعاوى الخلع، للرغبة في سرعة إنهاء العلاقة الزوجية بدل قضاء سنوات في المحاكم لمحاولة الوصول إلى الطلاق العادي.

وأوضح المحامي أن قضايا الطلاق بالخلع تتطلب من الزوجة التخلي عن حقوقها المادية التي سبق الاتفاق عليها كالمهر والمقدم والمؤخر والنفقة، وهي التي تسمى «البذل». فيما تبقى حقوق الحضانة والنفقة للأولاد قائمة ولا تسقط بتنازل الأم عن حقوقها. كما تتطلب دعاوى الخلع، موافقة الزوج على الطلاق.

وأكد المحامي، انه بعد الطلاق يمكن للزوجة الرجوع عن تقديم المقابل المادي أثناء فترة العدة، وعندها ينقلب الطلاق الخلعي إلى طلاق رجعي ويحق للزوج ارجاعها إلى بيت الزوجية.

وعن شروط الطلاق الخلعي، ذكر المحامي أن قضايا الخلع تتطلب توفر شروط عديدة منها تحديد صيغة الخلع، أي أن تقول الزوجة أقوالا محددة مثل «خلعتك على مهرك المؤخر»، وان تكون الزوجة بالغة وكارهة لزوجها، وان يكون الزوج مؤهلا للطلاق، وغيرها من الشروط القانونية والشرعية.

وبدوره أشار نقيب المحامين العراقيين السابق ضياء السعدي، للصحيفة، إلى أن قضية الخلع وفق المادة 46 من قانون الأحوال الشخصية، هو أن تتقدم الزوجة بطلب لإنهاء عقد زواجها مقابل تنازلها عن حقوقها المادية بسبب خلافات عميقة بينها وبين زوجها الذي يرفض تطليقها، مع ضرورة ان تقدم الزوجة، أسبابا مقنعة للقاضي تؤكد استحالة استمرار الزواج.

وأوضح ان تقديم الزوجة دعوى الخلع ليس ضمانا لموافقة المحكمة على الطلاق، بل يجب أن تكون هناك أسبابا مقنعة لقاضي الأحوال الشخصية الذي يقوم في الغالب، بالتحقيق في ادعاءات الزوجة وظروف الحياة الزوجية من خلال الشهود والخبراء المختصين والبحث في الأدلة وغيرها، وذلك حرصا على مصلحة الأبناء إضافة إلى مصلحة الطرفين.

وذكر السعدي أن المادة 46 من قانون الأحوال الشخصية العراقي الساري، تجيز للزوجة التقدم للمحكمة بطلب الخلع إذا كان هناك ضرر يقع عليها أو على العائلة، كتقصير الزوج في إعالة العائلة أو إدمانه على تناول المخدرات أو الخيانة أو أن يكون محكوما بالسجن وغيرها من الأسباب، منوها إلى ان حالات الخلع تكون من ضمن إحصائيات الطلاق الشهرية التي يعلنها مجلس القضاء الأعلى.

وتوقع السعدي زيادة المشاكل الزوجية وحالات الخلع والطلاق في المجتمع العراقي إذا استمرت الحرب الحالية في إيران والمنطقة وما تتركه من تداعيات على المجتمع والاقتصاد العراقي، نظرا للتقارب والتداخل والصلات المتنوعة في الجوانب الجغرافية والاجتماعية بين البلدين.

القضاة يحذرون من تنامي حالات الخلع

وحول ظاهرة الخلع وتداعياتها على المجتمع، أجرت صحيفة القضاء الصادرة عن مجلس القضاء الأعلى في العراق، استطلاعا لبعض قضاة الأحوال الشخصية في المحاكم العراقية، لتسليط الضوء على الفروق الجوهرية بين الخلع وغيره من أنواع الطلاق، فضلا عن التحديات التي تواجه العمل القضائي في هذا المجال، في ظل تزايد ملحوظ في دعاوى الخلع خلال السنوات الأخيرة.

وقال قاضي محكمة الأحوال الشخصية في الديوانية، جهاد طعمة، إن الزوجة تفقد الحق الذي خالعت عليه مقابل طلاقها لمصلحة زوجها، ولا يمكنها المطالبة به مرة أخرى.

وأوضح أن الحقوق التي لم يشملها الخلع لا تتأثر بالطلاق الخلعي، فلو خالعت الزوجة على بذل أثاث الزوجية أو مصوغاتها الذهبية، فإن هذا البذل لا يؤثر على مهرها المؤجل، مبينا أن الخلع، شرعاً وقانوناً، لا تأثير له على حضانة الزوجة لأولادها، إذ يقتصر على العلاقة بين الزوجين، فيما تبقى مسائل الحضانة وحقوق الأولاد خاضعة لمعايير وأسباب أخرى تتمحور حول تحقيق مصلحة المحضون.

وفيما يتعلق بأبرز الإشكالات التي تواجه القضاة عند النظر في هذه الدعاوى، أشار إلى أن من بين المشاكل التي برزت خلال العمل القضائي ضرورة أن يكون المال الذي تبذله الزوجة مالاً موجودا ومتحققاً وقائماً وقت الطلاق.

ولفت إلى أنه في كثير من مجالس الطلاق تُبذل أموال غير متحققة، مثل نفقة العدة، الأمر الذي استقرت معه محكمة التمييز الاتحادية على اعتبار الطلاق غير واقع في مثل هذه الحالات، مع توجيه الخبراء القضائيين بهذا الشأن.

وأضاف أنه في بعض الأحيان تكون الزوجة كارهة لزوجها، فتبذل له عدة حقوق، كمهرها المؤجل وأثاثها الزوجي ونفقتها الماضية لسنة سابقة على الطلاق، لكنها قد تتحايل عند تصديق الطلاق أمام المحكمة فتتراجع عن جزء من الحقوق التي بذلتها، ولا سيما تلك ذات القيمة العالية، كالمهر المؤجل، وتُبقي الخلع قائماً على مقابل قليل القيمة، مثل النفقة الماضية، بهدف الحصول على طلاق بائن لا يملك الزوج معه إرجاعها إلى عصمته، مع الاحتفاظ بما بذلته من حقوق. وأكد أن الرأي الشرعي الذي أخذت به المحكمة يقضي بعدم جواز رجوع الزوجة عن جزء مما بذلته عند إيقاع الطلاق أمام رجل الدين، ولها فقط حق الرجوع أثناء عدتها، وفي هذه الحالة ينقلب الطلاق إلى رجعي، ويكون للزوج حق إرجاعها إلى ذمته خلال مدة العدة.

وبيّن القاضي أنه من خلال استقراء إحصائيات المحكمة بشأن أعداد دعاوى الطلاق الخلعي، لوحظ وجود زيادة مستمرة في هذه الدعاوى، مشيرا إلى أن من أبرز أسباب ذلك الحالة الاقتصادية وانعكاساتها على العلاقات الزوجية، ما أدى إلى انهيار عدد كبير من الزيجات. كما أشار إلى أن بعض الأشخاص يحاولون الاستفادة من التشريعات الخاصة بالمطلقات، كمعونات الرعاية الاجتماعية، من خلال إقامة دعاوى طلاق خلعي صورية أمام المحكمة للحصول على مزايا نصت عليها قوانين أخرى.

واختتم حديثه بالتأكيد على أن الخلع يُعد وسيلة قانونية وشرعية لإنهاء العلاقة الزوجية المتعذر استمرارها بأقل قدر من النزاع والخصومة بين الطرفين. فالزوجة، إذا كرهت زوجها، يحق لها إنهاء حياتها الزوجية مقابل التنازل عن حقوقها الزوجية، فتحصل بذلك على حريتها، فيما يتجنب الزوج خسارة تلك الحقوق، الأمر الذي يسهم في الحد من حجم الخلاف بين الزوجين ومنع امتداده إلى أبنائهما، بما يحقق حماية الأطفال ويضمن التوازن بين حقوق الزوجين عند إنهاء علاقة زوجية متعذرة الاستمرار.

أما القاضي كوران علي الجاف من محكمة الأحوال الشخصية في كلار في الإقليم، فيوضح ان تعريف الخلع في قانون الأحوال الشخصية رقم 188 لسنة 1959، جرى عليه تعديلات، في قانون رقم 15 لسنة 2008.

وأضاف القاضي انه من خلال ما مذكور أعلاه ومن خلال التمعن في النص المعدل، نلاحظ ما يلي:

أ– ان الخلع الوارد في التعديل لم يشترط فيه رضا الزوج. وبما ان الخلع عبارة عن اتفاق فلا يجوز إيقاع الطلاق الخلعي دون رضا الزوج ولا يمكن إجباره على المخالعة. وان الخلع لا ينفرد به أحد الزوجين بل لا بد من رضاهما لان كلا منهما له شأن، إذ به يسقط ما للزوج من الحقوق فلا بد من رضاه، ويلزم الزوجة العوض فيشرط رضاها، وهذا يعني لا بد من وجود ايجاب وقبول، وبخلافه لا ينعقد الخلع. ب– ان القانون رقم 15 لسنة 2008 لم يلغ التفريق الاختياري (الخلع) وانه باقٍ على حاله.

ج– ان الخلع بما جاء بأحكامه وفق التعديل الأخير اختلطت مع أحكام المادة 41 من قانون الأحوال الشخصية، حيث نصت في المادة21 منه، عند تصديه لأحكام الخلع (إذا تبيّن للقاضي عن طريق التحكيم أن الزوجة لا تطيق العيش معه) وان التفريق وفق المادة41 من قانون الأحوال الشخصية اشترط التحكيم ايضا للحكم بالتفريق القضائي.

د– ان نص المادة 46 من قانون الأحوال الشخصية يشترط لصحة الخلع ان يكون الزوج أهل لإيقاع الطلاق وان تكون الزوجة محلا له، وهذا يعني وجوب حضور الزوج وموافقته. وحيث ان النصوص القانونية تكمل بعضها بعضا ولا يجوز تفسيرها بمعزل عن الأخرى والتفريق الاختياري (الخلع) يختلف عن التفريق القضائي.

هـ– ان الخلع يأخذ حكم الطلاق البائن، والآثار المترتبة عليه خطيرة، فإن تزوجت الزوجة بالغير بعد الخلع وفق التعديل الأخير ودون رضا الزوج فقد تترتب على ذلك آثاراً غير شرعية جديرة بالنظر.

غحصائيات الطلاق في العراق

وتشير الإحصائيات الرسمية الحكومية، إلى تصاعد متواصل في نسب حالات الطلاق في المجتمع العراقي خلال العقدين الأخيرين لتشكل أزمة اجتماعية خطيرة الآثار والأبعاد.

وأفادت التقارير الرسمية تسجيل أكثر من 72.000 حالة طلاق خلال عام 2024، عدا إقليم كردستان، أي حوالي 195 ـ 200 حالة طلاق يوميا.

وفي إحصائيات مجلس القضاء الأعلى لعام 2026، كانت حالات الطلاق 5999 خلال كانون الثاني/يناير فيما ارتفعت إلى 6151 حالة طلاق في شباط/ فبراير. وهذه الإحصائيات لا تشمل إقليم كردستان.

وكان رئيس المركز الإستراتيجي لحقوق الإنسان فاضل الغراوي، أعلن عن تسجيل أكثر من 357 الف حالة طلاق خلال 4 سنوات في عموم العراق، باستثناء إقليم كردستان.

وقال الغراوي في بيان، إن «عدد حالات الطلاق خلال هذه السنوات الاربع، هو تحديدا 357887 حالة، والذي يمثل ارتفاعاً مخيفاً يهدد استقرار الأسرة والمجتمع».

وأشار الغراوي إلى أنّه «خلال العقد الممتد بين 2004 و2014، انتهى زواج واحد من بين كل خمس زيجات بالطلاق، وسجل خلال المدة نفسها 516 ألفاً و784 طلاقاً من بين 2.6 مليون زواج، عدا إقليم كردستان».

وبدوره كشف «المركز الاستراتيجي لحقوق الإنسان في العراق»، عن تسجيل 9 حالات طلاق في الساعة الواحدة في العراق.

وقال نائب رئيس المركز، حازم الرديني، في بيان صحافي، إن «العراق شهد ارتفاعا في حالات الطلاق خلال الربع الأول من عام 2023، حيث بلغ عددها 19 ألفا و19 حالة، بمعدل تسع حالات طلاق في الساعة الواحدة، حسب إحصاءات مجلس القضاء الأعلى». وأضاف أن «تلك الأرقام هي نفسها التي سجلت خلال العام الماضي وتؤشر إلى نسب عالية وخطيرة في معدلات الطلاق».

وفي إقليم كردستان العراق، أعلن مجلس القضاء الأعلى ان «حالات الطلاق المسجلة في الإقليم لعام 2023 بلغت 14 ألفا و312 حالة، فيما سجلت محافظات الإقليم (السليمانية، أربيل، دهوك) 11.656 حالة طلاق مقابل 48.312 حالة زواج لعام 2024.

أما عن أسباب الارتفاع في حالات الطلاق بأنواعه، فإن تقارير الهيئات القضائية الرسمية ومنظمات المجتمع المدني، تعزو النسب المرتفعة في حالات الطلاق إلى أسباب أبرزها تدهور الأوضاع الاقتصادية في العراق مثل تصاعد البطالة بين الشباب، والزواج المبكر خارج المحاكم، وتأثير وسائل التواصل الاجتماعي والابتزاز الإلكتروني، إضافة إلى عدم التفاهم والتقارب بين الأزواج في المستوى الفكري والثقافي والعمري، والتدخل من عائلة الزوج أو الزوجة أو الأصدقاء، مع ارتفاع المشاكل الأسرية والعنف الأسري ومعدلات الخيانة الزوجية، وضعف الوازع الديني، وغيرها من الأسباب.

ولا يختلف المراقبون ومنظمات المجتمع المدني على ان ارتفاع أرقام دعاوى الخلع في المحاكم، إضافة إلى أنواع الطلاق الأخرى، في المجتمع العراقي خلال السنوات الأخيرة، تعد مؤشرا مثيرا للقلق لأنه يعكس تدهور أوضاع العائلة العراقية ضمن الانهيار الشامل في المجتمع العراقي، وسط اتهامات بالتقصير الواضح من الحكومة والهيئات الاجتماعية والدينية وباقي شرائح المجتمع، في التعامل مع هذه الظاهرة الاجتماعية ذات التأثير السلبي والخطير على أوضاع المجتمع حاضرا ومستقبلا. وبالتالي فإن هناك حاجة ملحة إلى لإطلاق حملة وطنية للتوعية بشأن مخاطر الطلاق وتأثيره على الأسرة والمجتمع، وإعداد دراسة وطنية تساهم فيها كل الفعاليات للحد من الارتفاع المتصاعد لحالات الطلاق ومعالجة أسبابها.

كتب

«جريمة في بيت الرب» رواية المصرية شاهيناز الفقي
العوالم المتوازية ومراجعة التاريخ

عادل ضرغام

في روايتها «جريمة في بيت الرب» تقدم الكاتبة المصرية شاهيناز الفقي خطابا سرديا مغايرا لحادثة تاريخية مصرية قديمة، مستندة في ذلك إلى رؤى عقلية ومنطقية، لتأسيس قراءة ناقدة تحرّف المستقر، ولا تكفّ عن طرح الأسئلة التي تقوّض بنياته. وفي خطابها المغاير تشتغل على نسج سردية للمظلومين الذين ظلّت صورتهم في المؤسس التاريخي المتّفق عليه مشوبة بالقلق ومملوءة بالنظرة السلبية استنادا إلى السردية التي تمّ التأصيل لقداستها.

يتحوّل الخطاب السردي في أجزاء من النص إلى خطاب لا يرتبط فقط بنزع التقديس، وإنما بالانتصار لكل مظلوم تعرّض للظلم بشكل أو بآخر، وكأن هذا المنطق في زحزحة التاريخي، وتحويله إلى كتابة خطابية أيديولوجية منطق وثيق الصلة بوجهة النظر والرؤية. تتأسس الرؤية الجديدة على أسانيد علمية. منها تعدد العوالم المتوازية سواء بالتتابع أو التجاور من خلال انتقال الشخصية في الزمن ذاته من عالم معاصر إلى عالم سابق موغل في القدم، مع تحولات في الهوية مع كل لحظة تاريخية.

يؤثر هذا التوجّه على الرواية، ويجعلها وثيقة الارتباط بفكرة الزمن الأبدي، فالعوالم المتوازية تتيح التقدّم إلى المستقبل والعودة إلى الماضي، وفيهما تتمّ مناوشة التاريخ القديم، وكشف عوراته وفجواته وأحكامه الجائرة بحق المظلومين، ومراجعة الصور والإطارات التي وضعت لها وحبستها داخل هذا الحيّز، ومن ثم يشعر القارئ المتأمل بزلزلة ثباتها، وبالقدرة على نسج خطاب سردي موازٍ يباين السردية المستقرة على امتداد العصور والأزمنة.

في هذه الرواية نعاين عددا من المناحي الفكرية ترتبط بالعوالم المتوازية من جانب، وبفكرة المراجعة وإعادة النظر الخاصة بالتاريخ، سواء أكان تاريخا موغلا في القدم أو تاريخا قريبا. فالتاريخ في هذا النص الروائي يمثل وجهة نظر أو توجها أيديولوجيا، ومن ثم فليس هناك – إذا تمت الموافقة على وجود حقيقة – حقيقة واحدة، بل حقائق أو رؤى، وكلها أيديولوجية ذاتية. الرواية تنزع القداسة عن الخطاب التاريخي المتفق عليه، وتعيد بناء وتأسيس فرضيتها انطلاقا من قناعات و أيديولوجيات، مستندة في تأسيس ذلك إلى حقائق وبراهين لها مشروعيتها، تجعلها تقف على بساط متساو مع الخطاب التاريخي المتفق عليه، أو الأكثر هيمنة وشيوعا.

الرواية– بالرغم من استنادها إلى أفكار معرفية مثل أبدية الزمن والعوالم المتوازية– لا تنغلق بديها من الإشارة ولو من طرف خفي إلى السياقات الحضارية المحيطة، والإلحاح على المغايرة بين عالمي الأمس واليوم من خلال عرض القسيمين. وفي ذلك نراها موحية بمدارات التحوّل بين زمنين، راصدة الضعف أو الوهن اللذين يلحقان بالشخصية المصرية بشكل تدريجي، والانهيارات المفزعة الكاشفة عن التدخلات الخارجية التي تمثل الباب الواسع لحالة الضعف في العصور الفرعونية القديمة، بداية من حكم رمسيس الرابع، وانتهاء عصر الملوك الأقوياء بهذه الأسرة.

وإذا كان الاشتغال على المتغيرات التي تلحق بالشخصية المصرية يمثل توجها مهما، فإنها– في الوقت ذاته– تتوقف عند أسس صلبة متماسكة، مشيرة إلى استمرارها في التواجد قديما وحديثا، وكأنها تلمح إلى أسس تشكل في التحليل الأخير ملامح هوية ثابتة، قد تختفي أو يقلّ وميضها تحت تأثير هيمنة الزائل وخداعه، لكنها تظل مستعيدة عافيتها في اللحظات الحرجة المفصلية، لكنس وتقويض اللحظي أو العابر الذي يظلّ بالرغم من الوجود والاستمرار لفترات طويلة هشًا يمكن القضاء عليه.

العوالم المتوازية

تستند الرواية لتشكيل أبدية الزمن على ظواهر علمية لربط عالمي الماضي (نهاية حكم رمسيس الثالث، وبداية فترة حكم رمسيس الرابع)، والحاضر (من الثورة المصرية وما تلاها من أحداث)، بداية من ظاهرة (الديجافو) التي تقع للبطل، ومرورا بالتناسخ، وانتهاء بالعوالم المتوازية. تأتي ظاهرة الديجافو– الشعور بالمرور بالتجربة أو الحادثة في زمن ماض أثناء معايشتها حاضرا– جزئية غير ممتدة، ويأتي التناسخ قائما على فكرة التتابع الزمني انطلاقا من حركة الروح بعد الموت وتحررها.

تتجاوز فكرة العوالم المتوازية ما تقدمه ظاهرة الديجافو، وما يمنحه التناسخ، فهيها يمكن للإنسان– بأشكال وأسباب عديدة– أن يجمع عالمين أو أكثر، ويقيم فيهما بهويتين مختلفتين، مثلما في ذلك مثل الأحلام التي تأتي في كثير من الأحيان كاشفة عن وجود الأشياء الدالة على عوالم رمزية غريبة متوازية. البداية بظاهرة الديجافو بالنسبة للبطل سنوسي (لم يذكر اسمه إلا في نهاية الرواية) بداية تؤسس للمغاير وابتعاد عن العادية أو المشابهة مع الآخرين. وقد تعامل النص مع هذه الظاهرة على أنها خروج يمكن البناء عليه للاستمرار داخل أكثر من عالم بشكل فيه نوع من الديمومة بعيدا عن اللحظي والعابر.

تحتاج الفكرة الخاصة بالعوالم المتوازية جزئيات دالة تؤسس لمشروعيتها، وقد كشفت الرواية عن تحبيكات بها الكثير من القصدية لإقناع المتلقي بمشروعيتها، منها انجذاب البطل سنوسي بشخصية عطية أو بوسي التي يراها في المقدمة الأولى، يقول النص على لسانه: «أشعر أني منجذب نحوها بشكل لم أعهده من فتاة من قبل»، وفي تبرير هذا الانجذاب غير المبرّر بينى النص تحبيكاته على المشابهة بينها وبين شخصية ميريت في السياق الفرعوني القديم، من خلال إسدال المشابهة في دور كل واحدة منهما. فالأولى عطية تقوم بدور حيوي في تحقيق البطل لهدفه في خلق نسخة مغايرة للأمير بنتا–أور، وتقديم أدلة البراءة من جريمة المشاركة في قتل الأب الملك رمسيس الثالث.

التشابه أيضا يفرض وجوده بين البطل/ والبطل الظل سمير الذي يمرّ بالمراحل ذاتها التي يمرّ بها البطل من الحركة والتوزع بين عالمي الماضي والحاضر، مع اختلاف سبيل كل شخصية منهما، فسمير من خلال أقراص أو حبوب الهلوسة، والآخر من خلال اختراق القوانين الكونية، والتغيير الذي يصيب أجزاء المعادلة، ولهذا يلحّ النص الروائي في جزئيات عديدة على أن البطل لم يتناول قرص الهلوسة، يقول النص «ربما تغيّر أحد أرقام المعادلة في ذلك اليوم الذي ابتلع فيه سمير القرص. قد لا أحتاج لقرص ينقلني إلى عالم موازٍ».

هناك في النص الروائي جزئية أخرى تدخل في إطار التحبيك الخاص بمشروعية الفكرة. فالنص الروائي يلحّ على التعدد، سواء في أسماء الأشخاص أو في وظائفهم، نجد ذلك واضحا مع الشخصية الظل سمير حين يخبر البطل معرّفا نفسه (أنا سمير عامل بناء)، لكنها تتزحم عند البطل وفق فاعلية بقايا الذاكرة (أنا سفير عالم فيزياء)، وكذلك مع شخصية عطية حين تخبر البطل بأنها (خبيرة تجميل)، فنراها تتزحم في وعي البطل بكونها (خبيرة تعليم).

يأخذ هذا الوجود المتعدد المتوازي شكلا أكثر تحبيكا وقصدية عند الحديث عن والديه، فنراه يتحدث عن والده في حدود وظائف وهويات مختلفة، فمرة مدرس تاريخ، وأخرى صانع أوانٍ فخارية، والأخيرة مسئول عن حفظ مخطوطات، أوجدت سرقة واحدة منها صراعا بينه وبين الوزير، ففصل من عمله دون تحقيق، ومات بعد إيداعه في السجن. ويستمر النمط ذاته في الحديث عن والدته، ففي واحد من أحاديثه يشير إلى كونها خياطة تحيك الجلاليب من الكستور، ومرة أخرى تعمل خادمة بعد سجن أبيه، وثالثة مهاجرة إلى فرنسا غرفت مع أولادها بالبحر.

في وقوف أخير يستند النص الروائي إلى بعض الاكتشافات العلمية التي ترى أن اقتراب كوكب الزهرة من الأرض– وهي الظاهرة التي تحدث كل 584 سنة– ليس مجرد حدث فلكي، بل يمثل دورة نفسية وعاطفية مشدودة بشكل وثيق إلى الماضي، فتمنح الفرصة لبعض الشخصيات للعودة إلى الماضي، وإعادة المعاينة للعوالم، وتبدأ في تصحيح المسار.

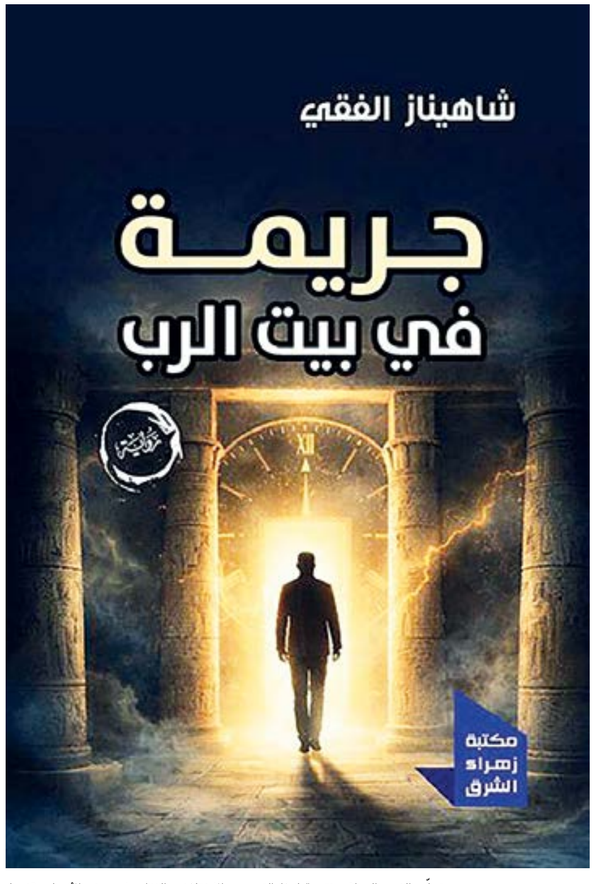

يتجلّى النص الروائي نتيجة لهذا التعدد المتمثل في هوية الشخصيات المتغيرة من عالم إلى عالم، وتغيير المكان من معاصر إلى فرعوني مشدود للمعابد والطقوس القديمة، وتغيير الزمان بين ماضٍ وآني، في إطار من الحركة وفقدان المركزية، فليس هناك حضور مهيمن لواحدة من التقسيمات السابقة. ولقاء الشخصيات– وخاصة لقاء سنوسي بسمير، ولقاء سنوسي بالفتاة عطية أو بوسي– لقاء يكشف ويفتت هذه الأحادية، وينفي المركزية، في ظلّ وجود حالة من الصراع الدائم بين البطل والشخصية النسوية الهلامية المتخيلة التي تظل مناقشة إياه في المنعطفات الكبرى لخطابه، وفي الفجوات التي يؤسس لها خطابه المغاير في مقابل الخطاب المؤسس، وكأن هذه الشخصية النسوية تأتي بوصفها إشارة للخطاب المتفق عليه، فحوارهما يثبت الاختلاف والنزاع. في بعض الأحيان يقنعها، ويثور ضدها، وفي أحيان أخرى تدلل له عن التناقضات أو الاختلافات في خطابه، لكنها في النهاية تتقبل هذا الخطاب الذي يمنح الأمير البراءة من جريمة قتل والده الملك، أو التآمر ضده.

مراجعة التاريخ والوجودي العيني

تبدو فكرة مراجعة التاريخ فكرة جوهرية في النص، وفي بعض الأحيان يخايل القارئ أنها تشكل الأساس المحوري له والهدف المنشود منه. وقد يقل الاهتمام بهذا الهدف ويتفتت أثره، ويقل لمعان الفكرة بسبب استناد الرواية خاصة في فصول النهاية إلى جزئيات أخرى مشوّقة مثل الصراع بين الحفاظ على التاريخ المصري، ومحاولة اليهود أو بعض رجالهم صناعة تاريخ مزيف يمتد للأسر الفرعونية من خلال أكاذيب سردية وأشياء مادية واهية الدلالة على مشروعية الفكرة.

إن المراجعة الخاصة بالخطاب التاريخي المتفق عليه تمثل منطلقا أساسيا للنص. ويبدو أن النص الروائي أسس وجودا صلبا لهذا المنطلق من خلال والد البطل، حين يحكي لعطية أو بوسي عن طفولته البائسة، حين يعرض والده على الوزير فكرة إعادة كتابة التاريخ المصري، لأن التاريخ المدوّن به مغالطات عديدة، حتى التاريخ الفرعوني لا يخلو– وفق منطقه– من هذه المغالطات، فاتهمه الوزير بالخلل العقلي، وقرّر فصله نهائيًا من العمل.

تظلّ هذه الحادثة مثيرا أساسيا للعمل وللحركة داخل النص الروائي، يفسّر محاولات المراجعة للخطاب التاريخي في تآلف مع منحى سردي يرتبط برفع الظلم عن المظلومين الذين ظلت صورتهم أسيرة إطار ثابت لا يتزحزح. فالرواية من خلال وجهة النظر الجديدة تحاول أن تعيد الاشتغال على السردية القديمة المستقرة، حتى تتلمس خيوط الظلم في الحكاية الواقعية التي يعايشها البطل في تنقله من عالمه المعاصر الآني إلى العالم الفرعوني القديم، في نسق لا يسلّم بالمستقر الثابت، ولكنه– فوق عدم تسليمه– لا يملّ من إعمال العقل والمساءلة المستمرة لهذا الخطاب، ومن فعل المساءلة يعيد الاشتغال على البردية التي تمثل في ذلك السياق الخطاب التاريخي المقدّس الذي تمّ الاتفاق عليه.

الخطاب المغاير الجديد لا ينساق لسطوة الخطاب المؤسس، ويحرّك موقعية الأمير المتهم من صفّ المتآمرين إلى صف المدافعين عن الملك، وإن كان منطقه لا يخلو من نبرة الشعور بالظلم الواقع على العمّال والفلاحين بسبب الملك وحاشيته والكهنة والحرّاس. فارتباط الأمير بشخصية ميريت الفتاة المنتمية إلى عامة الشعب له دور في تجلية ونمو البناء والتمدد الروائي نحو الهدف، لأن هذا الارتباط كشف عن السرداب الذي تستخدمه ميريت في اللقاء بالأمير، وهو السرداب نفسه الذي يستخدمه البطل سنوسي/ الغريب في الدخول إلى القصر ومعاينة الثورة ضد الملك، ورؤية المتآمرين القادمين من بلدان بعيدة عن مصر.

يقول النص الروائي على لسان البطل: «في الحقيقة أنني اتكأت في إثبات براءته على المنطق ودراسة سيكولوجية الإنسان المصري، وعلى قراءة التاريخ الذي لا توجد به حادثة واحدة مشابهة عن ابن يقتل أباه». ويتوازى مع هذا الأمر المستند إلى التاريخ الفرعوني بكامله، رأي الأمير الشرعي الذي أصبح الملك رمسيس الرابع في أخيه بنتا–أور، وإسناد الرأي إليه لا يخلو من قصدية، ويضعه في إطار الشاب الحالم الذي يحب الطبيعة والحيوانات، ويقرأ الأشعار والترانيم، وهذه الصورة تبعده عن عملية القتل، وعن التفكير في التآمر على أبيه.

يكشف الخطاب المقاوم في نهاية النص– لأنه ينطلق من معاينة الحدث وصنعه– عن أشياء صمتت عنها المدوّنة أو البردية التاريخية المتفق على مشروعيتها وقداستها، وهذه جزئية على نحو كبير من الأهمية، لأن هذا الخطاب يحرز تقدما يؤسس لمشروعيته وموثوقيته. فمآل الملكة (تي) أو نهايتها أمر لم تكشف عنه البردية أو الوثيقة التاريخية الرسمية، فقد أبانت المعاينة المحايثة لوقوع الفعل عن غرقها في النيل، والتهام التماسيح لجسدها، وكان تلك النهاية في منطق (ميريت)– لرفضها اقتراح الغريب/ البطل في إنقاذها من الغرق– نوع من التطهير.

وتختم الرواية بفقدان الوثيقة المناوئة التي كتبها بنتا–أور، وسلمها إلى ميريت التي سلمتها بدورها إلى الغريب أثناء هروبه، ويقظته بجانب الهرم الأكبر للعودة إلى العالم الموازي الآني، وكأن في كل تاريخنا المدوّن الرسمي وثيقة مناوئة تجعلنا حتما نعيد التفكير في كل نص، ولا نسلم له عقولنا بسهولة.

شاهيناز الفقي: «جريمة في بيت الرب»
زهراء الشرق للنشر، القاهرة 2026
241 صفحة.

«شركاء متشاكسون» رواية الجزائري عبد الغني صدوق: سؤال الشر وأسرار المنطق البشري

نورالهدى بَهتان

ظهرت موجة الرواية الجديدة في فرنسا مع نتالي ساروت وآلان روب غرييه وغيرهم من كتاب شباب، اختاروا أن يُعرَّفوا بالإنسان كما هو بدون مساحيق تجميلية وبدون أقنعة تخالف عالمه الوجودي الذي يحتاج منه أن يحيا فيه كما هو حقيقةً لا خيالاً والكتابة بطريقة متطرفة وموغلة في عنصر التجريب. فقد تخلت الرواية بمفهومها الجديد عن البنية التقليدية وسعت إلى زعزعة مركزية الإنسان داخل النص والمجازفة أيضاً بمصير الرواية كجنس أدبي استطاع أن يحافظ على بقائه في الريادة دائماً رغم كثرة الأجناس من حوله.

بالعودة إلى عالمنا العربي نجد أن الرواية الجديدة لم تظهر إلا كتقليد للرواية الفرنسية بعد عصر النهضة وظهور النصوص المترجمة، لتعرف ظهوراً متأخراً داخل الجزائر بسبب الاستعمار وما خلفه من مظاهر ضعف في عدة مجالات منها المجال الأدبي. اليوم ومع الألفية الجديدة ظهرت النصوص الجزائرية وهي تحاكي نصوصاً كبيرة في العالم، تحاول أن تبني لها هوية تعبر عنها. وقد نجح في ذلك عدد من الكتاب مثل واسيني الأعرج وبشير مفتي وإبراهيم سعدي وغيرهم. نعثر أيضاً على مجموعة من الكتاب الشباب الذين اختاروا تيار الرواية الجديدة من أجل التعبير عن الواقع المتأزم والمجتمع المتفكك، من بين هذه النصوص رواية «شركاء متشاكسون» للروائي عبد الغني صدوق، إذ يحاول في هذا النص الكتابة بمعايير سردية احترافية ويبرز قدرة فنيّة عالية على تحويل قصة متداولة إلى رواية ناجحة.

هذه النوفيلا تحكي الصراع القائم بين بني الإنسان في مختلف أصنافه، تسرد لنا المصائر النهائية بصورة سينمائية، فالروائي هنا تحرّر من أبعاد الزمان والمكان وقدم لنا هذا النص مجرداً من أهم عناصره. وهو بهذا يعانق الرواية في طروحاتها الجديدة ويهدم البنية القديمة ليعيد إنتاج بنية توافق الإنسان الجديد، وهذا أوّل ما يحسب لـ«شركاء متشاكسون» بعَدّها رواية جديدة. كما نجد تحرراً تاماً من بيئة الكاتب سواءً الجزائرية أو الصحراوية، هذا رصيد ثانٍ ينضاف للنص كرواية جديدة.

هذه الرواية يمكنها أن تُقرأ وفق بيئات مختلفة وأزمنة متعددة من دون أن يخل تاريخ كتابتها بذلك، كما عمد الكاتب إلى هيكلة نصّه وفق أجزاء صغيرة بصفحات معدودة لكل جزء، حيث تشكلت الرواية من 32 جزءاً، حمل كل جزء عنوانه الخاص. كانت الشخوص تتناوب على الحكي داخل هذه الأجزاء التي جاءت تحت عناوين مختلفة تدل في معناها عما يحمله كل جزء، وهذا التقسيم يخدم الرواية من الناحية الفنية ويجعلها سلسلة وذات أحداث متتابعة. فكل شخصية في هذه النوفيلا كانت تروي عالمها وفق رؤيتها الخاصة، وكان السرد يتتابع من دون أن يفقد القارئ ترتيب الحكاية وكان راوياً واحداً هو من يرويها، عدا شخصية الهاملة فإنها لم ترو قصتها، إنما تمّ ذكرها كشتات في أجزاء قصص باقي الشخوص، ذلك أنها كانت مفقودة وكانت هي لغز الرواية، إنها المبحوث عنها وهي السر الذي لم يخبرنا عنه أحد، لنجد في النهاية أن الواقع يختلف عما نتخيله، وأن الأقدار لا تساير المنطق البشري عادة، بل هناك دائماً كسر للتوقعات ومخالفة للمُنتظر. فقد جاءت هذه النوفيلا لتقول لنا بأن الإنسان هو الإنسان في مختلف الأزمنة والأمكنة، كما يتطرق صاحب الرواية إلى سؤال مهم في الدراسات الفلسفية وهو سؤال الشر، فهل الشر طبيعة بشرية مثلما يرى ذلك كانط أم أنه نتيجة لظروف مجتمعية كما فسرها نيتشه؟ إن الشر يبقى دائما مفهوماً نسبياً ولكن حضوره يظلّ يساير الحضارات والأجيال، نّه سؤال طويل لا نهاية له، فالشرير واحد منا ذا طبيعة بشرية، فهل يمكننا أن نقوم نحن أيضا بتلك الأفعال الشرانية؟ وهل في تركيبتنا البشرية كل ذاك الشر؟

تطرح رواية «شركاء متشاكسون» هذا السؤال بدون أن تتخلى عن بنيتها الفنية، بل تترك للقارئ حرية التأويل، فالإنسان في هذه الرواية يتجزأ بطريقة دراماتيكية، يعبر فيها عن خوفه وأطماعه ورغباته ونوازعه ومشاعره. بالنسبة للإنسان هنا كان عدواً وصورة من صور الحرب والتضاد في العلاقات التي تتشكل وفق قيود وأنظمة عقائدية ومجتمعية. فمن ناحية شخوص الرواية نجدها شخوصاً متأزمة متعبة؛ تائهة ومتشردة لا تعرف أي السبل عليها أن تسلك ولا بأي الكلمات تعبر عما تعيشه من ضياع، تتساوى كلها في حق الكلام وتعرض نفسها كما هي لا كما يراها الآخرون. لا شيء يمكنه أن يغير الإنسان، لا مبررات للقسوة لا تفاسير كثيرة للشر، هذه هي الفطرة البشرية. فالعنوان يخبرنا أن الاختلاف هو أكثر ما يحكم العلاقات وأن المصالح تتصادم في أكثر الأحيان، وأن الحقيقة قد تغيب عنا لوقت طويل ليس لأننا لم نُحسن البحث عنها، إنما لأنها كانت أقرب مما يجب أن تكون قريبة.

1/ المصالح المتصادمة : تحاول هذه الرواية تعرية الإنسان ووضعه وسط غرفة مليئة بالأضواء الكاشفة، رواية تقول لنا بأن الإنسان يمكنه أن يؤذي بلا حدود إن شعر بالخطر، لا يعنيه في ذلك من مَن يأتي الخطر، وهذا ما تمثله عفاف المرأة المطلقة؛ التي تعيش مع أمها ميمونة، ميمونة التي قامت بتربية الولد الشريف منذ ولادته لأنه مجهول النسب، لقد تخلت عنه أمه، فعفاف ترى الشريف دخيلاً عليهم ولا حق له بالحياة وسطهم حتى وإن فتح عينيه في هذا المنزل إلا أنه يستحق الطرد و يجب أن يتم التخلص منه دون تفاصيل كثيرة. لنجد أن التخلص منه كان مستحيلاً بسبب حماية ميمونة له فلجأت إلى ممارسة السحر ضدّ ميمونة غير آبهة بأي مصير سوف تلقاه تلك الأم المسكينة التي تعاني المرض حتى الموت بدون أن تبوح بالسر للشريف وبدون أن يعرف حقيقة أصله.

2/ الحقيقة الضائعة: وسط حي يعرف باسم البقياقين كل مَن فيه مشغول بغيره، الجميع هناك ينسى نفسه لأنه لا يملك الوقت لذلك. إن وقته كله يضيع في تتبع حياة الآخرين وفي التحدث عن عيوبهم، لا أحد هناك مشغول بإصلاح نفسه أو تطويرها لأن الجميع يرى الحياة من منظار مظلم، يعيش فقط ليذكر مساوئ غيره حتى لا يَتذكر حقيقة ما يعانيه ويتحدث عن أخطاء غيره خوفاً من أن يتحدثوا عن أخطائه هو. في حي البقياقين عاش الشريف وكبر، لم يتوقف يوماً عن البحث عن العاهلة والدته. كان فقط يود أن يلقاها كي تعوضه عما مضى ويعوضها هو أيضاً، لكن كل أبحاثه عنها كانت تنتهي بخيبات متكررة تطرق باب اليأس. وقد كان يساعده في ذلك محمود ابن عفاف الوحيد من مطلقها فاروق الشرع؛ رجل القانون الذي لا يحكمه أي قانون والذي كان يتذكر وهو ببعض المال أحياناً ويوصيه أن يصرفه رفقة الشريف، لأنه لا يملك أيّ شيء يكفّر به عن ذنب قديم يتعبه. امّا بدرية المرضة التي شعر الشريف بحنانها ولطفها وتمنى لو كانت لها ابنة تزوجه إياها، فماذا لو عرف أنها هي نفسها العاهلة أمه؟ المرأة التي غير فاروق الشرع حياتها واسمها حتى لا يهتدي إليها أحد، حتى لا تنغص حياته بعد أن سلب حياتها، فلا أحد آخِر الشرع أنها وبعد سنوات ستعود هي أيضاً لتسلب منه حياته حقيقة لا مجازاً.

3/ المصائر النهائية: تنتهي الرواية بعد أن تضع كل شخوصها في أماكنهم المستحقة، كأنها فيلم سينمائي يخبرنا في جزئه الأخير بالنهاية كاملة. فالسجن والجنون والموت كانت هي مصائر كل من الهاملة وعفاف وفاروق، وكان الشريف هو نقطة تلاقي هذه الشخوص، فالكره الذي حملته عفاف داخل قلبها للشريف وهي تجهل بأنه ابن مطلقها فاروق، كان كافيا ليصيبها بالجنون حينما أجبرها محمود على أن توثق نصف البيت باسم الشريف. فكيف لو عرفت عفاف من هو الشريف، كيف سيكون مصيرها وكيف سيكون مصيره على يديها يا ترى؟

ومحمود الذي اختار دائما إنصاف الشريف على حساب الجميع حتى أمه، محمود الذي أجبرته ظروفه الصعبة على العيش تائها وسط أم متمردة وأب مهمل، استطاع أن ينتقل من طريق الخمر والسوء إلى عالم القراءة والكتابة ويقرر كتابة رواية يسرد فيها قصة الشريف ويمنحه الخلود، كيف كان سيتصرف لو عرف أن الشريف هو ابن فاروق أي أنهما أخوان؟

تنتهي الرواية، محمود والشريف يمسكان برسالة الاعتراف الأخير التي تركها الشرع للشريف، هكذا دون أن تخبرنا عن ردود الأفعال أو تبرر للأفعال، ولكنها تكون قد قالت الكثير عن حقيقة الإنسان وعن الشر كجزء متأصل داخل الإنسان.

عبد الغني صدوق: «شركاء متشاكسون»
دار أحلام، الجزائر 2025
170 صفحة.

هذه النوفيلا تحكي الصراع القائم بين بني الإنسان في مختلف أصنافه، تسرد لنا المصائر النهائية بصورة سينمائية، فالروائي هنا تحرّر من أبعاد الزمان والمكان وقدم لنا هذا النص مجرداً من أهم عناصره.

المقال

زياد ماجد

خطّان تفاوضيّان لا حلّ لبنانياً بغير تكاملهما

تتسارع في «الشرق الأوسط» بعد توقّف الحرب الأميركية الإسرائيلية مؤقتاً على إيران، وتتصاعد العدوان الإسرائيلي على لبنان، مسارات التفاوض، ومثلها مسارات التصعيد والتحضير لجولة عنف جديدة.

ففي وقت تنطلق فيه المفاوضات الايرانية الأميركية في باكستان، على أساس سلّة تفاهمات مبدئية ومجموعة بنود خلافية جوهرية ليس من السهل الوصول إلى اتفاقات حولها، انطلقت أيضاً اتصالات لبنانية أميركية إسرائيلية، من دون وقف للنار وفي ظلّ التباسات حول مضمونها وحول علاقتها ببعض البنود التي ستُبحث في أي حال في اجتماعات إسلام أباد.

إيران أمام خيارين

ويمكن القول في ما خصّ التفاوض الإيراني الأميركي، إن طهران نجحت في تحويل مضيق هرمز إلى سلاح لن تتخلّى عنه، لا بل يمكن أن تُضيف إليه باب المندب إن عادت الحرب فتحرّك حلفاؤها الحوثيّون، ويمكن أن تضرب العمق الخليجي العربي لتقول إن خطوط الأنابيب البرية البديلة لإخراج النفط والغاز عبر السعودية إلى البحر الأحمر أو إلى الأردن فإسرائيل لن تُجدي نفعا.

في المقابل، لن يكون بوسع الإيرانيين الدفاع عمّا تبقّى من برنامجهم النووي العالي التخصيب، ولن يكون بمستطاعهم الحصول على ضمانات تحمي برنامجهم الباليستي، بما يعني أن المسائل المرتبطة بدورهم الإقليمي، وبرفع العقوبات الاقتصادية والإفراج عن الأصول والأموال المجمّدة وتنظيم عبور هرمز والرسوم الممكن تقاضيها على ذلك ستكون أبرز مسائل التفاوض الجدّي ليكون الاتفاق جولها مخرجاً مناسباً يحفظ ماء وجه التراجع في المسائل الأخرى.

والأرجح أن المفاوضين الإيرانيين يدركون أن لعبة كسب الوقت هي لعبة يخوضها الطرف الآخر أيضاً إذ يُعيد تذخير طائراته وبوارجه استعداداً لفشل التفاوض، تماماً كما يعيدون هم تنظيم شؤون نظامهم وهيكليّاته وسيطرته الميدانية وقواعد إطلاق صواريخه وطائراته المسيّرة. ويدرك الإيرانيون كذلك أن إسرائيل تريد تخريب المفاوضات ومواصلة الحرب وأن بعض صقور الإدارة الأميركية يجارونها في الأمر، وهذا يعني أن لديهم مصلحة في الاتفاق مع نائب الرئيس جيه دي فانس الأقل تأثّراً من غيره بالضغوط الإسرائيلية والجمهوري الانعزالي محدود الاهتمام بالشؤون الخارجية، على العكس من الموفدَين ستيف ويتكوف وجاريد كاشنير، اللذين داورا مرّتين في حزيران/يونيو 2025 وفي شباط/فبراير 2026 واندلعت الحرب كلّ مرة بين جولات مفاوضاتهما.

في المقابل يسعى فانس إلى انتزاع ما يمكن لدونالد ترامب اعتباره إنجازاً يُنهي الحرب، لجهة فتح مضيق هرمز والقبول بالبحث في مصير كمّيات اليورانيوم عالي التخصيب «المفقودة»والتركيز على الشقّ البعيد المدى في البرنامج الباليستي (بعد أن دُمّر أو استُخدم جزء من مخزونه في القصف الإيراني على إسرائيل)، والاتفاق على مبادئ عامة تزعم السعي للسلام الإقليمي والتمنّع عن كل سياسة تدخّل في الجوار أو «زعزعة استقرار».

وإذا كان التوصّل إلى صياغات تسووية ممكناً في الشأن النووي بعد كلّ ما جرى، إلّا أنه أصعب في الشأن الباليستي، ويتطلّب التوافق على إجراءات متلازمة في ما خصّ هرمز والعقوبات والأصول والأموال المجمّدة،كما يتطلب بحثاً يصبّ عليه الإيرانيون في ما خصّ سريان وقف إطلاق النار فيلبنان.

بيروت بين تفاوضين

يحيلنا الأمر الأخير إلى الأحوال اللبنانية. ولبنان اليوم محاصرٌ بين النيران الإسرائيلية وإشكاليات التفاوض الإقليمي والتوتّر السياسي والطائفي الداخلي.

فهناك من ناحية مجازر إسرائيلية متنقّلة طالت العاصمة بيروت، كما تستمرّ في ضرب الضاحية الجنوبية والنبطية وصور وصيدا وأرجاء الجنوب بأكمله مع تدمير ممنهج لقرى وبلدات حدودية بهدف احتلالها ومنع أهلها من العودة حتى إلى ما قد لا يبقى تحت الاحتلال منها.

وهناك من ناحية ثانية مفاوضات لبنانية إسرائيلية برعاية أمريكية ستبدأ في واشنطن وسط ملابسات عديدة. منها أن إسرائيل لن توقف القصف خلالها. ومنها أن أفق المفاوضات غير واضح إذ أن شرط نزع سلاح حزب الله دون وقف الاعتداءات الإسرائيلية ودون اتفاق موازٍ في المفاوضات الأمريكية الإيرانية سيكون متعذّراً. ومنها كذلك أن الفصل بين الأمني والسياسي، أي بين وقف النار وبدء التفاوض على ما يتخطّاه من ترتيبات بين بيروت وتل أبيب يتطلّب إصرارا لبنانياً على الانسحاب الإسرائيلي الكامل من الأراضي المحتلّة في الجنوب ضمن جدول زمني، لا تبدو إسرائيل إلى الآن معنيةً بمجرّد التداول به.

وهناك أخيراً وليس آخراً الوضع اللبناني الداخلي المقبل على المزيد من التأزّم. ذلك أن استمرار اعتماد حزب الله لخطاب تخويني تجاه خصومه، وحملاته ضد رئيس الحكومة نواف سلام تحديداً، لا يمكن أن تبقى بلا تداعيات. وهي إلى كونها خطيرة ومليئة بالإسفاف ومزوّرة للحقائق في ما يخصّ سلام، تكرّس هوّة بين قاعدة الحزب الشيعي المنكوبة والقسم الأكبر من اللبنانيين، لا سيّما المنتمين إلى بيئات سياسية ومناطقية ومذهبية أخرى، ترى معظمها الحزب وحلفه الإيراني سبباً للحرب الدائرة ومؤدّياتها.

في الوقت نفسه، لا يمكن إعفاء عدد من الأطراف من خصوم الحزب الشيعي من مسؤوليّاتهم في ما يتعلّق بالتأزّم الداخلي، إذ أن من يراهن منهم علناً أو سراً على البربرية الإسرائيلية للخلاص من الحزب إنما يستدعي بذاته الصدام الأهلي ويعزّز مكانة المتحمّسين له في المقلب الآخر.

لجميع هذه الأسباب، تبدو المصلحة اللبنانية اليوم في أن يتكامل مسارا التفاوض المقبل بين طهران وواشنطن من جهة وبين بيروت وتل أبيب من جهة ثانية، ليكون هناك اتفاق بين الإيرانيين والأميركيين على القبول بنزع سلاح حزب الله من قبل الجيش اللبناني مقابل وقف جميع الاعتداءات الإسرائيلية. وليكون هناك اتفاق موازٍ في المفاوضات اللبنانية الإسرائيلية على مسار أمني وسياسي متدرّج يضمن وقف إطلاق النار والانسحاب الإسرائيلي وترسيم الحدود البرية وسيادة الدولة اللبنانية وحدها على الأرض وعلى السلاح وعلى قرارات الحرب والسلم.

من دون تكامل كهذا، شروط تحقّقه في أي حال ما زالت شديدة الصعوبة، سيبقى لبنان خاسراً إن لجهة استمرار حرب دولة الإبادة، إسرائيل، عليه، أو لجهة فقدان الدولة لدورها المركزي وبقاء المجتمع مشرّعاً على حملات التخوين والرهانات الإجرامية والعنف الأهلي...

كاتب وأكاديمي لبناني

رأي

لبنان خارج نطاق اتفاق وقف اطلاق النار

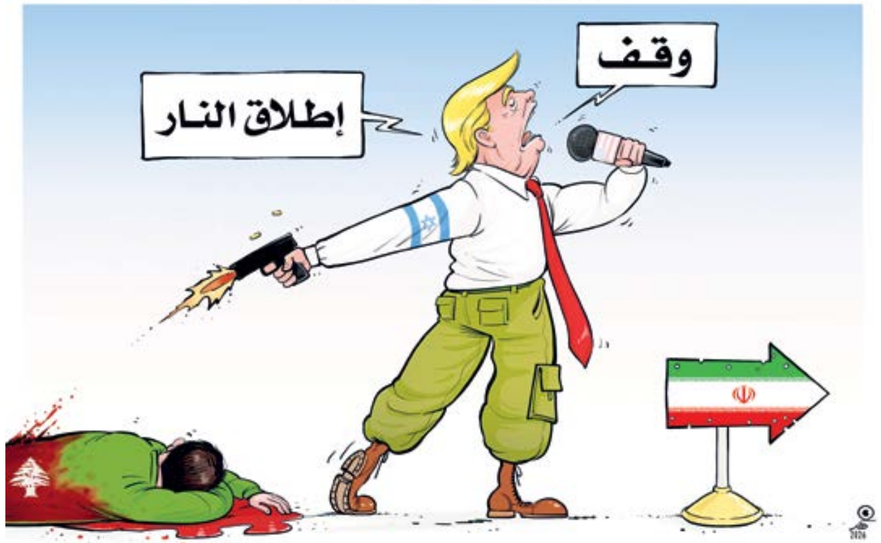

كاريكاتير: فهد

شغف القراءة والتقييم

أمير تاج السر

منذ سنوات كان أحد المرضى، وكان تجاوز الستين في ذلك الوقت، ويحمل في جسده النحيل عددا لا بأس به من الأمراض المزمنة، مثل ضغط الدم، ومرض السكر، وزيادة الدهون، والتهاب الجيوب الأنفية، وخلالا في وظائف الكلى، يزورنا باستمرار، إما للتزود من أدويته حين تقترب من انتهائها عنده، وإما للمتابعة الروتينية، وربما تغيير علاج أو زيادة، أو حذف آخر، أو حتى استشارة ودية للاطمئنان.

هذا الرجل لم يكن مريضا عاديا، كان شغوفا بالقراءة، وكنت أراه في صالات الانتظار، يجلس مسترخيا، يقرأ كتابا باستغراق شديد، ولا ينهض إلا حين يأتي دوره لمقابلة الطبيب/ وقد تملكني الفضول أن أعرف نوع قراءاته، ووجدتها في كل شيء يمكن أن يخطر على البال، كان يقرأ القصص، والشعر والنقد الأدبي، والفلسفة والتاريخ، وحتى نظريات الأبراج وحظك اليوم. ويمكن في أوقات استراحة من القراءة أن يحل الكلمات المتقاطعة، ويبحث عن الكلمة الضائعة، وكانت مسابقة روتينية للتسلية، تجدها في الصحف والمجلات.

ولأنني من الذين أحبوا القراءة أيضا، نشأت عليها بحكم قانون والدي الذي تحدثت عنه من قبل، بإلزامنا بقراءة كتاب كل أسبوع، تعمقت صداقتي بالرجل. كنت أتابعه مريضا وقارئا في الوقت نفسه، وأهداني من مكتبته عددا من الكتب في الدين والفلسفة، والأدب، قرأت بعضها، ونسيت البعض الآخر تماما وسط كتبي. وحين رحل بعد ذلك نتيجة ازدياد معاناته، افتقدت وجوده المميز في صالات الانتظار، وصوته الهادئ الرزين، وشكواه الصحية التي كان يحكيها وكأنه يقرأ شعرا.

منذ أيام كنت أتابعه مريضا من مكتبتي الخاصة، وكيف يكافح الإنسان ليعيش هناك، عن أهمية أن تكون محاربا وصيادا، وشريرا أيضا في الدفاع عن بيتك القاحلة، وفي غزو جيرانك من القبائل الأخرى، والاستيلاء على حصصها من اللحم والطحين والماء إن وجد، وهكذا الحياة.

القصص ليست كلها ممتعة، أو جاذبة للقراءة، لكنها بالضبط قصص اليوم مع فارق أكثر من قرن. الناس تقضي وقتها في التجهز ليصبحوا أشرارا مستقبليين، المحاربون، يبدأون انشغالهم بالحرب وهم رضعا في المهد، وينمو معهم الانشغال، ليكبروا غزاة، يسافرون ويغزون ويعودون بالغنائم. النساء في الغالب سبايا، أو مخطيات يتنقلن من مجتمع لمجتمع بعادية شديدة، ويأتي دور الرجل الأبيض، أو المستعمر الذي يغزو تلك الجهات مزودا بالسلاح الناري، ويسيطر على منابع الرزق، ويصبح بؤرة جذب للشباب المحليين الذين ينبهرون به، ويندمجون معه، ويتعلمون لغته التي جاء بها، وبعضهم يعمل معه في وظائف هامشية، لكنها تشكل نقلة نوعية في حياته.

كما قلت، إن المجموعة كلاسيكية، ورتيبة جدا، وكل قصة تحكي موقفا أو تتابع شخصية، مع وجود بيئة قاسية لم تتغير أبدا، وبالطبع أراد الكاتب أن تكون وحدة واحدة، للتوثيق لمجتمع ما، هو مجتمع حياة البرد والجليد، ولا شيء آخر.

بعد انتهائي من القراءة، ذهبت إلى موقع القراءة المعروف حصرها، وكونتها على مر السنين، بحثا عن كتاب تاريخي، أود الرجوع إليه في موضوع إبداعي، وعثرت على مجموعة قصصية قديمة، بتوقيع الكاتب الأمريكي جاك لندن، وتذكرت أنها من هدايا ذلك القارئ الشغوف. لكني لم أتذكر أنني قرأتها، ولا أذكر إن كنت قرأت لجاك لندن من قبل أم لا؟ وهو كاتب مهم، ولد في القرن التاسع عشر، ومات في أوائل القرن العشرين، وله تجربة حياتية متنوعة، وعددا من الروايات والقصص.

اسم المجموعة «تحت سماء الجليد»، وهي تكاد تكون بقصصها كلها ميدانا للحياة الوعرة في الأماكن الجليدية، وكيف يكافح الإنسان ليعيش هناك، عن أهمية أن تكون محاربا وصيادا، وشريرا أيضا في الدفاع عن بيتك القاحلة، وفي غزو جيرانك من القبائل الأخرى، والاستيلاء على حصصها من اللحم والطحين والماء إن وجد، وهكذا الحياة.

القصص ليست كلها ممتعة، أو جاذبة للقراءة، لكنها بالضبط قصص اليوم مع فارق أكثر من قرن. الناس تقضي وقتها في التجهز ليصبحوا أشرارا مستقبليين، المحاربون، يبدأون انشغالهم بالحرب وهم رضعا في المهد، وينمو معهم الانشغال، ليكبروا غزاة، يسافرون ويغزون ويعودون بالغنائم. النساء في الغالب سبايا، أو مخطيات يتنقلن من مجتمع لمجتمع بعادية شديدة، ويأتي دور الرجل الأبيض، أو المستعمر الذي يغزو تلك الجهات مزودا بالسلاح الناري، ويسيطر على منابع الرزق، ويصبح بؤرة جذب للشباب المحليين الذين ينبهرون به، ويندمجون معه، ويتعلمون لغته التي جاء بها، وبعضهم يعمل معه في وظائف هامشية، لكنها تشكل نقلة نوعية في حياته.

كما قلت، إن المجموعة كلاسيكية، ورتيبة جدا، وكل قصة تحكي موقفا أو تتابع شخصية، مع وجود بيئة قاسية لم تتغير أبدا، وبالطبع أراد الكاتب أن تكون وحدة واحدة، للتوثيق لمجتمع ما، هو مجتمع حياة البرد والجليد، ولا شيء آخر.

بعد انتهائي من القراءة، ذهبت إلى موقع القراءة المعروف «غود زيدز»، لأرى ماذا يقول القراء عن هذه المجموعة، وكانت دهشتي شديدة حين وجدت تقييما عاليا جدا، من كل القراء الذين أدلوا بدلوهم تقريبا. ووجود كلمات مثل: رائع، ومدهش، تتردد كثيرا، بينما أعمال حديثة، وقوية وفيها كثير من الشجن والجمال الحقيقي أمثال روايات ماركيز، ويوكيو ميشيما، ونجيب محفوظ، لم تحظ بهذا التقييم، تلك أعمال قيمها البعض جيدا، وقلل البعض من شأنها، وهكذا.

ما تبادر إلى ذهني أو ما أيقنت أنه حقيقي فعلا، إن معظم القراء، لا يحبون أن ينقلهم أحد من جلساتهم الهادئة، برفقة مفردات يألفونها، وصفحات لا تزعج أذهانهم، وتجرهم إلى التأمل والتفكير، إلى ما يظنونه ومتاهات سردية، مزعجة، أي لا يألفون التجريب سريعا وربما يحتاجون لزمن حتى يألفوه. وبالرغم من أن أعمال ماركيز ويوسا وكونديرا وغيرهم من الكتاب الكبار الراحلين، أصبحت الآن كلاسيكية، وسط زخم الكتابة الجديدة، واللعب بالتاريخ والجغرافيا، واللغة، إلا أنها ما تزال حديثة في نظر الكثيرين، وستحتاج لذلك الزمن الذي ذكرته حتى يجمع الناس عليها، وتطالع معظم التعليقات عليها مزينة بكلمات مثل: رائع.. مدهش.

أخيرا أترحم على ذلك القارئ الشغوف، الذي لم أشاهد أحدا يحتل مكانه في صالات انتظار المستشفى، منذ أن رحل، ربما لأن أبناء جيله الذين تربوا وسط القراءة من دون وجود وسائل ترفيه أخرى، قد تواوا أيضا، أو أن القراءة اتخذت منحى آخر.

وأولئك الذين يعبثون بهواتفهم النقالة في كل مكان، ربما يقرأون عليها من تلك التطبيقات الجديدة، التي تتيح لك القراءة من الهاتف، وقد جربت تلك الطريقة، ولم تعجبني، فأنا كلاسيكي أيضا، من ناحية القراءة، وما زلت أؤمن بوجود كتاب ورقي، ليصل بالمتعة إلى ذروتها.

كاتب من السودان

فصل الربيع

يعرّف فصل الربيع مناخيا على أنه «نصف فصل» يقع بين الفصل البارد والفصل الحار، ويتميز بتغير بين درجات الحرارة الشتوية الماضية ودرجات الحرارة الصيفية التالية.

وهناك عدة تعاريف للربيع منها التعريف المناخي «نصف فصل» وتقويمي ويختلف باختلاف التقاويم والرزنامات، لكن الاستعمال المحلي للفظ يعتمد على نوعية المناخ والثقافة في المنطقة، عندما يكون الربيع في نصف الأرض الشمالي يكون فصل الخريف في نصف الأرض الجنوبي، والعكس صحيح. وفي الاعتدال الربيعي يكون طول النهار تقريبا 12 ساعة وتزيد كلما تقدمت أيام الفصل. وتلمح كلمة الربيع أيضاً إلى التجديد، الانبعاث، إعادة الولادة وإعادة النمو. وهو الوقت حيث تخضر الأرض بلون العشب، وتتفتح الأزهار، وتعتدل درجات حرارة الهواء، وتنشط الحيوانات بعد سباتها.

أداب وفنون

«إيثاكا» رواية جديدة من الشاعر والروائي السوري سليم بركات: سرد أشبه بالنحت على منوال الكلاسيكيات الكبرى

باريس ـ «القدس العربي»:

تصدر قريباً رواية جديدة من الشاعر والروائي السوري سليم بركات، بعنوان «إيثاكا»، تنضمّ إلى نحو 64 عملاً بين مجموعة شعرية ورواية وسيرة ذاتية ومقالات أدبية.

بطل الرواية شخص يوناني هجر زوجته بينيلوبي بعد ولادة ابنه تيليماك بأقل من سنة. التحق بمفوضية اللاجئين التابعة للأمم المتحدة والعاملة في أفغانستان. بعد سنتين من العمل تخطفه حركة طالبان مع زميل له اسمه إيوينوس، وامرأة فرنسية أفريقية الأصل اسمها إفرا.

بدوم خطف أوديسياس وزميله اليوناني الآخر 14 سنة ينتقل بهما الخاطفون من كهف إلى كهف لتضليل أية جهة تحاول اقتفاءهم. الخاطفون يساومون الأمم المتحدة وقوات التحالف على إطلاق سراح الشخصين، أما زميلتهما إفرا فتتزوّج حارساً أفغانياً من الحراس بعد سنتين من تنقلهم بين ستة كهوف. وهذه السيدة كما سنعرف من أحاديثها مع الرجلين مهندسة إضاءة في بعض المسارح الفرنسية قبل انضمامها إلى المفوضية، ومن وحي مهنتها الفنية تدور حوارات غنية جداً ساخرة وعميقة عن كيفية تشكيل ظلال حراسهم على جدران الكهوف لو قامت بتوزيعها هندسياً باستخدام الإضاءة.

الجانب التراجيدي مبنيّ كله على عودة أوديسياس إلى البيت في جزيرة إيثاكا. إنه لا يجد شيئاً يخصه على الإطلاق. زوجته بينيلوبي التي توقع أنها تنتظر متلهفة لعودته، لا تظهر عليها أية لهفة: عندها ستة عشاق. وسيمون وأغنياء يتنافسون على الفوز بها.

وضعت المرأة الجميلة الجذابة شروطاً لعشاقها في التنافس: مَن منهم يصبر حتى النهاية في علاقتها المفتوحة معهم سيكون شريك حياتها. الصبر هو مفتاح المنافسة. الذين سيخذلهم صبرهم سينسحبون، قد تستمر علاقتها بالستة سنين طويلة. الشرط مفهوم. وبركات صبور أيضاً، يكتب عن وجود العشاق معها أربع سنوات صامدين لا يُبدي أحد منهم ملالاً. إنهم غير مستعجلين. يقيمون في فندق قريب جداً من بيت بينيلوبي، فندق يتبع منتجعاً للاستجمام طول السنة. عندهم أعمال يذهبون لإدارتها في المدينة نهاراً ويعودون مساءً إلى الفندق كأنهم يسكنون فيه. وفي نهاية ليلة كل سبت من أيام السِّلم يبقى واحد منهم شريكاً لها في سريرها.

يأتي تتابع الأحداث في الرواية الضخمة على ستة أقسام مدروسة:

القسم الأول هو التحقيق مع أوديسياس في مركز للشرطة عن مجزرة حصلت في بيت زوجته. تحقيق ينحرف في تفاصيله إلى ما يشبه العبث. أوديسياس يتلاعب بالمحققين. يتصرف كأنه غائب عن واقع اليونان الراهن، أو كأنه داخل شيء من أسطورة هوميروس بسبب تكراره لاستحضار اسم طروادة.

القسم الثاني يتعلق بعملية الخطف والاحتجاز 14 سنة في عشرات الصفحات المثيرة. ينقل الخاطفون أوديسياس وصاحبه إيوينوس والسيدة الفرنسية الأفريقية بين ستة كهوف للتمويه على مخبئهم. الرواية لا تخبرنا بما يجري من المفاوضات بين طالبان والأمم المتحدة وقوات التحالف. المهم في السرد هو وقائع الحياة في الكهوف: فصل طويل يزخر بالتفاصيل المرعبة جداً لثلاثة أشخاص يخضعون لرقابة صارمة على حركاتهم وكلامهم من حراس لا تفاهمَ معهم باللغة.

الوصف السردي وتصوير العلاقة بالإشارات 14 سنة يقدمان مشاهد قوية، ومثيرة في هذا العمل الحساس لصناعة عالم مجنون لا يُحتمل. لكن العلاقة بين الثلاثة المخطوفين تجعل من ذلك العالم محتملاً بالسحر اللغوي، وظرافة الحوارات وجاذبية المواقف، والمفارقات الساخرة حتى يوم إطلاق سراح اليونانيين بطريقة غريبة.

القسم الثالث هو عودة أوديسياس إلى مسقط رأسه جزيرة إيثاكا في اليونان بعد سنوات الخطف الطويلة، ليواجه عالماً في بيته لا يقل قسوة عما عاناه 14 سنة من الخطف: بيته الذي عاد إليه ليس هو بيته الذي غادره، وزوجته ليست هي الزوجة التي غادرها، وابنه الذي غادره وهو طفل صار شاباً، كلبه فقط يتعرف عليه. الصدمة العنيفة هي وجود ستة عشاق يتقاسمون سرير زوجته كل أسبوع، اختارتهم بينيلوبي على شرط أن يفوز واحد منهم بها. العنف ليس خارجياً في هذا القسم من الرواية، إنه داخلي في قلب أوديسياس المهان، الذي يقبل الإقامة مع صاحبه في كوخ صيفي ملحق ببيته لأن الزوجة رفضت إقامته معها في البيت.

القسم الرابع هو كيف تعرفت بينيلوبي إلى عشاقها الستة دفعة واحدة في مطعم من منتجع على البحر، قريب جداً من بيتها، وكيف تطور لقاؤها بهؤلاء الستة الأثرياء المقيمين في فندق المنتجع إلى علاقة وضعت شرطاً لاستمرارها هو «الصبر»، المسألة معقدة هنا. علينا أن ننتظر انسحاب خمسة من هؤلاء ليحظى واحد منهم ببينيلوبي شريكة تخصه وحده. إنهم لا ينسحبون. يبدون مستمتعين بسهراتهم في بيتها طوال عدة سنين حتى النهاية الجهنمية بحدوث مجزرة.

القسم الخامس يمتد على عدة فصول من علاقة أوديسياس بعشاق زوجته، يسهر معهم ليلة كل سبت. وفي كل ليلة من هذه الليالي يتبادلون حوارات تتسم بالسخرية العنيفة وبالتجريح حتى الإهانة، بركات يبني هنا سلسلة من المواجهات النفسية ترتبط حلقة بأخرى حتى التشكيل الدموي للنهاية التراجيدية في الرواية.

أوديسياس وصديقه إيوينوس يضعان الخطط مع استدراج الابن تيليماك، للمشاركة في تنفيذها. ونحن سنتعرف من خلال الرواية إلى شخصية الإبن كشاب مراهق بارع في صيد الأسماك بالقوس والسهم. المفلت أن شخصية إيوينوس، صاحب أوديسياس كتوم لم هي شخصية أوديسياس، أو الوجه الثاني منها: أوديسياس كتوم لم يخرجه الموقف الجارح من وجود العشاق في بيته عن ضبط النفس. إيوينوس أكثر حدّة. سخريته مهينة وبيدو عنيفاً في الأحاديث، ونحن سنتفاجأ بقوّة من إقدام أوديسياس على قتله. الصدمة أننا نظل في صورة واضحة طوال الرواية عن أنهما على انسجام كبير. تيليماك الابن يصعق مما فعله الأب الذي يقدم تفسيراً غامضاً غير مفهوم لابنه: «لقد هشمتُ المرآة». ماذا يعني ذلك؟ تتكفي الرواية بإحالة الموقف إلى صيغة ملغزة: «لم يشرح أوديسياس لابنه، في تلك البرهة المتصدّعة من ثقل القسوة، معنى عبارته؛ وهو ـ قطعاً ـ لن يشرحها لنفسه».

ما الذي حدث ليقتل الصديق صديقه؟ بين سطور الرواية حدثٌ شديد الاختصار: لقد حصلت علاقة جسدية عابرة جداً بين إيوينوس وبينيلوبي. لقد حدسَ أوديسياس بحصول ذلك: «اتذوّقتَ بينيلوبي؟»، تلك هي كلمات يواجه بها صاحبه بطريقة لا يريد المؤلف أن نتوقف عندها بل عند نتيجتها.

أسماء الشخصيات تتوافق مع أسماء شخصيات الأوديسة الكلاسيكية لهوميروس. لكن اسم أوديسياس فيه تحريف خفيف عن اسم بطل الأسطورة أوديسيوس الذي نعرفه في القراءة العربية باسم يوليس. فهل قصدَ بركات بهذا التحريف أن يفصل بين أوديسا تخصه تجربي وقائعها في جزيرة إيثاكا اليوم وبين إيثاكا في أوديسا هوميروس، التي هي محور عودة بطله بعد حرب طروادة ليدافع عن بيته الذي غزاه كثير من المعجبين بجمال زوجته يريدون الزواج منها، وهي تدعي أنها ستختار أحدهم حين تنتهي من نسج سجادة في الحكاية المعروفة؟

لا يُبحث عن أوديسيوس هوميروس في هذه الرواية. لا يُبحث عن أوديسة هوميروس. بينيلوبي الزوجة مستسلمة لمذاتها مع ستة عشاق. لا تنتظر زوجها، بل تفاجئه حين يعود إلى البيت بسؤال شديد القسوة: «ماذا غدتْ؟». أوديسياس محتار مما يجري، منكسر من إحساسه بالإهانة وهو يكتم غضبه حت اللحظة التي لا يحتمل بعدها أن تستمر المواقف والوقائع على ما هي عليه.

تجدر الإشارة إلى مهنة بينيلوبي: تصنع تماثيل من الطين الفخّار تشبه نماذج أثرية من أساطير الإغريق، تبيعها لدكاكين الأنتيكات في أثينا. وبين ما تصنعه تمثال ضخم لحصان تتخيله أن يكون على صورة حصان طروادة. أوديسياس سيهشم الحصان في ختام الرواية قطعة قطعة مع مونولوغ متواصل يعد كل ضربة بالمطرقة.

لا يمكن الإحاطة بوقائع هذه الرواية الممتدة على مدى أكثر من 15 سنة في عرض مختصر. هذا عمل يشبه الكلاسيكيات الكبيرة كُتب بعناية كالنحت. الرواية تقع في 770 صفحة، وتصدر قريبا عن «دار الزمان» في دمشق. وجرياً على مألوف عادته منذ سنوات، يقدم كلّ جديد؛ خصّ بركات «القدس العربي الأسبوعي» بمقتطفات من «إيثاكا».

ـ مضى من الليل بعضُه على ثرثرات العشاق جالسين في بهو البيت. تناست الألسنة غيابَ أوديسياس وابنه، وصاحبه. حضرَ شيءٌ من الحديث عن اختفاء الكلب أرغوس، وعن مسرحية «روميو وجوليت» لم تزل عروضُها قائمةً، ولم تزل الردودُ النقدُ على تفاعل بين استحسان، واستظراف للتحول الجنسيّ لهوية روميو إلى أنثى؛ وبين استغراب، واستنكار، ووسطيّةٍ تُطري جرأةَ المُخرجة، لكنْ بلا إطراءٍ للإخراج نفْسه.

مضى من الليل بعضٌ آخر من حول المائدة، ثم بعضُ ثالث من العودة إلى بهو البيت بعد الشَبَع، على عزفٍ من آدامو يُصغى إليه، وعزفٌ يُغفل عنه حين يشتد حصارُ النشوة من الشراب على العقول، فتتوازى الأصواتُ بأناقة الهيئة الحيوانية من غير تلاعبٍ، ببطن يُرى مفتوحاً من جانبيْ جسده تمكيناً للاعبين لم يستثنهما أنتيونوس من مشاركة العشاق، وسيدة البيت، استمتاعهم بالشراب، متمادياً أحياناً في تقبيلهما من الوجنات ولِيس من الشفاه، وفي احتوائهما بذراعيه عناقاً ينتقل من جوار إحداهما إلى جوار الأخرى على أريكةٍ استأثرتا بالجلوسِ عليها.

آدامو نفْسه قلّة، بين وصلة من العزف وأخرى، شريكه في العشق أنتيونوس، باحتضان الخادمتان، اللتين استسلمتا للمرح بفائض من اللامبالاة إنْ لُمستا، أو اعتُنقتا، أو أطربتهما الكلماتُ متفلتةً من حذرها، واضحةً الإشارات شغفاً إلى جسديهما.

نقلت بينيلوبي بصرها مراراً بين العشاق متخفّفين من ضوابط السلوك، كأنهم تلك الليلة في حفل من المجون مباحاً في بلاط من بلاطات الأباطرة الخليعين. لم يكن في نظرتها إليهم حكمٌ على السلوك، أو العبارات العارية. كانت تقلب أمام بصرها صفحات السنين من تنافس العشاق الستة عليها، وقد بدوا كأنهم يأخذون ذلك التنافس على سيرورة حياة عادية، يسهرون فيها معاً سُمّاراً راضينَ برفقةً أحدهم للآخر، وراضينَ بالتعاقب على سريرها ليلةَ كل سبت، فيما يرجعون في أيامهم الأخر إلى وجودٍ يخصُّهم ولا يخصها.

2 ـ طغى عزفُ آدامو على الأصوات ملتهبَ اللحون، بنقرٍ قوي من أنامله على مفاتيح البيانو، يُنشئ خليطاً من مزج فقرات كلاسيكية بفقرات من الأغاني الشعبية الأمريكية. هدَفُ:

ـ هذا هو الباربْرِيتونس.

أطلقَ آدامو عبارته من غير اكتراثٍ إنْ فُهمَتْ أم لم تُفهم. ولم يتوقف الأخرون عندها في إصغائهم إلى ذلك التسلسل المتناقض، المتنافر، المتداخل الألحان اجتهدَ آدامو على ربطها ببراعة انتقال بين أزمنة موسيقيين على اختلاف عصورهم. عبارته، التي أطلقها بلا سياق كانت اختصاراً لولادة مزْجٍ لا يُباح توليدُه. لكنّه نقلَ ذلك المزج الموسيقي المُستَحْدث إلى مقام يربطه بمصطلح «باربْرِيتونس» (Parthenos)، أيْ: «العنراء المُنْجِب». إنه لقب الإلهة أثينا البتول، إحدى اللواتي رُصِدَتْ عذريتهم للآلهة. وجرى مصكوك «البتول المُنجبة» مستقراً في سِجلّ الإنسان للمصطلحات، على معنى ثابتٍ هو «الحَبَل بلا دَنَس»؛ أيْ: إنجابُ أولاد لا تُنسَب حقيقةً خَلْقهم إلى جماع بين الذكَر والأنثى. وقد اقتبسَ لسانُ العلْم هذا النشوءَ الغامضَ للحَبَل بلغة عضويةٍ من أسرار الطبيعة: «التكاثُر البكْرِيّ». وهو ما يعْني علْمياً التكاثُرَ بلا تزاوج، كتكاثُر النحل، وتكاثُر أنواع من الأسماك.

كرر آدامو عبارته مراراً في الفواصل الضيقة بين لحن وآخر، مستديراً من مقعده، اثناء العزف، إلى رفاقه العشاق، وإلى عشيقتهم بينيلوبي:

ـ نحن بارثينونس.

3 ـ خفقَ قِماشُ الخيمة، التي اتّخذتها بينيلوبي مُشْغلاً. لم تكن الريح على قربٍ منها، أو على بُعد. ما مِن ريحٍ تهبّات للخروج إلى خليج فريكون ومحيطه من أرض إيثاكا ذلك الصباح العالي من يوم في مطالع الصيف. يدُ بينيلوبي اليمنى رَجّت قماش الخيمة صُعُداً قوياً من باطنها وهي تخرج من الباب منتشية القلب؛ لقد أنجزت الجسمَ المجسَّم من الطين الفخار أخيراً، ضخماً، مرفّه الشكل رموزها من حصان طروادة إلى حصان بينيلوبي؛ ومن الحصان البيغاسوس الطائر إلى أحصنة الروائي جوناثان سويفت الآكلة لحوم البشر؛ ومن الفَرَس المُبجّلة لهارأس أنثى في أساطير الإسلام إلى الحصان ذي النصف الأعلى إنساناً، والنصف الأسفل حيواناً؛ ومن الحصان الذي وَسَمهُ أحدُ أباطرة الجنون كاليغولا عضواً في مجلس شيوخه إلى حصان الاسكندر الأكبر، الذي روّعَ فيلَ كسرى فارسَ بمجابهته منتصباً على قائمتيه الخلفيتين أمام الفيل؛ ومن حصان المزارع إلى الحصان الذي يقود عربة إله البحر بوسايدون في اليمّ بجوافر من صخر.

4 ـ شيءٌ مّا من التراشق بسهام الرغبة الذهبية النّصال جرى في الكهف. تغاضى الحراس عن سماع صفيرها. تغاضى إيوميدوس وأوديسياس أيضاً، ببعض الشكوك في مرامي إفرا، من مقايضة الأفغاني الوسيم البروق الصغار كالحباب عن عينيها ببروق صغار كقتائل المصابيح من عينيه.

اقتُرِحَ عليها أوديسياس بمزاح أن تكتب إلى بشير رسائل مطولة، فائضة الجَسارة، عوضاً عن اختلاساتٍ بالنظرات، وترجماتٍ على الشفاه ابتساماً.

ـ اكتبي إليه.

«ماذا؟»، تساءلت إفرا، مستوضحةً مقدارَ المعقول، ومقدار اللامعقول، في اقتراحه الساخر.

«اكتبي رسائل على رقع من القماش اقتطعُها من حاشية ثوبي الأفغانيّ»، أوضح أوديسياس.

هأْهأت إفرا مستخفةً:

ـ بأيّ حبر أكتب الرسائل؟

ـ بدمي»، أجابها أوديسياس.

«بدمك؟»، تساءلت إفرا مستظرفةً اقتراحَه المضحك.

«استطيع استحداثَ جرح صغير في معصمي»، أجاب أوديسياس.

ابتسمت إفرا محدقة إليه باستفهام:

ـ بأيّ بريد أرسل إلى بشير رسائلي؟

أشارَ أوديسياس إلى الحَمام راقداً على الأعشاش في أعالي الكهف:

ـ نربط الرسائل بسيقان الحمائم. إنهن ثقةٌ. زفرت إفرا تستحضر سؤالاً لا يمكن تلافيه:

ـ بأية لغة أكتبُ رسائلي؟

تدخل إيوميندوس:

ـ كلمة، أو اثنتان بالأفغانية تَفيان بالمطلوب. «بأية حروف أكتب كلمتين، يا إيوميندوس؟»، سألته إفرا.

فتح إيوميندوس يديه يتلقف حلاً من الوحي الخفي:

ـ بالرسم كالهيروغليفية.

«أرسمُ ماذا؟»، سألته إفرا.

تأمل إيوميندوس وجهها بشغفٍ يُلحظ. أجابها:

ـ ارسمي قلباً وشفتين، وهلالاً إسلامياً.

افترّت شفتا إفرا عن ابتسامة واسعة. استعذبت اقتراحَ إيوميندوس غير الممكن تطبيقاً باستخدام حمام. بدّلتْه بمقترَح منها:

ـ ماذا لو رسمتُ قلباً، وشفتَين، وهلالاً، على جدار من جدران الكهف؟

هزّ رفيقاها مستلطفيْن ذلك المقترح الظريف.

عقّبَ أوديسياس:

ـ لن تحتاجي إلى دمي للكتابة إذاً.

نظرت إفرا إلى إيوميندوس متسائلة:

ـ بمَ سأرسم على الجدران؟

«بقطعة من فحم الأخشاب المحترقة يطهو بها رفاقُنا الأفغان الطعامَ»، أجاب إيوميندوس.

رسمتْ إفرا، عن حقّ، قلباً وشفتين وهلالاً، على أحد جدران الكهف بالفحم رسماً أشعثَ الخطوط فوق سطح الصخور الخشن، ذوات البثور، غير أن تلك الأشكال الضعيفة الإتقان بدت واضحة على نحوٍ مّا.

كان الحرس في حَيرة من أمرهم: أيمنعون إفرا من الرسم، أم يستجبرون من صاحب الهاتف اللاسلكي وجوبَ منعها؟ تردّدم كان من تردّد بشير نفْسه، يحاول أن يستفهم من الرسوم ببصره مقاصدَ إفرا.

لم تتوقف إفرا عن كتابة رسائلها رسوماً على الجدران. أضافت إلى رسم القلب، والشفتين، والهلال، حروفاً بالعربية تحصّنت بها كتابةُ الأفغاني للغته. وثّقَ خيالها ـ في سنين إقامتها مدافعةً عن حق اللاجئ في مكان، وعن حقه في طعام ونوم، وعن حقه في العلم ـ صورَ الحرف العربي على أبواب المَتاجِر المدن ودكاكينها، وعلى الأوراق في الإدارات، وعلى القبعات، وعلى النقود، وكذلك صورَ الحرف العربي مرتسماً على الوميض في نسف الأجساد نسفاً يعلنه الصوتُ بالعربية:

ـ الله أكبر.

5 ـ لم تُثْنِ الرياح بينيلوبي عن خطتها المرتجلة، العنيدة ارتجالاً. هيأت مع الخادمتين، منذ الصباح الباكر، عدّةً من سلال غير ثقيلة الأحمال، تحوي أطعمة وأشربةً، وكراسيَّ خفيفة من القماش تُطوى وتُنشر مفاصلها، خفيفةِ الأوزان.

كان سهلاً حملُ الأمتعة بالأيدي على الثمانية الرجال، والخادمتين، وبينيلوبي، وابنها تيليماك، في النزول من جوار المنتجع إلى المنبسَط الرمليّ، النقيّ، لا يمازجه حصىً بل أصداف، وقواقع، وسُنوفُ محاراتٍ منغلقةٍ فارغة.

مكابراتٌ من المشي في الريح العاصف واكبت القافلة الصغيرة لم يتخلف عنها حتى بغبائهن لترتطم السفنُ بصخور الشواطئ. هنّ يستخدمنَ الآن مكبّرات الصوت، وأناشيدَ ميكيس ثيودوراكيس العسكرية.

6 ـ عادَ أوديسياس إلى مراقبة ابنه تيليماك متقدماً من الموج، متراجعاً عنه في بنطاله الكاكي القصير. لكنه يدفع الكلبَ إلى الموج حين يتراجع الكلب عنه. أحسّ بعض الريبة في حركات ابنه المتلفت من حوله في حذر، كأنه يتأكد من سهو الآخرين عنه. وإذْ اطمئنّ، كما بدا واضحاً، فُوّقَ سهماً في وترِ القوس على عجل. شدّ عَقِبَ السهم مسدَّد النصل إلى الكلب أرغوس، ثم أطلقه.

ارتفع أرغوس بالسهم غائراً حتى منتصفه في الجهة اليسرى من جسده. صُعِقَ من صدمة الألم فارتخى عن الأرض. فتح شَدقيه من غير نباح. خرّ جاثياً قبل أن يطويه الموْج، ويجذبه ببراثن الزبد فيخفيه.

هبَّ أوديسياس منتصباً عن كرسيه القماش الهيكل. أدارَ عينيه المبغوتتين إلى الآخرين فألفاهم منشغلين عمّا فعله ابنه، متقاربي الرؤوس في الكلام يتحاشون أن تُشتّتَ الريحُ عباراتهم. رجعَ ببصره إلى ابنه قادماً إلى جمعهم هادئَ الوجه، مغمضا عينه اليسرى.

نظرَ تيليماك إلى أبيه شديدَ اللامبالاة كأنْ لم يقترف فعلاً مكروهاً.

تنهّدَ أوديسياس متواطئاً بالصمت على جريرة ابنه، الذي قصدَ موضع الخادمتين، جالستين على الأرض الرمل قُرب سلال المؤونة طعاماً وشراباً. قرفص أمام إحدى السلال ينبش من تحت الغطاء على خبز. أخرجَ بيده اليمنى شريحة من شرائحه المقطّعة سماكاً إسفنجيةَ اللب الأبيض، فيما مدّ يده اليسرى صوب ثدي أندروميدا الأيمن.

شهقت أندروميدا متفاجئةً. هأْهأت مُبعدةً صدرها عن يده وهي تلتفت من حولها، متأكدةً من أنْ لم يلحظهما أحد.

جلسَ تيليماك أرضاً على قرب من أندروميدا، ممدّدَ القوس إلى جواره. ثم نزع الجعبة عن عاتقه الأيمن بسهام عدة فيها. وضعها فوق القوس. قضمَ من شريحة الخبز ما ملأ فمه.

رجعَ أوديسياس جالساً على كرسيه بعد انتصاب إذْ هالَهُ ما رأى من مقتل الكلب أرغوس. حمل علبة الجعة التي وضعها أرضاً في نهوضه. تجرَّعَ من فتحة غطائها بلعةً. هزّ منكساً رأسه من نَفْذ الريح أنفاسها على عينيه.

على مضض كانت الأفواهُ تلتقم الطعامَ شرائحَ لحم، أو جبنة، أو نقانق، مضغوطة بين شرائح الخَبز. ثوبُ بينيلوبي كانَ الأكثر خفّةً من قمصان الرجال، ومن بُنْطالي خادمتيها اللتين تحسَّبتا للريح. جاءت في لِباس أخضر واسع، طويل، فوقه قميص أصفر قصير، يرتفع أحياناً عن سُرّتها، فيما ينقسم الثوب من نهاية أزراره عند الركبتين، فتنكشف فخذاها حتى منتصفيهما.

لم تأبه بينيلوبي لَما تتحسَّسه الريحُ من جسدها تحت اللِباس، فخورةً بجلدها منعّماً من دهون معطّرة، مُرفّهاً سُمرةً خفيفة من هبة البحر للقاطنيْن إلى جوار بساتين مياهه. لكنّ الهدوء، الذي أظهرهُ أهل النزهة بعناد، لم يلبث أن تصدّع: بات مذاقُ الطعام على غير ما تشتهيه الأفواه من تلاعُب الريح بهم نفخاً على الوجوه. وغدا مذاقُ الشراب غير مُستعْذَب. غلبَ التبرُّمُ حركاتِ الجمع. أعلنوا اكتفاءهم من النزهة على شاطئ البحر، المُعلن حرباً من صخبه يمعسُ الموْجُ الموجَ، ويلتهم الموجُ الموجَ ليلدَه.

حملَ أهل النزهة سلالَهم، وكراسيَّهم، مغادرين.

7 ـ تسلقت أبصار الأربعة جسد راقصة شبه عارية، تسلّقت عمود الرقص وسط المنصة محاطةً بالأضواء ذهبيةً، ثم تقلبت برأس إلى أسفل، منزلقة بغذيْن مفتوحتين حتى كادت تلمس سطح المنصة بشعرها. ثبتت ساكنة بالتصاق إلى العمود. تقوست مرتفعة الثديين العاريين دُهنت حلمتاهما بصباغ أحمر.

صفّر الرجال البدناء الكهُول، المنتشون شراباً، للراقصة.

تقدمت الراقصة منهم على ركبتيها إلى حافة المنصة. قذفتهم بقُبل رخيصة التصميم من يديها تضعهما علىَ شفتيها، وتوجّه راحتيها إليهم.

قام واحد منهم بدا الأكثر تعتعةً. جمعَ بعض النقود الأوراق من رفاقه. مشى صوب الراقصة. دسّ النقود في طوق السروال الخيط من حول خصرها. هي العارية إلاّ من خيط آخر متصل بذلك الطوق، ينقسم فوق العانة إلى فرعين على كشحيها.

«لا أرى نساءً في الملهى؟»، قالَ إيوينوس، وهو يتتبع ببصره الراقصة مغادرةً المنصة، بلحْم مرتّجٍ حذلقةً من الحركات بردفيها حتى غابتْ وراء ستارة.

«هاهنَّ»، عاجلته الفتيرا.

وافقتْ مُصادقةُ سؤال إيوينوس مصادقةَ مجيء خمس نساء، بالعاهات في الأرجح العقود السادسة من أعمارهن، في بناطيل ضيقة على النحيلات منهن والمكتنزات لحماً، بتبرُّج على وجوههن لم يتعدَّ تزويق أعينهن بكحل أسْود.

«ما الذي جئنَ يتفرّجن عليه؟»، تساءل إيوينوس.

هزّت بولينا رأسها مستخفة بسؤاله. أجابت:

ـ جئنَ يتفرجنَ على شبابٍ لم يعد يمتلكنَه من إغراء الجسد.

«أيداومنَ على زيارة الملهى؟»، سألها إيوينوس.

«هنَّ ممثلات في مسلسلاتِ التلفاز استُهْلِكْن»، أجابت بولينا.

صدحت موسيقى متكسرة صعوداً وهبوطاً في النغم، كأنها عالقة في ماسورة.

انفرجت الستارة في آخر المنصة.

انقذفت راقصة جديدة، شقراء، معقودة الشعر ديلَ حصان وراء رقبتها، نحيلةٌ، قليلةُ لحم الـردفين، بوجه لن يعرف أحد مقدارَ الأصل من ملامحه، مذ جرى تلاعب بالشفتين من جراحة تجميلية، فانتفختا حتى كادتا تنفجران. أمسكت بعمود الرقص المُرْتكز. دارت من حوله. ركعت بمؤخرة منفرجة الـردفين عن خطٍ أحمر هو مَلبسُها من سروال مقدارُ تفصيله ثلاثةُ خيوط.

«لا تبدو هذه الراقصة يونانية»، قالَ إيوينوس.

«أنت مُحقٌّ»، أكدت بولينا. «كل راقصات التعري، في ملاهي اليونان، بعضهن من أوْربا الشرقية، والأغلبُ الكثير روسيات».

أضافت الفتيرا تعليقاً على عبارات زميلتها:

ـ أوصى الرئيس الروسي بتصديرهن إلى العالم، موكداً أنهن الأفضل إغراءً في هذه المهنة.

«الرئيس الروسي؟!»، تساءل أوديسياس.

«قال ذلك أمام صحافيين»، قالت الفتيرا.

التفت أوديسياس إلى رفيقه جالساً إلى جواره، قبالة المراتين:

ـ لم نجد منهن في أفغانستان.

غلاف الرواية ـ اللوحتان بريشة سليم بركات

تحقيقات

خناجر الغدر في خاصرة الصمود...
كيف أسقطت عشائر غزة مؤامرة «روابط القرى» الجديدة؟

غزة ـ «القدس العربي»:
بهاء طباسي

في أزقة غزة التي تعانق رائحةُ البارود فيها عبق الزعتر البري، وحيث تشبثت الجدران المهدمة بأسماء ساكنيها الذين ارتقوا، تولد حكاية غدر لا تقِلّ قسوة عن قذائف الطائرات. هناك، خلف غبار الدمار في حي الشجاعية الصامد، لم تكن الرصاصات التي اخترقت أجساد الأخوين فهمي وصائب قدوم آتية من فوهة دبابة إسرائيلية فحسب، بل كانت بنكهة الخيانة المرّة، أطلقتها فئة مارقة ارتضت أن تكون ذراعًا مسمومة للمحتل الإسرائيلي في قلب الحاضنة الشعبية.

إنها حكايةٌ عن صراع الإرادات؛ حيث يحاول الاحتلال كسر شوكة شعب أذاقه الويل، لا عبر القصف الجوي فحسب، بل عبر «مصفوفة اجتماعية» خبيثة تهدف إلى إحلال الفوضى محل النظام، والخيانة محل الوفاء، والمليشيا محل المقاومة. في هذه السطور، تسبر «القدس العربي» أغوار المخطط الذي أراد لغزة أن تأكل أبناءها، وكيف وقف الوجهاء والمخاتير حائط صدٍّ منيعًا أمام رياح الفتنة المسمومة، محطمين أحلام مالادينوف ومن خلفه في تحويل العشيرة إلى «شرطي مرور» يحمي أمن المحتل.

ليلة الغدر في الشجاعية.. تشريح الجريمة ميدانيًا

تبدأ فصول الجريمة في ليلة معتمة، وتحديدًا في السابع والعشرين من آذار/مارس لعام 2026. يروي منير قدوم، ابن عم الشهيدين، تفاصيل اللحظات الغادرة بنبرة تختنق بالقهر، واصفًا مشهدًا يعيد للأذهان عصابات «الهاغاناه» ومذبحة صبرا وشاتيلا: «في منتصف الليل، وتحديدًا عند الساعة الرابعة فجرًا، داهمت فئة ضالة تقطن شرق غزة منزل أبنائنا. لم يكونوا وحدهم، بل كانت طائرات الاحتلال تحلق فوقهم وتؤمن حركتهم. لقد قتلوا فهمي وصائب بدم بارد، بأسلحة حصلوا عليها من العدو ليطعنوا بها إخوانهم».

هذا التنسيق الميداني العالي بين المليشيا والطيران المروحي، يثبت أننا لسنا أمام خلاف عائلي أو نزاع جنائي، بل أمام وحدة كوماندوز «بديلة» تعمل بالوكالة.

ويضيف المختار سائد جندية، أحد وجهاء الشجاعية، بمرارة: «تخرج علينا فئة مارقة ليست من عادات شعبنا، استطاعت أن تكون أداة بدلًا من أدوات العدو، يقتلون ويبطشون في شعبهم تحت ذريعة تخليصهم من العذاب، لكنهم هم العذاب ذاته. لقد انسحب الاحتلال تقريبًا من الشجاعية، ولكنهم كانوا هم أدوات الاحتلال المتبقية في هذه المنطقة».

هنا تبرز خطورة الدور المنوط بهذه المجموعات؛ فهي تعمل كـ «جيش ظل» يتولى المهام القذرة التي يعجز الاحتلال عن تنفيذها وسط الأزقة الضيقة، مستغلين معرفتهم بالطرقات والبيوت والوشائج العائلية، ما يجعل خطرهم يتجاوز خطر الدبابة التي يسهل رصدها واستهدافها. إن مقتل الأخوين قدوم كان «بالونة اختبار» لمدى قدرة هذه المجموعات على فرض واقع أمني جديد تحت غطاء «محلي».

خطة مالادينوف وعسكرة المساعدات

لفهم أبعاد ما حدث في الشجاعية، يجب ربطه بالتحركات السياسية الدولية التي كانت تُطبخ خلف الكواليس، وتحديدًا ما يُعرف بـ «خطة مالادينوف». نيكولاي مالادينوف، المنسق الأممي السابق لعملية السلام في الشرق الأوسط، لطالما عُرف بطروحاته التي تدمج بين الجزرة الإنسانية والعصا الأمنية. وتتمحور خطته الأخيرة حول ضرورة تسليم المقاومة لسلاحها كشرط مسبق لدخول «لجنة إدارة غزة» المعينة ضمن المرحلة الثانية لاتفاق وقف إطلاق النار، للبدء في خطة إعادة الإعمار.

لقد صرح مالادينوف مؤخرًا بوضوح صادم أن «الإعمار وتدفق الأموال وإعادة الحياة إلى غزة مرهون بتفكيك البنية العسكرية للفصائل»، داعيًا إلى تشكيل لجان إدارية وأمنية تكنوقراطية تمارس عملها الإداري تحت مظلة دولية وإقليمية.

هذه التصريحات لم تكن مجرد آراء دبلوماسية، بل كانت «مانيفستو» لعمل الميليشيات على الأرض؛ حيث حاولت هذه المجموعات تصوير نفسها كـ «اللجان الإدارية» التي بشر بها مالادينوف، مدعية أنها جاءت لتنظيم المساعدات وحماية الإعمار، بينما كانت في الحقيقة قفازًا ناعمًا لليد الصهيونية الخشنة.

أبو عبد الله العماوي، رئيس وجهاء ومخاتير حي الصبرة، يربط بوضوح بين الجريمة الميدانية والمخطط السياسي: «جئنا لنبين للعالم أجمع أننا وحدة واحدة ضد هذا الاحتلال الذي يريد أن يهجرنا وينزع سلاح مقاومتنا. نحن مع المقاومة قلبًا وقالبًا، ولا يستطيع أي إنسان أن ينزع سلاحنا، وسيبقى سلاحنا مشرعًا ضد الاحتلال وضد أعوانه». إن محاولة «عسكرة المساعدات» عبر ميليشيات مسلحة كانت تهدف إلى جعل «رغيف الخبز» ثمنًا للتنازل عن السلاح، وهو ما ترفضه العشائر التي تدرك أن السلاح هو الضامن الوحيد للبقاء والكرامة.

آذار اللهيب العشائري.. مؤتمرات الحسم والرفض

شهد شهر آذار/مارس من العام الجاري 2026 ذروة المواجهة الشعبية مع هذه المخططات، حيث تحولت دواوين العشائر إلى مراكز قيادة وطنية. ففي مؤتمر صحافي حاشد بمدينة غزة في 22 آذار/مارس 2026، أعلن التجمع الوطني للقبائل والعشائر رفضه القاطع لأي طروحات دولية تسعى لتشكيل «إدارات محلية» أو «لجان تكنوقراط» كبديل عن الإجماع الشعبي وخيانة لدماء الشهداء.

ومع تصاعد التحركات المشبوهة لبعض المجموعات المسلحة عند المعابر (مثل مدينة رفح وكرم أبو سالم) تحت غطاء «تأمين القوافل»، عقدت عائلات قطاع غزة مؤتمرًا صحافيًا في 28 آذار/مارس 2026، أعلنت فيه «البراءة التامة» من أي فرد يثبت تورطه في ميليشيات ممولة خارجيًا. وشدد المتحدث باسم الوجهاء على أن حماية الأمن الداخلي هي مسؤولية وطنية بامتياز، محذرًا من محاولات الاحتلال استنساخ تجارب أمنية فاشلة كـ «روابط القرى» أو «جيش لبنان الجنوبي»، مؤكدًا أن العشائر ستقف بالمرصاد لكل من يحاول العبث بالسلم الأهلي مقابل امتيازات مادية مشبوهة.

سحب الشرعية وإهدار الدم

إن الرهان الإسرائيلي التاريخي على العشيرة كبديل للوطن سقط مرة أخرى. ففي ذكرى يوم الأرض (30 آذار/مارس 2026)، توجت العشائر الفلسطينية حراكها بمؤتمر مركزي أعلنت فيه رسميًا «إهدار دم» كل من يثبت تورطه في التنسيق الأمني المباشر مع الاحتلال.

يقول د. علاء الدين العكلوك، عضو قيادة التجمع الوطني للقبائل والعشائر: «رسالتنا لأولئك الأوغاد الذين ارتموا في أحضان الاحتلال: فتحنا لكم باب التوبة ولكنكم أبيتم. قريبًا سنغلق هذا الباب ونرفع الغطاء عنكم أمام الجهات الأمنية المختصة». وأمهل المؤتمر المنخرطين في هذه التشكيلات ساعات قليلة لإعلان التوبة وتسليم سلاحهم، مؤكدًا أن «الخيانة لا قبيلة لها».

ويذهب المختار أبو السعدي عطالله، مختار حي الدرج، إلى مستوى أكثر صرامة: «هؤلاء العملاء لسنا منهم وليسوا منا، ودَمُهم مهدور للعشائر والقبائل. من لم تتلطخ يده بالدماء فليعد ويعلن التوبة والحكومة ستحميه، أما من ولغ في دم شعبه فلا عهد له». إن مصطلح «الدم المهدور» يعني أن العائلة تتبرأ من تبعات مقتل ابنها إذا ما قامت الأجهزة الأمنية أو المقاومة بتصفيته، وهو ما يقطع الطريق على أي فتنة داخلية أو «ثأر» قد يستغله الاحتلال لضرب النسيج الاجتماعي.

البعد الأمني.. مواجهة الجيل الثالث من العملاء

يرى د. إبراهيم حبيب، المحلل الأمني والسياسي، أن هذه الميليشيات تمثل «الجيل الثالث» من العملاء. فبعد فشل العميل الفردي، وفشل «روابط القرى» في الثمانينيات، يحاول الاحتلال الآن خلق «عصابات منظمة» تمتلك سلاحًا وهيكلاً قياديًا وتتغطى بغطاء إنساني أو إداري يتماشى مع رؤية مالادينوف.

ويضيف حبيب: «هذه العصابات جاءت لتنفذ أجندة تفتيت الجبهة الداخلية، وندعو عائلات كافة للتبرؤ من هؤلاء الخونة لمحو عار الخيانة». إن استهداف عائلة قدوم العريقة كان رسالة إرهاب لكل العائلات الأخرى، لإيهامهم بأن الميليشيا فوق القانون، لكن الزحف العشائري من رفح إلى بيت حانون أثبت العكس.

ويؤكد المختار أبو نضال الغرابلي بلهجة حادة: «يجب أن نضرب على يد هذه الميليشيات الخائنة بيد من حديد. شعبنا معطاء ويرفض الخونة، وعلى كل عائلة أن تتبرأ من ابنها إذا سار في ركاب المحتل». هذه الدعوة للضرب بـ «يد من حديد» تعطي الضوء الأخضر للأجهزة الأمنية للتحرك من دون خوف من التبعات العشائرية، مما يعزز السلم الأهلي في وقت الحرب.

الوعي الجمعي وسقوط نظرية «الفوضى الخلاقة»

إن مشهد تلاحم المخاتير يعكس فشل نظرية «الفوضى الخلاقة» التي أراد الاحتلال من خلالها تحويل غزة إلى غابة يحكمها المسلحون الموالون له. يوضح المختار أبو محمد سكر (رجل إصلاح): «هذا المشهد يمثل عائلات قطاع غزة كافة، وهو يعبر عن تماسكنا مع المقاومة وضد العملاء. أوجه رسالة لمن ضل الطريق: لا تزال لديكم فرصة للعودة، فالمسامحة موجودة لمن لم تتلطخ يده بالدم».

هذه «الوسطية» العشائرية - بين الحسم مع القتلة وفتح باب التوبة للمغرر بهم- هي التي منعت انفجار القطاع من الداخل. فالعشائر تدرك أن الاحتلال يريد تحويل البوصلة من «فلسطيني ضد محتل» إلى «فلسطيني ضد فلسطيني». ومن هنا كان إصرار المختار أبو موسى قدوم على وصف الميليشيات بأنهم «جبناء يسيئون لعائلاتهم»، مؤكدًا أن «كيد العدو لن يغيرنا».

الجدار الذي لم يُهدم ولن يُخترق

في ختام هذا الاستقصاء الميداني، يتبين أن معركة غزة ليست فقط فوق الأرض وتحتها، بل هي معركة على «الوعي» و«الولاء». إن دماء فهمي وصائب قدوم لم تذهب سدى، بل كانت الزيت الذي أوقد سراج الوحدة العشائرية في وجه مشروع الميليشيات المشرعن دوليًا عبر خطط مالادينوف.

إن الميليشيات التي ولدت في أحضان الطائرات الصهيونية، ستموت في أزقة غزة التي لا تقبل الغرباء ولا الخونة. ورغم كل الضغوط الدولية، ورغم خطط مالادينوف ومشاريع «اليوم التالي»، يبقى الصوت العشائري في غزة مخلصًا لثوابته: السلاح للعدو، والخبز للكرامة، والخيانة في مزابل التاريخ.

لقد أثبتت عائلات غزة، من الشجاعية إلى الصبرة ومن الدرج إلى رفح، أن «الحاضنة الشعبية» ليست شعارًا للاستهلاك الإعلامي، بل هي عقيدة راسخة ترفض المقايضة على السلاح مقابل الطحين. وسيبقى موقف أ. منير قدوم وعائلته صرخة في وجه كل من تسول له نفسه العبث بأمن هذا الشعب: «سنلاحقكم قانونيًا وعرفيًا وعشائريًا، ولن نرحم من ثبت تورطه، فدماء أبنائنا ليست للمساومة». غزة اليوم، بوحدتها العشائرية والسياسية، تسحق النسخة الجديدة من «روابط القرى»، وتؤكد للاديونوف وللاحتلال أن السلاح الذي يحمي الأرض لا يُسلم مقابل وعود الإعمار الزائفة.

ميديا

وقف حرب إيران يُشعل شبكات التواصل عربياً... والجدل التقليدي: من المنتصر؟

لندن – «القدس العربي»:

اشتعلت شبكات التواصل الاجتماعي في العالم العربي بجدل واسع بعد إعلان التوصل إلى اتفاق لوقف إطلاق النار بين الولايات المتحدة وإيران، وذلك في اللحظات الأخيرة بالتزامن مع انتهاء المهلة التهديدية التي أطلقها الرئيس الأمريكي دونالد ترامب، فيما اندلع سريعاً الجدل التقليدي الذي ينشغل به العرب بعد كل حرب وهو الإجابة على سؤال: من المنتصر؟

وسرعان ما تصدر الحديث عن وقف إطلاق النار والهدنة لمدة أسبوعين بين إيران من جهة والولايات المتحدة وإسرائيل من جهة ثانية، سرعان ما تصدر أحاديث النشطاء على شبكات التواصل الاجتماعي، وأصبح الموضوع الرئيسي الذي يشغل المستخدمين العرب، خاصة مع إعلان الدخول في مفاوضات بين الطرفين من أجل التوصل إلى إنهاء دائم للحرب بما يؤدي إلى وقف الهجمات الإيرانية على الدول العربية.

وأصبحت أغلب الوسوم الأوسع انتشاراً في الدول العربية لها علاقة بالحرب وتوقفها، ومن بينها «إيران» و«وقف إطلاق النار» و«وقف الحرب» و«إيران تنتصر» وغير ذلك من الوسوم، فيما تداول العديد من النشطاء قائمة الشروط العشرة التي وضعتها إيران لوقف الحرب والتي وافقت عليها الولايات المتحدة، كما تداولوا أيضاً بيان الحرس الثوري الإيراني الذي تلا الإعلان عن وقف إطلاق والذي استعرض الشروط التي تم على أساسها وقف الحرب لمدة أسبوعين.

وكتب البروفيسور والأستاذ الجامعي الكويتي الدكتور عبد الله الشايجي في تدوينة على شبكة «إكس» معلقاً على وقف إطلاق النار بالقول: «في اليوم الأربعين من الحرب ترامب يمدد مهلة وقف إطلاق النار للمرة الخامسة، ويعلن: حققنا أهدافنا، ونزل ترامب وإيران عن الشجرة. أعلن ترامب قبوله لمبادرة رئيس وزراء باكستان، وتعليق قصف إيران لمدة أسبوعين، والأسبوعان القبلان سيسمحان للتوصل لحل».

وغرد الدكتور محمد المختار الشنقيطي: «فشل ترامب فشلاً ذريعاً في تحقيق أهداف إسرائيل الاستراتيجية من الحرب، وهي: 1. إسقاط النظام في إيران. 2– وقف برنامجها النووي. 3– تقليص مدى صواريخها. وتضاعف فشله بإغلاق مضيق هرمز، ووقوع العالم كله في مأزق جراء ذلك، فلجأ إلى التهديدات الجوفاء في الأقوال، تعويضاً عن الفشل في الأفعال».

أما الكاتب الصحافي الفلسطيني ياسر الزعاترة فكتب يقول على حسابه على منصة «إكس»: «لا يحتاج المراقب إلى كثير من الذكاء كي يدرك أن الاتفاق كان حاجة لترامب أكثر من أي شيء آخر، وطبعاً وسط معاناته من شرعية الداخل وتصاعد أصوات الرفض، فضلاً عن مواقف الحلفاء، وعموم المواقف الدولية».

وأضاف الزعاترة: «تبرير ترامب للاتفاق كان يعكس بؤس موقفه بقوله إننا (حققنا بالفعل جميع الأهداف العسكرية، بل وتجاوزناها، ونحن على وشك التوصل إلى اتفاق نهائي بشأن السلام طويل الأمد مع إيران، والسلام في الشرق الأوسط).. كلام فارغ بالطبع، لأن التدمير لم يكن هدف الحرب، بل (تحرير الشعب الإيراني من نظامه)، كما أن إيران لم تكن ترفض الاتفاق على النووي من الأساس، بدليل أنها وقّعت سابقاً على اتفاق مع أوباما انقلب عليه ترامب، بطلب من الصهاينة».

وخلص الزعاترة إلى القول: «لقد منح ترامب إيران دفعة سياسية قوية، خاصة فيما يتعلّق بمضيق هرمز الذي سيكون عنوان قوة جديدة لها، وتحدّيها لأكبر قوة في العالم، لكنه كلّفها دماراً ستحتاج لكثير من الوقت كي ترمّمه». وأكد أن «فشل العدوان، ينطوي على خير للمنطقة، وربما للعالم أجمع، وضربة لأوهام نتنياهو بالهيْمنة والتمدّد، فضلاً عن دفعه أمريكا إلى الوراء أكثر فأكثر».

ونشر حساب «إيران بالعربية» مقطع فيديو لحشود من الإيرانيين وهم يحتفون في الشوارع بانتهاء الحرب، وكتب معلقاً على المقطع بالقول: «الإيرانيون في العاصمة طهران يحتفلون بإعلان انتصار الجمهورية الإسلامية على العدوان الأمريكي–الإسرائيلي».

وكتب الأسير الأردني المحرر من السجون الاسرائيلية سلطان العجلوني عبر حسابه على «فيسبوك» يقول: «من كان يعبد أمريكا فقد شاهدها عاجزة عن إخضاع دولة من الحجم المتوسط وليس دولة عظمى. أمريكا عظيمة فقط في عيون الصغار، وربما فقط في القلوب التي لا تعرف الله».

إعادة ترتيب جيوسياسي شامل

أما الناشط اللبناني بيير أبي صعب فنشر على حسابه على منصة «إكس» تعليقاً يقول فيه: «الولايات المتحدة الأمريكية، الدولة التي كانت ذات يوم تفرض قراراتها على الكوكب بأكمله، يتم إقصاؤها الآن من المشهد. ليس من قبل الأعداء، بل من قبل حلفائها. فبينما يغرّد دونالد ترامب غاضباً على وسائل التواصل الاجتماعي كمن يصرخ في القفار، تقوم فرنسا، اليابان، الفيليبين، بريطانيا، وعشرات الدول الأخرى – بهدوء ومنهجية – بعقد صفقات مع إيران من خلف ظهره.. ما يحدث الآن ليس مجرد أسبوع سيّئ في سجل السياسة الخارجية لترامب، بل هو إعادة ترتيب جيوسياسي شامل. لقد انتهى النظام الدولي الذي تقوده أمريكا، وحان الوقت لبناء شيء آخر».

وعلقت الناشطة الأردنية رزان العمد بالقول: «سيبقى العرب وقود الحروب وحطب نيرانها ما لم يكن لهم مشروعهم المستقل».

وقال الناشط الخليجي عبد الله رشدي: «توصلت الاتفاقات بين أمريكا وإيران لإيقاف الحرب لمدة أسبوعين. مخرج جيد لأمريكا من هذه الورطة التي ورطتها فيها إسرائيل. خرجت إيران بكرامة. ولم تحقق إسرائيل أهدافها. ستكون الأيام القادمة مجالاً لتصفية بعض الحسابات، وهناك تكتلات سياسية وتحالفات عسكرية ستولد من رحم هذه الأزمة. تم كسرُ حاجز الخوف الذي كان مسيطراً لعقود، العرب سيكون لهم موقفٌ مؤخّدٌ وسيكونون قوةً تُهابُ».

أما الناشط الخليجي الدكتور طلال الحارثي، فشكك في تعاطي البعض مع ما حدث على أنه انتصار إيراني، وكتب يقول: «يسوقون الآن أن إيران انتصرت في الحرب، ويتناسون أن الحرب ستنتقل من الميادين إلى الطاولة. كيف؟ 1– إيران استسلمت ولم تنتصر، وهي من طلبت وقف الحرب. 2– تسليم اليورانيوم للوكالة الدولية أمر مجسوم ولا رجعة فيه. 3– القدرات العسكرية دُمرت ولن تستطيع إعادة تنظيمها من جديد إلا بعد عشرات السنين ولأغراض دفاعية لا تهديديه وبمراقبة دولية. 4– بات الوجود الاسرائيلي الأمريكي أكثر سهولة وسيعشعش في إيران. 5– بات من الضروري إصلاح الانحراف والحولان الذي يعاني منه الحرس الثوري».

وكتب الناشط المصري سامح عسكر: «رفضت إيران خمسة طلبات سابقة لوقف إطلاق النار لعدم شموله على ضمانات لإيقاف الحرب وعدم الاعتداء مرة أخرى، وإزالة كل مسببات الصراع السابقة مثل العقوبات والقواعد الأمريكية والاعتداءات الإسرائيلية والاغتيالات في فلسطين ولبنان وغيرها. وهذه المرة دخلت باكستان ومصر كوسيط رئيسي. باكستان ومصر يحظون باحترام في إيران وهناك يسمعون جيداً لقادة الدولتين ويثقون في استقلالهما».

وأضاف عسكر: «الضغوط الداخلية تتزايد على ترامب والمطالبات بمحاكمته وعزله لعدم صلاحيته عقلياً تزداد وربما يجتمع الكونجرس قريباً للبت في أهليته وكفاءته العقلية، بعدما صرح تصريحه الكارثي بتدمير الحضارة الإيرانية. وبكل الأحوال حتى لو حدث وقف إطلاق النار بشكل دائم أو مؤقت، سيكون مكسبا استراتيجيا كبيرا للإيرانيين، فلا حديث مستقبلا عن تفكيك البرنامج النووي أو الصاروخي أو إسقاط النظام أو مستقبل المقاومة وسلاحها، لقد أصبح كل ذلك من الماضي».

وكتب الناشط الفلسطيني أدهم أبو سلمية: «نتنياهو يريد جعل الحرب على لبنان نقطة تفجير لأي اتفاق نهائي محتمل مع إيران، كما أنه لا يريد أن يظهر بمظهر العاجز أمام الجمهور الصهيوني الذي كان يقول له بالأمس فقط أن الحرب لن تتوقف الا بالقضاء على إيران وحلفائها في المنطقة».

الحرب لم تتوقف

وقالت الناشطة والكاتبة إحسان الفقيه: «الحرب لم تتوقف، بل وُضعت على وضع (الانتظار المشروط)، وهنا تكمن الخطورة؛ لأن هذا النوع من الاتفاقات لا يُبنى على الثقة، بل على تبادل الشكوك المضبوطة بالقوة. لسنا أمام سلام بل أمام حربٍ مؤجلة تنتظر من يخطئ أولًا».

وكتب علي أبو رزق: «الصمود الإيراني مذهل خلال هذه الحرب، وقد كسبت طهران أوراق قوة ونفوذ جديدة، ولكن، عليها فتح حوار فوري وهادئ مع دول جوارها، والتفاهم على أسس وقواعد جديدة للجوار، والاعتذار عن قصف أي منشأة مدنية، حتى لا يستغل الأمريكي ما جرى لضاعفة نفوذه وتواجده في المنطقة»، وأضاف: «يمكن القول أن إيران قد كسبت على المستوى الاستراتيجي ولكن خسارتها ستكون مدوية إذا تركت حليفها في جنوب لبنان يواجه الوحشية الإسرائيلية وحيداً».

وقالت مريم البسام: «نتعالى مع عدوٍّ يُفخّخ حتى الورق الذي تُكتب عليه الاتفاقات. لبنان ساحة مشمولة بالكلام المُسيَّل للدموع والدماء، وقد ورد لبنانُ نصًّا في الاتفاق حين تحدّث عن وقف الحرب في كل الجبهات. لكن ما يكتبه بنيامين نتنياهو خارجٌ عن كل النصوص، وناره متحرّرةٌ من كل البنود. ويفتعل مجرم الحرب هذا غيارات من تحت إبطه، جنوباً وبقاعاً، للدلالة على أنهُ متحلّلٌ من أي اتفاق، ويكتب بالنار ما لم يثبته بالحبر».

وقال عباس الطريفي: «صواريخ إيران ودماء شهدائها سطرت خطوطاً حمراء انحنى أمامها الطغاة اليوم. وقف الحرب دون شروط مسبقة من الطرف الآخر دليل واضح على من يملك القوة الحقيقية».

وعلق أحمد سهيل المطيري ساخراً على الجدل حول من هو المنتصر ومن هو المهزوم: «ما هذه الحرب التي انتصر فيها الجميع حتى الذي ليس له علاقة قال انه ساهم بإنجاح وقف إطلاق النار.. فعلا كرنفال».

وقال عبد الله حمد: «وقف الحرب يعود بترامب إلى ما قبل الحرب، مع مكسب لإيران وهو ورقة قوة مضيق هرمز». فيما كتب

قال أبو علي السعيدي: «من بنود وقف الحرب بين إيران وأمريكا هو وقفها على حزب الله في لبنان كذلك، والسؤال: لماذا لم يذكر الحشد الشعبي؟ أو الفصائل في العراق التي تتلقى ضربات موجعة؟».

وكتب الدكتور عامر الكبيسي عبر حسابه على منصة «إكس» يقول: «أبدع المشير عاصم منير، قائد الجيش الباكستاني، في هندسة مسار تفاوضي جعل جميع الأطراف تخرج دون خسارة مباشرة، واضعاً هدفا واضحا: وقف الحرب، فتح مضيق هرمز أمام الجميع وقد نجح. لم يكن ذلك دفاعا عن إيران وحدها، بل عن جغرافيا إسلامية كاملة كانت على حافة الانزلاق نحو فوضى أوسع، فتم تأجيل الخطر الأكبر في لحظة حاسمة».

أما سالم سليماني فكتب يقول: «وقف إطلاق النار بين إيران وأمريكا هو هدنة هشة وأتوقع ان الحرب ستستأنف قبل نهاية الهدنة»، فيما كتب الناشط محمود خوشناو: «وقف إطلاق النار أو الهدنة أفرح من يُحب الحياة وأحنق ذوي العقد النفسية الذين يعتاشون على الفوضى والحروب، ويتعكزون على شيء قاعدته هشة، هؤلاء لا عزاء لهم. نأمل أن يستمر وأن يُفضي إلى حل جذري يُبعد الحرب عن المنطقة، رغم علمنا بوجود إستراتيجيات تقف بالضد من ذلك».

ترامب يُهدد بسجن صحافيين... لهذا السبب

لندن – «القدس العربي»:

هدد الرئيس الأمريكي دونالد ترامب بسجن صحافيين كشفوا معلومات عن فقدان عضو ثان من طاقم طائرة مقاتلة أمركية من طراز «إف 15» بعد إسقاطها فوق إيران.

وأكد ترامب الأسبوع الماضي أن إدارته تعمل على تحديد هوية «المسرّب» الذي زوّد وسائل الإعلام بهذه التفاصيل. وقال إنّ الكشف عن هذه المعلومات أدى إلى معرفة وجود عنصر مفقود، مضيفاً: «لم يكن لديهم علم بذلك حتى كشف هذا المسرب المعلومات».

وتم إسقاط المقاتلة فوق إيران في وقت سابق، ما أثار قلقاً كبيراً في واشنطن من احتمال أن تقوم القوات الإيرانية بأسر عضوي الطاقم واستخدامهما ورقة ضغط في المفاوضات لإنهاء القتال. وتم إنقاذ الطيار فور تحطم الطائرة، ثم نُشرت قوات خاصة أميركية لاحقاً لمنع أسر العضو الثاني من الطاقم، الذي أعلن ترامب استعادته لاحقاً. وقال ترامب إن الكشف عن إنقاذ الطيار أوضح للقوات الإيرانية أن العضو الثاني من الطاقم لا يزال مفقوداً، وهو ما صعّب جهود الإنقاذ. وأضاف: «لذلك، من كان المسؤول عن ذلك، نعتقد أننا سنتمكن من معرفة ذلك لأننا سنتوجه إلى الشركة الإعلامية التي نشرت التقرير، وسنقول: الأمن القومي، أفصحوا أو اذهبوا إلى السجن». ولم يكشف ترامب عن اسم المؤسسة الإعلامية أو الصحافي الذي كان يشير إليه.

وعند إعلانه إنقاذ الطيار، قال ترامب إن «هذه هي المرة الأولى في تاريخ الجيش التي ينقذ فيها طيارون أمريكيون كل على حدة في عمق أراضي الأعداء»، وتابع: «نجاحنا في تنفيذ هاتين العمليتين، بدون مقتل أو إصابة أي أمريكي، يثبت تفوقنا الجوي الساحق على الأجواء الإيرانية».

في مقابل ذلك، أكد المتحدث باسم مقر «خاتم الأنبياء» العقيد إبراهيم ذو الفقاري «فشل» عملية إنقاذ الطيار الأمريكي وسط إيران بسبب العمليات المشتركة للحرس والجيش وقوات التعبئة الشعبية والأمن، وأضاف أن «القوات الإيرانية تمكنت من استهداف وتدمير طائرات معادية في جنوب أصفهان شملت مروحيتين من طراز بلاك هوك وطائرة نقل عسكرية».

بلدية حيفا الإسرائيلية متهمة باستهداف الصحافيين العرب

لندن – «القدس العربي»:

تواجه بلدية حيفا الإسرائيلية اتهامات بملاحقة واستهداف الصحافيين العرب داخل الأراضي المحتلة عام 1948، فيما لجأت مؤسسات عربية وفلسطينية إلى مقاضاة البلدية أمام المحكمة المركزية في حيفا التي ستبدأ النظر في الدعوى خلال أيام.

وتقدمت مؤسسات «عدالة» و«مساواة» و«إعلام»، إلى جانب مجموعة من الصحافيين العرب، بالدعوى القضائية أمام المحكمة الإسرائيلية بتهمة ملاحقة الصحافيين العرب في المدينة والتضييق عليهم.

وبحسب بيان صادر عن مقدّمي الدعوى القضائية فقد «ادّعت بلدية حيفا أمام المحكمة أن مفتشيها لا يضايقون الصحافيين العرب العاملين مع وسائل الإعلام العربية الدولية بدوافع عنصرية، بل بسبب عدم خضوعهم للرقابة العسكرية. كما أكدت أنها تعمل بدوافع أمنية، وأن البث من مواقع تطل على خليج حيفا ومناطق حساسة قد يعرّض أمن المدينة للخطر». وفي المقابل، أشار البيان إلى أن إجرائية، من بينها عدم تفصيل القرار الإداري وعدم إرفاق وسائل الإعلام كأطراف في الالتماس. وقررت القاضية تمار نؤوت بيري عقد جلسة للنظر في الالتماس بعد عطلة عيد الفصح، معتبرة أن طلب شطب الالتماس يتطلب بحثاً معمقاً، ولا يمكن البت فيه قبل سماع مرافعات الطرفين.

وأفادت المعطيات بأن الرقابة العسكرية تفرض تعليمات واضحة على جميع وسائل الإعلام، المحلية والأجنبية، تشمل حظر البث أثناء صفارات الإنذار ومنع نشر معلومات عن مواقع حساسة. وعلى الرغم من تسجيل مخالفات محدودة خلال الحرب، فإنها لم تشكل نمطاً ممنهجاً.

وأكدت الجهات الملتمسة أنه «لا توجد حاجة إلى موافقة مسبقة من البلدية أو الشرطة للتصوير والبث، وأن ما تقوم به بلدية حيفا يتم خلافا لتعليمات الرقابة والشرطة، ويشكل مساساً عميقاً بالحقوق الدستورية من دون صلاحية قانونية».

وجاء في الالتماس أن مفتشي البلدية يتسببون في «مساس متواصل ومنهجي بحقوق دستورية أساسية، وعلى رأسها حرية التعبير وحرية الصحافة وحرية العمل».

وفي الالتماس «أُرفقت إفادات لصحافيين، بينهم عبد القادر عبد الحليم وسمير عبد الهادي ورازي طاطور، أكدوا فيها تعرضهم للمضايقة والطرد من مواقع البث، رغم مصادقة الشرطة، والتزامهم بتعليمات الرقابة العسكرية». وأشار الالتماس، الذي قدمته المحامية هديل أبو صالح، إلى وجود معاملة تمييزية، إذ تسمح البلدية لوسائل الإعلام الإسرائيلية بالبث من دون تدخل، بينما تتدخل مراراً في عمل الصحافيين العرب، رغم خضوع الجميع للقواعد نفسها.

وفي المقابل، نفت البلدية في ردها أن يكون التعامل الأكثر تشدداً مع الصحافيين العاملين مع شبكات أجنبية نابعا من غياب الرقابة، لكنها تمسكت بوجود فرق بين القنوات الإسرائيلية والأجنبية، مدعية أن الأولى تخضع لإشراف مباشر داخل الاستوديوهات. كما طلبت البلدية شطب الالتماس لأسباب إجرائية، من بينها عدم تفصيل القرار الإداري وعدم إرفاق وسائل الإعلام كأطراف في الالتماس. وقررت القاضية تمار نؤوت بيري عقد جلسة للنظر في الالتماس بعد عطلة عيد الفصح، معتبرة أن طلب شطب الالتماس يتطلب بحثاً معمقاً، ولا يمكن البت فيه قبل سماع مرافعات الطرفين.

وأفادت المعطيات بأن الرقابة العسكرية تفرض تعليمات واضحة على جميع وسائل الإعلام، المحلية والأجنبية، تشمل حظر البث أثناء صفارات الإنذار ومنع نشر معلومات عن مواقع حساسة. وعلى الرغم من تسجيل مخالفات محدودة خلال الحرب، فإنها لم تشكل نمطاً ممنهجاً.

وأكدت الجهات الملتمسة أنه «لا توجد حاجة إلى موافقة مسبقة من البلدية أو الشرطة للتصوير والبث، وأن ما تقوم به بلدية حيفا يتم خلافا لتعليمات الرقابة والشرطة، ويشكل مساساً عميقاً بالحقوق الدستورية من دون صلاحية قانونية».

الأمن المصري يعتقل ناشطاً بسبب منشور... وحقوقيون يعتبرونها «ملاحقة سياسية»

لندن – «القدس العربي»:

اعتقلت أجهزة الأمن المصرية الناشط المعروف أحمد دومة على خلفية منشورات على شبكات التواصل الاجتماعي، ووجهت له تهمة «نشر أخبار كاذبة»، فيما انتقد حقوقيون الملاحقات التي يتعرض لها دومة والذي خرج أصلا من السجن في العام 2023 بموجب عفو رئاسي بعد سنوات أمضاها في الاعتقال.

وقال تقرير نشرته المنظمة العربية لحقوق الإنسان في بريطانيا إن ملاحقة دومة أعادت المشهد الحقوقي في مصر إلى الواجهة، حيث تقرر حبسه احتياطياً في قضية جديدة بتهمة «نشر أخبار كاذبة».

وأكدت المنظمة في التقرير الذي اطلعت عليه «القدس العربي» إن «هذه التهمة باتت تُستخدم بصورة منهجية لإعادة تدوير القضايا ضد المعارضين والكتّاب، حتى بعد الإفراج عنهم أو صدور عفو رئاسي بحقهم».

وأضاف التقرير: «اللافت في هذه القضية أنها ليست الأولى بحق دومة منذ خروجه من السجن بعفو رئاسي عام 2023، بل تمثل الحلقة الرابعة في سلسلة ملاحقات متكررة على خلفية آرائه ومقالاته، ما يكشف بوضوح عن آلية قانونية تُستخدم للتحايل على قرارات الإفراج، عبر فتح قضايا جديدة بذات الاتهامات تقريبا، ما يحوّل الحرية إلى وضع مؤقت وهش، يمكن سحبه في أي لحظة».

وتابعت المنظمة: «يعكس الاعتماد المتكرر على تهم فضفاضة مثل (نشر أخبار كاذبة) و(تكدير السلم العام) غياباً صارخاً للمعايير القانونية الدقيقة، ويحوّل النصوص القانونية إلى أدوات قمع سياسي. فهذه الاتهامات لا تُعرّف بشكل واضح، ما يفتح الباب لتأويلها بشكل تعسفي، ويجعل أي رأي مخالف عرضة للتجريم».

وتؤكد المنظمة أن «الحبس الاحتياطي في مصر تحول عملياً إلى عقوبة قائمة بذاتها، تُفرض من دون حكم قضائي. وفي حالة دومة، كما في عشرات القضايا المشابهة؛ يُستخدم الحبس كوسيلة ضغط وعقاب مسبق، في انتهاك واضح لمبدأ قرينة البراءة. وما يؤكد أن القضية في جوهرها ليست قانونية بقدر ما هي سياسية وحقوقية، أن ملاحقة دومة جاءت على خلفية مقال رأي ومنشورات على وسائل التواصل الاجتماعي، وهو ما يضعها مباشرة في إطار استهداف حرية التعبير، ما يمثل انتهاكاً واضحاً للحقوق الأساسية التي تكفلها الدساتير والمواثيق الدولية».

وخلصت المنظمة الحقوقية إلى القول إن «هذه الممارسات تُمثل انتهاكاً صارخاً لحقوق الإنسان، ولا يمكن تبريرها تحت أي ذريعة تتعلق بالأمن أو الاستقرار. فالدول لا تُبنى بإسكات الأصوات، بل بضمان الحق في التعبير، وهو الحق الذي يبدو اليوم في مصر أقرب إلى التهمة منه إلى الحرية».

علوم وتكنولوجيا

علماء صينيون ينجحون في إعادة الحياة لأنسجة الدماغ المجمدة

لندن ـ «القدس العربي»:

تمكن علماء صينيون من تطوير مزيج كيميائي ثوري يسمح لأنسجة الدماغ بالعمل مجدداً بعد تعرضها للتجميد.

ونقل موقع «نيو أطلس» الإلكتروني عن الباحثين قولهم إن التجميد التقليدي يضر بالخلايا لأن الماء يتحول إلى جليد ويُمزق أنسجة الدماغ، مثلما يحدث مع اللحوم أو الفواكه المجمدة، لكن استخدام مركب «MEDY»، المكوّن من ميثيل السليلوز، الإيثيلين غليكول، DMSO، وY27632، وفّر حماية عالية للعضيات الدماغية (أدمغة مصغرة تم إنماؤها في المختبر) والأنسجة الحية. ويقول العلماء إنه بعد التجميد في «MEDY» ثم إذابة الجليد، نمت العضيات الدماغية وعملت كما لو لم تُجمد أبداً.

وتم حفظ بعض العينات لمدة 18 شهراً، وظلت سليمة بعد الذوبان. وحتى أنسجة دماغية مأخوذة من مرضى الصرع احتفظت بتركيبها وبخصائص المرض، ما يمكّن العلماء من دراستها لاحقاً دون ضرر.

وهذه التقنية تفتح آفاقاً واسعة في العديد من المجالات، ومن بينها أبحاث الأمراض العصبية والحفاظ على العينات الحيوية لفترات طويلة، ودراسة الدماغ البشري في المختبر بطريقة أكثر أماناً وموثوقية، وحفظ الأنسجة قبل الزرع أو الاختبارات المخبرية دون فقدان الوظائف الحيوية.

ويقول العلماء إن التحدي الأكبر في تجميد الدماغ هو تشكل بلورات جليدية تمزق الخلايا، حيث تستخدم التقنيات الحديثة مواد «مُحفظة بالتبريد» تمنع تشكل الجليد وتحافظ على الخلايا في حالة أشبه بالزجاج.

كما أظهرت الاختبارات أن أجزاء الدماغ المجمدة، عند إذابتها بعناية، تبدأ في إظهار نشاط كهربائي حيوي، مما يعني استعادة التواصل بين الخلايا.

ويهدف العلماء من هذه الدراسات إلى تطوير طرق لحفظ الدماغ والأعضاء البشرية، وقد تساهم مستقبلاً في علاجات حالات السكتة الدماغية، أو أمراض مثل الزهايمر.

يشار إلى أنه على الرغم من نجاح هذه التجارب على عينات نسيجية مخبرية وشرائح دماغية، إلا أن إعادة إحياء دماغ بشري كامل أو تجميد الإنسان بالكامل وإعادته للحياة لا يزال أمراً خيالياً ولم يتم تحقيقه، والبحوث الجارية تهدف إلى فهم كيفية حماية الخلايا العصبية من الموت وليس إعادة الحياة لشخص متوفى.

الصين تجرب بنجاح أول طائرة مسيرة تعمل بالهيدروجين

لندن ـ «القدس العربي»:

أفادت وكالة «شينخوا» في بكين نقلا عن شركة محركات الطائرات الصينية أن الصين أصبحت أول دولة في العالم تُقلع بطائرة بدون طيار مزودة بمحرك هيدروجيني من فئة الميغاواط.

وتمت الرحلة في 4 نيسان/أبريل في مطار «لوسونغ» بمدينة تشوتشو في مقاطعة خونان الصينية. واستمرت الرحلة 16 دقيقة. وخلال هذه الفترة قطعت الطائرة المسيرة التي يبلغ وزنها 7.5 طن مسافة 36 كيلومترا بسرعة 220 كم/ساعة، ووصلت إلى ارتفاع 300 متر.

وصرحت شركة محركات الطائرات الصينية أن المحرك عمل بشكل طبيعي ومستقر.

وتم تطوير المحرك التوربيني المروحي من قبل معهد محركات الطائرات التابع للشركة في مقاطعة خونان بناء على النموذج التجاري «AEP100» المنتج على دفعات. وتعمل النسخة الأساسية للمحرك بالكيروسين وتنتج قدرة 900 كيلوواط، وهي تُستخدم لتشغيل الطائرات المسيرة الكبيرة الحجم من أسرة «بيلوغا» (الحوت الأبيض).

وأعربت شركة المحركات الصينية عن قناعتها بأنه مع انخفاض تكلفة إنتاج الهيدروجين الأخضر، ستضيف مزايا لمحركات الطائرات التي تعمل بهذا الوقود، سواء من الناحية الاقتصادية والبيئية أو من حيث السلامة. ومن المتوقع أن يتم توسيع نطاق هذه التكنولوجيا الجديدة ليشمل طائرات الركاب المدنية في المستقبل.

يشار إلى أن الطائرات العاملة بالهيدروجين تعد حلا ثوريا مستداما للطيران، حيث تعتمد على الهيدروجين الأخضر كوقود لتشغيل خلايا الوقود الكهربائية أو محركات الاحتراق المباشر، مما ينتج عنه بخار ماء فقط.

وبينما حققت الصين مؤخراً نجاحاً بارزاً بأول رحلة تجريبية لطائرة شحن بمحرك هيدروجين، فإن شركة «إيرباص» الفرنسية تسعى لتشغيل طائرات تجارية بهذه التكنولوجيا بحلول 2045.

وتُستخدم خلايا وقود الهيدروجين لتوليد الكهرباء للمحركات، مما يقلل الضوضاء والانبعاثات.

وتعمل شركات مثل «إيرباص» التي أطلقت مشروع «ZEROe» على تطوير محركات هيدروجينية للطائرات الإقليمية والتجارية، مع التركيز على السلامة والكفاءة.

أما أبرز المميزات البيئية لهذه التكنولوجيا فهو انعدام انبعاثات ثاني أكسيد الكربون، حيث يتم استبدال الوقود الأحفوري التقليدي بوقود نظيف، إلا أن التحديات في هذا المجال تتركز في تخزين الهيدروجين، وتطوير البنية التحتية للتزود بالوقود، وزيادة تكاليف الإنتاج الحالية.

وتعد هذه التكنولوجيا العمود الفقري لمستقبل طيران صديق للبيئة، مع توقعات بدخولها الخدمة الفعلية بشكل أوسع خلال العقدين القادمين.

روسيا تعرض نماذج أولية لمحطات اتصال فضائي تنافس «ستارلينك»

لندن ـ «القدس العربي»:

تسلم المركز الروسي للأنظمة غير المأهولة «روبيكون» نماذج أولى من مثيلات روسية لنظام «ستارلينك» التابع لإيلون ماسك، وبينها محطات الاتصال عبر الأقمار الاصطناعية «سبيريت030—» و«كفادرات».

ونشر المركز الروسي للأنظمة غير المأهولة «روبيكون» صوراً فوتوغرافية رسمية لمحطات الاتصال الفضائي الجديدة.

وأفادت صحيفة «أوسفيدوميتيل» الإلكترونية الروسية بأن متخصصي مركز «روبيكون» يعملون حالياً على استيعاب التعامل مع الأنظمة الجديدة في إحدى القواعد التدريبية، ومن المتوقع أن يستمر هذا التدريب لعدة أشهر على الأقل.

يُذكر أن الجانب الأوكراني كان قد أفاد سابقاً بتوريد دفعات كبيرة من محطات الاتصال الفضائي «سبيريت030—» إلى القوات المسلحة الروسية، مشيراً إلى أن قطر الهوائي لمحطة الاتصال المحمولة الجديدة انخفض من 90 سنتيمتراً إلى 30 سنتيمتراً، مما يجعل اكتشافه أكثر صعوبة.

وتعمل محطة «سبيريت» مع الأقمار الاصطناعية الروسية المستقرة بالنسبة للأرض، مع تشفير جميع المعلومات المرسلة، بما في ذلك الاتصالات الصوتية، ما يعزز مقاومة القناة للتشويش والاعتراض.

وتُستخدم هذه المحطات على خط المواجهة للاتصال بين الوحدات العسكرية، ونقل البيانات الاستخباراتية، وتصحيح نيران المدفعية.

يشار إلى أن «ستارلينك» هو مشروع إنترنت فضائي طموح من شركة سبيس إكس المملوكة للملياردير الأمريكي إيلون ماسك، ويهدف لتوفير إنترنت عالي السرعة ومنخفض الاستجابة عالمياً، خاصة للمناطق النائية وغير المغطاة، عبر شبكة ضخمة من آلاف الأقمار الاصطناعية الصغيرة في مدار أرضي منخفض.

أما أبرز استخدامات ومميزات ستارلينك، فتتلخص في أنه إنترنت عالي السرعة، حيث إنه يوفر سرعات تحميل تتجاوز 200 ميغابت في الثانية، ومناسب للبث، والألعاب، والعمل عن بعد، كما إنه يتوفر في مناطق نائية وعالية، حيث إنه مثالي للمناطق الريفية، الصحاري، البحار، والطائرات التي يصعب وصول الكابلات الأرضية إليها.

كما توفر مجموعة «ستارلينك ميني» المدمجة إنترنت متنقل يمكن حمله في حقيبة الظهر، وهو مصمم لتحمل الرياح، الأمطار، والجليد.

وتتكون الخدمة من آلاف الأقمار الاصطناعية التي تدور قريباً من الأرض، حيث يستقبل طبق (صحن) صغير لدى المستخدم الإشارة مباشرة من الفضاء، مما يقلل زمن الاستجابة مقارنة بالأقمار التقليدية، وتتوفر الخدمة حالياً في العديد من الدول العربية، مثل اليمن، عُمان، قطر، البحرين، والأردن.

سلسلة زلازل قرب أعمق نقطة في المحيط الأطلسي... ومخاوف من تسونامي

لندن ـ «القدس العربي»:

تم رصد عشرات الزلازل قرب أعمق نقطة في المحيط الأطلسي، ما أثار مخاوف بشأن المخاطر الزلزالية في منطقة قادرة على إحداث زلازل قوية.

وضرب ما لا يقل عن 50 زلزالاً منطقة خندق بورتوريكو شمال جزر العذراء منذ الأول من نيسان/أبريل الحالي. كما سُجل زلزال بقوة 5.0 درجات في 31 اذار/مارس، قبيل بدء سلسلة الزلازل الأخيرة.

وقال تقرير نشرته جريدة «دايلي ميل» البريطانية، واطلعت عليه «القدس العربي»، إن قوة الزلازل تراوحت بين 1.6 و4.3 درجات، لكن معظمها كان بين 3.0 و3.4 درجات.

ويمتد خندق بورتوريكو، الواقع على بعد حوالي 120 كيلومتراً شمال بورتوريكو عند حدود صفيحتي الكاريبي وأمريكا الشمالية، لأكثر من 800 كيلومتر، ويبلغ عمق أعمق نقطة فيه، المعروفة باسم «ميلووكي ديب»، أكثر من 8600 متر تحت مستوى سطح البحر.

وأجرى العلماء دراسات مُوسّعة لتقييم مخاطر التسونامي على طول ساحل المحيط الأطلسي للولايات المتحدة، باستخدام مئات سيناريوهات الزلازل المُحاكاة لتحديد أخطر المصادر المُحتملة.

وتُشير النماذج الحاسوبية إلى أن الزلازل القوية للغاية في الخندق، والتي تتراوح قوتها بين 8.6 و8.9 درجة، يُمكن أن تُولّد أمواج تسونامي يصل ارتفاعها إلى ما بين 11 و16 قدمًا في فرجينيا بيتش، بولاية فرجينيا.

كما أشار المراقبون إلى ما يبدو أنه مجموعتان مُنفصلتان من النشاط الزلزالي تتشكلان على طول نظام الخندق.

وقد لفت هذا النمط غير المألوف انتباه المُختصّين برصد الأحوال الجوية في المنطقة، حيث قال الكثيرون: «قد يكون من الضروري مُراقبة هذا الأمر».

وكتب خبير الأرصاد الجوية زاك فراديلا، من قناة فوكس نيوز، على فيسبوك: «أكثر من 100 زلزال خلال الأسبوع الماضي. هل تعلم أن التسونامي مُحتمل في هذا الجزء من العالم؟ على الرغم من ندرته، إذا كنت تُخطّط لقضاء عطلة في بورتوريكو/جزر العذراء، فضع هذا الأمر في اعتبارك».

وأفاد السكان المحليون بارتفاع أمواج البحر على طول شواطئ بورتوريكو وسط موجات تسونامي.

وقال غوتشينغ لين، أستاذ علوم الأرض البحرية في كلية روزنستيل لعلوم البحار والغلاف الجوي بجامعة ميامي: «تقع بورتوريكو على حدود صفيحتي أمريكا الشمالية والكاريبي، وهي محصورة بين أربع مناطق زلزالية. هذا الوضع التكتوني المعقد والمتشعب يجعل الجزيرة منطقة نشطة زلزالياً».

ووقع الزلزال الأكثر تدميراً الذي ضرب بورتوريكو قبل أكثر من مئة عام، وهو زلزال بلغت قوته 7.3 درجة على مقياس ريختر، ضرب الجزيرة في أكتوبر/تشرين الأول عام 1918، وأدى إلى حدوث تسونامي أسفر عن مقتل 116 شخصاً.

وأضاف لين: «عادةً ما تنجم موجات التسونامي المحلية عن زلازل كبيرة بالقرب من الساحل، أي تلك التي تزيد قوتها عن 7.0 درجة على مقياس ريختر».

وتابع: «لم يتسبب هذا الزلزال في حدوث تسونامي،» من المثير للاهتمام، يُعتقد أن خندق بورتوريكو قادر على إحداث زلازل تتجاوز قوتها 8 درجات. التسونامي عبارة عن سلسلة من أمواج المحيط العاتية التي تتشكل عندما تُدفع كميات هائلة من المياه فجأة من مكانها. يحدث هذا غالباً على طول خطوط الصدع تحت الماء حيث تلتقي الصفائح التكتونية، وخاصة في الخنادق المحيطية العميقة».

وأضاف: «عندما تنزلق صفيحة تحت أخرى أثناء الزلزال، وهي عملية تُعرف باسم الاندساس، فإنها تُزيح كميات هائلة من المياه وتُسبب موجات تسونامي».

وبعد تسونامي المحيط الهندي المدمر في 26 كانون الأول/ديسمبر 2004، كثّف العلماء حول العالم جهودهم لفهم كيفية تشكل هذه الأمواج القاتلة وانتشارها بشكل أفضل.

وفي الولايات المتحدة، قاد المركز الوطني لأبحاث التسونامي، التابع لمختبر البيئة البحرية في المحيط الهادئ التابع للإدارة الوطنية للمحيطات والغلاف الجوي «NOAA»، جزءاً كبيراً من هذا العمل.

وأنشأ الباحثون محاكاة حاسوبية لتوضيح ما قد يحدث إذا ضرب زلزال بقوة 7.5 درجة خندق بورتوريكو.

ويُظهر النموذج، الذي طوّره المركز الوطني لأبحاث التسونامي التابع للإدارة الوطنية للمحيطات والغلاف الجوي «NOAA»، كيف يمكن لأمواج التسونامي أن تنتقل عبر المحيط الأطلسي وتؤثر على الساحل الشرقي للولايات المتحدة.

ويلعب شكل قاع المحيط دوراً رئيسياً في كيفية تحرك أمواج التسونامي. ويمكن للتلال والمنحدرات تحت الماء أن تُوجّه طاقة الأمواج، مُركّزةً إياها أحيانًا نحو سواحل مُحددة.

وفي هذه المحاكاة، اختار العلماء موقعاً لزلزال مُصمّماً لتوضيح مدى انتشار أمواج التسونامي على طول الساحل الشرقي، مع إيلاء اهتمام خاص لمخاطر الفيضانات المحتملة في ولاية فرجينيا.

وأظهر النموذج كيف سترتفع الأمواج وتنخفض أثناء انتقالها عبر المحيط الأطلسي.

وفي بعض المناطق، توقّع النموذج أن يرتفع مستوى الماء بأكثر من أربع بوصات تقريباً فوق مستوى سطح البحر الطبيعي، بينما انخفض في مناطق أخرى بأكثر من أربع بوصات تحت مستوياتها الطبيعية.

وكانت تحركات الأمواج الإضافية أصغر، حيث تغيّرت مستويات الماء بما يصل إلى أربع بوصات تقريبًا فوق أو تحت مستوى سطح البحر الطبيعي مع استمرار التسونامي في التحرك نحو الساحل.

«آبل» تُحذّر ملايين مستخدمي «آيفون» من هجوم إلكتروني مُعقّد لسرقة البيانات

لندن ـ «القدس العربي»:

أصدرت شركة «آبل» تحديثًا طارئًا لنظام «iOS»، وحثّت الملايين من مستخدمي هاتف «آيفون» في العالم على تحميله فورًا، وذلك لتجنب عملية اختراق معقدة من شأنها سرقة بيانات الضحايا.

ووسّعت الشركة نطاق توفر التحديثات لتشمل مجموعة أوسع من الأجهزة، مؤكدة من أن البرنامج يحتوي على حماية بالغة الأهمية ضدّ أسلوب هجوم إلكتروني يُعرف باسم «DarkSword».

وقالت آبل إن هذا التحديث يُتيح لعدد أكبر من المستخدمين الذين يعتقدون أنهم قد يكونون هدفاً لمثل هذه الهجمات، وخاصة الصحافيين والناشطين ومن يتعاملون مع معلومات حساسة، بتفعيل وضع الحماية بالهجمات الإلكترونية.

وصُمّمت حزمة استغلال «DarkSword»، التي تمّ اكتشافها لأول مرة عام 2025، لاستهداف أجهزة آبل المعرّضة للخطر وتثبيت برامج خبيثة سراً.

وقال باحثون أمنيون إن الهجوم يبدأ عندما يزور المستخدم موقعًا إلكترونيًا شرعيًا مُصابًا بما في ذلك مجموعة استخبارات التهديدات التابعة لشركة جوجل وشركة «Lookout»، عن استخدام مجموعة أدوات «Dark-Sword» في هجمات استهدفت مستخدمين في السعودية وتركيا وماليزيا وأوكرانيا منذ تموز/يوليو 2025. ووجد الفريق أن هذه الأداة تستغل العديد من نقاط الضعف الخفية في أجهزة آيفون ومتصفح سفاري.

ويسمح هذا للمهاجمين بتثبيت برامج ضارة سراً على الجهاز، مما يُذكرنا مجددًا بأهمية تحديث الهاتف باستمرار.

وفي بعض الحالات، أنشأ المهاجمون مواقع ويب أو تطبيقات مزيفة لخداع المستخدمين، مثل نسخة مُقلّدة من سناب شات، بينما في حالات أخرى، اخترقوا مواقع ويب شرعية، بما في ذلك موقع حكومي.

وبمجرد إصابة الهاتف، يستطيع المخترقون تثبيت أنواع مختلفة من برامج التجسس بحسب هدفهم.

وأحد هذه البرامج، يُسمى «جوست بليد»، مُصمم لسرقة كميات هائلة من المعلومات الشخصية.

ويشمل ذلك الرسائل النصية، وسجل المكالمات، وجهات الاتصال، والصور، ورسائل البريد الإلكتروني، وكلمات المرور، وبيانات الموقع، وسجل التصفح، وحتى الملفات المخزنة في آي كلاود. كما يمكنه الوصول إلى الرسائل من تطبيقات مثل واتساب وتليجرام. ويبحث هذا البرنامج الخبيث عن تطبيقات ومحافظ العملات الرقمية، مما يعني أنه قادر على سرقة الأصول الرقمية أو البيانات المالية الحساسة.

وأصدرت «آبل» تحديث «iOS 18.7.7» في 24 آذار/مارس 2026، لكنه كان حينها مقتصراً على عدد محدود من الأجهزة القديمة. وقامت شركة آبل، عملاق التكنولوجيا، بتوسيع نطاق التحديث ليشمل مجموعة أوسع من أجهزة آيفون وآيباد، بما في ذلك الأجهزة التي تدعم أنظمة تشغيل أحدث ولكنها لا تزال تعمل بإصدارات أقدم.

وفي بيان نُشر على موقع «WIRED»، صرّح متحدثٌ باسم شركة «آبل» بأن الشركة اتخذت هذه الخطوة غير المعتادة لتوسيع نطاق التحديث لحماية المستخدمين الذين لم يُحدّثوا أجهزتهم إلى أحدث إصدار من البرامج.

ويمكن للمستخدمين الذين لم يُفعّلوا التحديثات التلقائية تثبيت التحديث يدوياً عن طريق تحديث أجهزتهم إلى أحدث إصدار آمن من نظام «iOS 18» أو الترقية إلى «iOS 26».

ويقول باحثو الأمن السيبراني إن هذا التهديد يُسلّط الضوء على المخاوف المتزايدة من انتشار برامج التجسس المتطورة التي تستهدف أجهزة آيفون.

وقال روكي كول، المؤسس المشارك لشركة «iVerify» للأمن السيبراني: «يقوم برنامج DarkSword الخبيث بسرقة كميات هائلة من بيانات المستخدمين بصمت لمجرد زيارتهم لموقع ويب حقيقي، ولكنه مُخترق».

كما بدأت آبل بإرسال تنبيهات على شاشة القفل لبعض المستخدمين الذين يستخدمون برامج قديمة، تحثّهم على تثبيت التحديثات فوراً، فيما حذر الخبراء من أن عدم تثبيت التحديث قد يجعل الأجهزة عرضة لسرقة البيانات والمراقبة طويلة الأمد.

الديون وسقوط الإمبراطوريات... كيف يتفكك ما هو متماسك في الولايات المتحدة؟

إبراهيم نوار

يبدأ سقوط الإمبراطوريات وفشل الحكومات من الداخل، ثم تسهم عوامل خارجية في تعرية السقوط والفشل ليصبح ظاهرا للعالمين. هكذا كان حال الإمبراطورية الرومانية قبل سقوطها، والعثمانية قبل انهيارها، والإمبراطورية البريطانية قبل غروب شمسها. ويبدو أن الدور جاء على الإمبراطورية الأمريكية التي ورثت عن الإنكليز والفرنسيين الهيمنة على العالم، بعد أن خرجت أوروبا من الحرب غارقة في الديون والخراب.

وطبقا لبيانات البنك الدولي فقد سجل الدين الحكومي في الولايات المتحدة رقما قياسيا تاريخيا إذ ارتفع إلى 38.7 تريليون دولار في شباط/فبراير. وحتى نتبين كيف تضاعفت قيمة الدين الحكومي الأمريكي نذكر أن قيمته كانت 60 مليار دولار فقط في كانون الثاني/يناير 1942! وتمثل السنوات الخمس الأخيرة واحدة من أسرع فترات توسع الدين في تاريخ الولايات المتحدة. وبدأ نمو الدين الفيدرالي خلال الفترة الأخيرة كاستجابة لأزمة «كوفيد–19»، ولكنه مدفوع الآن باختلال مالي هيكلي طويل الأجل، ونفقات دفاعية غير مسبوقة، ومستوى من الفوائد المستحقة غير مسبوق تاريخيا. وإذا استمر الحال على ما هو عليه من دون تغيير فإن المسار الحالي يشير إلى حدوث المزيد من الخلل والأزمات وليس الاستقرار. بمعنى آخر فإن الولايات المتحدة قد تكون في طريقها إلى فقدان القدرة على تمويل احتياجاتها بنفسها، ما يعني زيادة أعباء الاعتماد على الخارج، ومنها فوائد الديون وتحويلات الأرباح ورؤوس الأموال. وزادت قيمة الدين الفيدرالي في السنوات الخمس الأخيرة فقط بقيمة 11 تريليون دولار. هذه الزيادة في خمس سنوات فقط تعادل إجمالي قيمة الدين الفيدرالي للولايات المتحدة في عام 2008!

ومن المفارقات التاريخية التي قد يتوقف أمامها أساتذة السياسات المالية أن الدين الفيدرالي تخطى قيمة الناتج المحلي الإجمالي في عام 2013 في الوقت الذي بلغت فيه حيازة الصين من سندات الخزانة الأمريكية ذروتها مسجلة قيمة بلغت 1.3 تريليون دولار تقريبا، بنسبة 7.8 في المئة من إجمالي الدين الفيدرالي الأمريكي. في العام نفسه بدأت الصين تنفيذ مشروعات مبادرة «الطوق والطريق» الهادفة إلى إقامة بنية أساسية عالمية تربط الصين بالعالم وتفتح للاقتصاد الصيني آفاقا واسعة للنمو. منذ ذلك التاريخ تسارع نمو الدين الأمريكي، وانخفضت قيمة حيازة الصين من سندات الخزانة. بنهاية العام الماضي كانت الصورة مختلفة تماما عما كانت عليه قبل نحو عشر سنوات، إذ تضاءل نصيب الصين في تمويل الدين الأمريكي إلى أقل من 2 في المئة، في حين تضاعفت قيمة الدين الأمريكي. هذا التطور يعني زيادة حاجة الولايات المتحدة للأموال الأجنبية في الوقت الذي اتجهت فيه الدولة صاحبة الفائض الاقتصادي الأكبر في العالم لتقليل انكشافها على الدين الفيدرالي الأمريكي. صحيح أن دولا أخرى مثل اليابان وبريطانيا زادت حصتها في تمويل الولايات المتحدة، لكن الصين اتجهت إلى سحب ما يقرب من نصف رصيدها في تمويل الخزانة الأمريكية (48 في المئة – 620 مليار دولار) ووجهته للاستثمار في أوعية أخرى أهمها الذهب. ومن المرجح أن يقود هذا السلوك الصيني مرحلة جديدة من مراحل النظام المالي العالمي تزيد فيه حاجة الولايات المتحدة للتمويل الخارجي، وتنخفض فيه مكانة الدولار، بصعود عدد من العملات الأخرى أهمها اليورو. لكن هذا الاستنتاج لا ينبغي أن يترك انطباعا بزوال أهميته، فهو قيد يبقى العملة الدولية الأولى في العالم حتى مع تراجع حجم ونوعية الاقتصاد الأمريكي. هكذا كان الحال بالنسبة للجنيه الاسترليني الذي استمر يحتل قمة النظام النقدي العالمي حتى قبيل الحرب العالمية الثانية، رغم أن الاقتصاد الأمريكي كان هو الأكبر والأسرع نموا والأكثر كفاءة في العالم منذ نهاية القرن التاسع عشر.

تخارج صيني تدريجي

بما أن الصين لا تزال تحتفظ بجزء مهم من الاحتياطي الأجنبي للبنك المركزي (بنك الشعب الصيني) في أوعية دولارية، فليس من مصلحتها أبدا هبوط قيمة الدولار هبوطا مخاجئا قويا، لأن ذلك يعرض أرصدتها الدولارية للخطر. وقد سجلت بيانات وزارة الخزانة الأمريكية في السنوات العشر الأخيرة انخفاضا منظما في قيمة حيازة الصين من سندات الخزانة. وبعد أن كانت قد بلغت ذروة بقيمة 1.3 تريليون دولار عام 2013 فإنها هبطت بنهاية العام الماضي إلى 680 مليار دولار أي ما يقرب من نصف ما كانت عليه في ذروتها بنسبة 52.3 في المئة. ونظرا لزيادة معدلات الدين الحكومي الأمريكي بمعدلات سريعة فإن نصيب الصين من هذا الدين تراجع أيضا إلى ما يعادل 2 في المئة فقط. واستندت سياسة الصين في حيازة سندات الخزانة الأمريكية، خلال السنوات الخمس الأخيرة على عدد من القواعد الأساسية من أهمها العمل على تخفيض قيمة الحيازة بشكل مستمر. هذا يعني تجنب اتخاذ أي قرارات عشوائية أو قصيرة الأجل من شأنها أن تفسد هذه القاعدة. القاعدة الثانية هي تجنب اتخاذ أي قرار بتصفية المركز المالي للصين في قائمة حيازة الدولار أو تخفيض قيمة الحيازة بقيمة ضخمة مرة واحدة. ذلك أن مثل هذا القرار يمكن أن يتسبب في خسائر للصين نفسها. كما تتجنب السياسة المالية الصينية اتخاذ قرارات قد تبدو عدائية للولايات المتحدة و أصولها

الاقتصادية والمالية، بل إنها على العكس من ذلك تحاول بناء جسور للتعاون المشترك على أسس النفع المتبادل وتعظيم المزايا التي يمكن أن يحصل عليها كل من الطرفين. ومع ذلك فإن نتائج هذه السياسة لا تخفي حقيقة أن الصين تقلل حيازتها في تمويل الخزانة الأمريكية بمقدار النصف تقريبا خلال السنوات العشر الأخيرة، وذلك في الوقت الذي تضاعفت فيه حاجة الولايات المتحدة إلى التمويل مع تفاقم عجز الميزانية، وتراكم الدين الفيدرالي الذي قفز من 70 في المئة من الناتج المحلي الإجمالي قبل الأزمة المالية عام 2008 إلى ما يتراوح بين 120 – 125 في المئة في الوقت الحاضر.

وعلى العكس من الولايات المتحدة فإن الوضع المالي والاقتصادي في الصين يبدو على النقيض، بسبب انخفاض عجز الميزانية وضآلة حجم الدين الحكومي والفائض التجاري الضخم الذي تحققه الصين سنويا مع أقاليم وبلدان العالم المختلفة. ومع أن خبراء الاقتصاد الغربيين يقللون من شان الملامح الإيجابية للسياسة المالية الصينية، بزعم أن النظام الصيني يُخفي جزءًا من ديون الحكومة المركزية في ميزانيات الحكومات المحلية والكيانات المرتبطة بالدولة. ومع ذلك، فإنه من الممكن عقد مقارنة تظهر مواضع القوة والضعف الحقيقية في اقتصاد كل من البلدين اعتمادا على البيانات الرسمية. بالنسبة للصين تشير البيانات الرسمية إلى أن إجمالي دين الحكومة المركزية للسنة المالية الأخيرة يتراوح بين 4 – 5 تريليونات دولار أمريكي، بما يعادل 25 – 30 في المئة من الناتج المحلي الإجمالي. ولا تتضمن هذه الأرقام ديون الحكومات المحلية الصينية. وإذا عقدنا مقارنة مع الولايات المتحدة فإن قيمة الديون الأمريكية تعادل ما يصل إلى ثمانية أمثال ديون الحكومة المركزية الصينية، في حين أن نسبتها من الناتج تعادل حوالي أربعة أمثال النسبة في الصين. وفيما يتعلق بالعجز المالي السنوي (عجز الميزانية)، فإن بيانات الحكومة المركزية الصينية تشير إلى قيمة تبلغ 3 – 4 في المئة من الناتج المحلي الإجمالي مقارنة بنسبة تصل إلى 8 في المئة في الولايات المتحدة. وتعود ضخامة العجز المالي للولايات المتحدة إلى الخلل الهيكلي في بنية الاقتصاد والزيادة المستمرة في قيمة كل من الإنفاق الاجتماعي والإنفاق الحربي. لكن المحرك الأهم الأكثر تأثيرا في رفع قيمة العجز يتمثل في مدفوعات الفائدة على الدين الفيدرالي التي تقدر هذا العام بما قد يتجاوز تريليون دولار، يذهب ما يتراوح بين ربعها وثلثها إلى المستثمرين الأجانب حائزي السندات الحكومية والفائض التجاري الضخم الذي تحققه الصين سنويا مع العالم ومن بينه الاتحاد الأوروبي والبنوك التجارية وشركات التمويل وصناديق الاستثمار، على ما يتراوح بين ثلاثة أرباع إلى ثلثي قيمة الفوائد التي تدفعها الحكومة الفيدرالية للدائنين. ولا شك أن وصول قيمة الفوائد على الدين إلى هذا المستوى أصبح يلعب دورا كبيرا في تحديد قيمة العجز. نحن نتكلم هنا عن فوائد تبلغ تريليون دولار من أصل عجز مالي يقدر بحوالي 2 مليار دولار. ومع زيادة الاقتراض الحكومي لتمويل مدفوعات الدين فإن الحكومة الأمريكية تفقد القدرة عاما بعد عام على تقليص العجز المالي، خصوصا مع التوسع في الإنفاق الدفاعي. في الوقت الحاضر أيا خصمنا قيمة مدفوعات الفوائد والإنفاق الحربي، فإن الميزانية الأمريكية تصل إلى وضع التوازن. لكن مدفوعات الفوائد تمثل مستحقات عن تمويل سابق، بينما النفقات الحربية تمثل استجابة لطموحات مستقبلية باستمرار الهيمنة على العالم. ومن ثم فإن الإمبراطورية التي تعتقد انها تحتكر القوة في العالم تجد نفسها في معضلة صعبة بين تكلفة الهيمنة وعدم القدرة على تمويلها.

لمن تذهب مدفوعات فوائد الدين؟

يكشف تشريح هيكل توزيع مدفوعات عوائد الدين الفيدرالي الأمريكي عن اختلاف هيكلي شديد مقارنة بالوضع في الصين، حيث أن تمويل عجز الميزانية يتم بواسطة مؤسسات حكومية أو شبه حكومية، حيث يتم تدوير مدفوعات الفوائد. في الولايات المتحدة يحصل المستثمرون الأجانب سنويا على ما يقرب من ثلث مدفوعات الفوائد بقيمة تبلغ حاليا حوالي 300 مليار دولار. هذا المبلغ يتم في أغلب الأحوال تحويله للخارج بدلا من استثماره في الداخل، ما يزيد من التأثير السلبي لزيادة عجز الميزان الجاري. بينما في الصين تحصل بنوك محلية ومؤسسات تمويل حكومية عليها حيث يعاد استثمارها داخليا، ما يسهم في زيادة معدل النمو الاقتصادي والتوسع في الاستثمارات. ولا شك في أن نمط تمويل الدين الفيدرالي الأمريكي يوفر مرونة أكبر وتعزيزا لمركز الدولار عالميا. ولا تتحمل الولايات المتحدة تكلفة إضافية لسداد أعباء الديون، على العكس من الصين في حالة ما إذا توجهت لتمويل ديون الحكومة المركزية بعملات أجنبية. وعلى الرغم من تعافي الاقتصاد الأمريكي فإن معدل الزيادة السنوية في قيمة الديون يتجاوز معدل النمو الاقتصادي، ما يضغط على الإنفاق الاستهلاكي والاستثماري إلى أسفل. كما يؤدي ذلك إلى أن يتضاعف الدين الأمريكي بمعدلات أسرع من قدرة الاقتصاد على إنتاج السلع والخدمات، مما يجعل كلفة خدمة الدين الفائدة، تشكل ضغطاً متزايداً على الموازنة الفيدرالية، خصوصا إذا تباطأ نمو الإيرادات الضريبية.

العلاقة بين الدين الفيدرالي والإنفاق الحربي

يبلغ نصيب الإنفاق الحربي نسبة تتراوح بين 10 إلى 15 في المئة من العجز السنوي للميزانية العامة للولايات المتحدة. ويملك لوبي شركات السلاح، التي تحصل على جزء كبير من الإنفاق العسكري، نفوذا ضخما بين أعضاء الكونغرس الأمريكي الذي يقرر الأرقام النهائية لمخصصات الميزانية. ومع أن هناك ارتباطا واضحا بين زيادة الإنفاق العسكري وزيادة الدين الفيدرالي، إلا أن هذا الارتباط ليس قويا إلى الدرجة التي تدعو للقول بأنه المحرك الأول الذي يفسر الارتفاع الكبير في الدين الفيدرالي. خلال السنوات الخمس الأخيرة حقق الإنفاق العسكري زيادة بنسبة تبلغ 20 في المئة، في حين أن الزيادة الكلية في الدين بلغت 40 في المئة، أي ضعف نسبة الزيادة في الإنفاق العسكري. ولعب تورط الولايات المتحدة في الحروب التي انفجرت في أوكرانيا وغزة وإيران دورا مهما في تضخم قيمة الإنفاق العسكري للولايات المتحدة. ومع ذلك فإن إعادة ملء مخازن الأسلحة والذخيرة وتطوير أسلحة جديدة بعد الحروب التي شاركت فيها الولايات المتحدة في السنوات الأخيرة من المحتمل أن يؤدي إلى زيادة هائلة في قيمة الإنفاق الدفاعي للولايات المتحدة في السنة المالية الجديدة 2026/2027. الرئيس الأمريكي طلب ميزانية دفاعية بقيمة 1.5 تريليون دولار للعام المقبل، بزيادة 50 في المئة وهو ما يمكن أن يقذف الدين الفيدرالي الأمريكي خارج حدود الـ40 تريليون دولار. رئيس مجلس الاحتياطي الفيدرالي جيروم باول اعترف بصراحة بأن الدين «غير مستدام» بمعنى أن الولايات المتحدة قد تجد نفسها عاجزة عن إدارته، ما يسهم في تفكيك ما بقي منها متماسكا في الحاضر أو المستقبل العالي التي تشهد انتقال محاور القوة من الغرب إلى الشرق.

ضعف شديد في نسبة وصول السكان للطاقة وضآلة حصة القارة الأفريقية في سلم الإنتاجات الكهربائية العالمية

نواكشوط – «القدس العربي»: عبد الله مولود

لا تزال حصة القارة الأفريقية هامشية على مستوى القدرات الإنتاجية الكهربائية العالمية، كما لا يزال الوصول إلى الكهرباء محدودًا بالنسبة لجزء كبير من سكانها، رغم ما تزخر به القارة من إمكانات استثنائية في مجال الطاقات المتجددة.

فبحلول عام 2025، بلغت القدرة العالمية المركبة في مجال الطاقات المتجددة نحو 5149 غيغاواط، وفق بيانات الوكالة الدولية للطاقة المتجددة الصادرة في 31 آذار/مارس 2026؛ غير أن أفريقيا لا تستحوذ سوى على حوالي 82 غيغاواط، أي ما يقارب 1.6 في المئة من الإجمالي العالمي، رغم أنها تضم نحو 18 في المئة من سكان العالم.

وفي السياق ذاته، لا تتجاوز مساهمة القارة في إنتاج الكهرباء عالميًا ما يقرب من 3 في المئة، بحسب بيانات الوكالة الدولية للطاقة لعام 2023.

ويزداد هذا التباين حدة بالنظر إلى ما تمتلكه أفريقيا من أحد أكبر الاحتياطيات العالمية للطاقات المتجددة؛ إذ تتمتع بمعدلات إشعاع شمسي مرتفعة، إلى جانب موارد ريحية وحرارية أرضية لا تزال غير مستغلة إلى حد بعيد، في وقت لا يزال فيه نحو 600 مليون شخص محرومين من الوصول إلى الكهرباء، وفق تقديرات متعددة من بينها البنك الدولي.

وليس هذا التناقض بين وفرة الموارد وضعف الاستغلال، أمرا جديدًا، بل يعيد إلى الأذهان ما يُعرف في الأدبيات الاقتصادية بـ«مفارقة الوفرة»، التي طالما ارتبطت بقطاعات النفط والمعادن.

واليوم، يُطرح التساؤل ذاته في سياق الانتقال الطاقوي العالمي: هل ستسلك الطاقات المتجددة في أفريقيا مسارًا مختلفًا؟

إمكانات ضخمة... واستغلال محدود

وحسب تقرير «تحليل سوق الطاقات المتجددة في أفريقيا وأقاليمها الفرعية» الصادر سنة 2022 عن الوكالة الدولية للطاقة المتجددة، يُقدّر الإمكان التقني للطاقة الشمسية الكهروضوئية في القارة الأفريقية بنحو 7900 غيغاواط، مقابل 461 غيغاواط للطاقة الريحية. كما تتجاوز معدلات الإشعاع الشمسي في مناطق واسعة من شمال وغرب وجنوب القارة 2100 كيلوواط/ساعة لكل متر مربع سنويًا، بينما تصل سرعات الرياح في بعض المناطق إلى متوسط 7 أمتار في الثانية؛ ويُضاف إلى ذلك إمكان حراري أرضي يُقدّر بحوالي 15 غيغاواط في صدع شرق أفريقيا.

ورغم هذه المؤهلات، تظل القدرات المركبة محدودة؛ إذ بلغت في 2025 نحو 22 غيغاواط للطاقة الشمسية و11 غيغاواط للطاقة الريحية، أي أقل من 0.3 في المئة من الإمكان الشمسي وحوالي 2.4 في المئة من الإمكان الريحي؛ كما لم تتجاوز حصة أفريقيا 1 في المئة من إجمالي القدرات الشمسية العالمية (2392 غيغاواط) ولا من القدرات الريحية 1291 غيغاواط؛ وبشكل إجمالي، لا تمثل القدرات المتجددة في القارة سوى 1.6 في المئة من الإجمالي العالمي.

وينعكس هذا الضعف على الإنتاج؛ إذ لم يتجاوز إنتاج أفريقيا من الكهرباء في 2023 نحو 916.581 غيغاواط/ساعة، أي حوالي 3 في المئة من الإنتاج العالمي، مع تركز كبير في ثلاث دول هي جنوب أفريقيا ومصر والجزائر، التي تمثل مجتمعة نحو 59 في المئة من الإجمالي.

كما لم تتجاوز مساهمة الطاقة الشمسية والريحية والحرارية الأرضية 5.8 في المئة من إنتاج الكهرباء في القارة، مقابل 13.4 في المئة عالميًا، ما يعكس فجوة مستمرة بين الإمكانات المتاحة والتحويل الفعلي إلى قدرات إنتاجية.

معضلة التمويل: العائق البنيوي

ويظل ضعف التمويل أحد أبرز العوائق أمام تطوير الطاقات المتجددة في أفريقيا. ففي عام 2024، لم تستقطب أفريقيا جنوب الصحراء سوى 2.3 في المئة من الاستثمارات العالمية في هذا القطاع، وفق تقرير «مشهد تمويل انتقال الطاقة العالمي 2025» الصادر عن الوكالة الدولية للطاقة المتجددة.

ورغم ارتفاع الاستثمارات إلى نحو 18 مليار دولار في 2024 مقارنة بمتوسط 14 مليارًا خلال 2022–2023، فإن هذه الأرقام تبقى دون مستوى الاحتياجات؛ إذ تشير تقديرات الوكالة الدولية للطاقة إلى ضرورة استثمار نحو 15 مليار دولار سنويًا لتحقيق الولوج الشامل إلى الكهرباء بحلول 2035، مع اعتماد كبير على الطاقات المتجددة.

كما تتسم هذه الاستثمارات بتركيز جغرافي واضح، حيث تستفيد منها أساسًا أسواق مثل جنوب أفريقيا ومصر، التي تمتلك أطرًا تنظيمية أكثر استقرارًا وأنظمة كهربائية أكثر تطورًا، في حين تُصنّف مشاريع باقي الدول على أنها أكثر مخاطرة، خاصة تلك المرتبطة بالحلول اللامركزية الضرورية للمناطق الريفية.

المسارات والتحولات

وتتباين نماذج تطوير الطاقات المتجددة داخل القارة؛ ففي الدول ذات البنية التحتية المتقدمة نسبيًا، مثل جنوب أفريقيا ومصر والجزائر، يجري إدماج الطاقات المتجددة تدريجيًا ضمن أنظمة قائمة تعتمد أساسًا على الفحم أو الغاز، مع إدخال تقنيات التخزين.

في المقابل، تعتمد دول أفريقيا جنوب الصحراء على مشاريع صغيرة وحلول لامركزية، مدعومة غالبًا بمبادرات دولية، مثل مبادرة «Mission 300»، التي تهدف إلى توسيع الوصول إلى الكهرباء عبر حشد التمويلات وتعزيز الاستثمار الخاص.

وتعكس هذه التباينات مشهدًا طاقويًا مجزءًا، يجمع بين أنظمة ناضجة نسبيًا تتركز فيها القدرات، وأسواق ناشئة تواجه احتياجات ضخمة، كما هو الحال في جمهورية الكونغو الديمقراطية، حيث لا يتجاوز معدل الولوج إلى الكهرباء 21 في المئة رغم عدد السكان الذي يفوق 100 مليون نسمة.

انتقال طاقوي موجّه نحو التصدير

وبدأ في عدد من الدول، تطوير الطاقات المتجددة يأخذ منحى تصديريًا، خاصة عبر مشاريع الهيدروجين الأخضر؛ ففي موريتانيا، تبرز مشاريع كبرى مثل «نور» و«أمان» و«ميغاطون مون»، التي تستهدف إنتاج الهيدروجين والأمونيا للتصدير، رغم أن القدرة الكهربائية الحالية لا تتجاوز 615 ميغاواط، مع معدل نفاذ للكهرباء يقارب 55 في المئة.

كما تعمل مصر على تطوير مشاريع مماثلة وتدرس تصدير الكهرباء إلى أوروبا، بينما تدرس تونس مشاريع ربط كهربائي عابر للمتوسط. وتتميز هذه المشاريع بضخامتها، إذ تتجاوز بكثير احتياجات الأسواق المحلية، وتركّز على خيارات استراتيجية ستكون حاسمة.

وفي ظل التوترات الجيوسياسية العالمية الراهنة، تعود مسألة أمن الطاقة إلى الواجهة، كعامل حاسم في استقرار الاقتصادات، خاصة في القارة الأفريقية التي تبقى عرضة بشكل كبير للصدمات الخارجية.

ففي موريتانيا، شهدت أسعار الوقود مؤخرًا زيادات ملحوظة، حيث ارتفع سعر الديزل والبنزين بنحو 10 في المئة و15 في المئة على التوالي، فيما تجاوزت الزيادة في الغاز المنزلي 60 في المئة.

وتُعزى هذه الارتفاعات، بحسب السلطات، إلى تداعيات التوترات في الشرق الأوسط، خصوصًا اضطرابات الإمدادات المرتبطة بإغلاق مضيق هرمز.

ولا تقتصر هذه التأثيرات على موريتانيا؛ إذ تشير تقارير اقتصادية إلى أن أسعار الوقود قد تضاعفت في الصومال، بينما يُتوقع ارتفاع تكلفة الديزل بنسبة لا تقل عن 50 في المئة في جنوب أفريقيا؛ أما في كينيا، فقد لجأت الحكومة إلى إجراءات ضريبية للتخفيف من حدة الأسعار، في وقت تشهد فيه بعض محطات الوقود اضطرابات في التزود.

وتعكس هذه التطورات هشاشة المنظومات الطاقوية الأفريقية واعتمادها الكبير على الأسواق الخارجية، ما يعزز الحاجة إلى تسريع الاستثمار في الموارد المحلية، وعلى رأسها الطاقات المتجددة، باعتبارها ركيزة لتحقيق السيادة الطاقوية.

فرصة تاريخية ومخاطر

وتُبرز المعطيات الحالية أن أفريقيا تقف أمام مفترق طرق حاسم في مسارها الطاقوي: فمن جهة، تمتلك القارة فرصة تاريخية للاستفادة من مواردها المتجددة الهائلة، ليس فقط لتوسيع الولوج إلى الكهرباء، بل أيضًا لبناء نموذج تنموي أكثر استدامة واستقلالية.

ومن جهة أخرى، تطرح التوجهات الحالية، خاصة تلك المرتبطة بتطوير مشاريع ضخمة موجّهة للتصدير، مخاطر إعادة إنتاج أنماط غير متوازنة، شبيهة بما شهدته القارة في قطاعات الموارد الطبيعية التقليدية، حيث تُستغل الثروات دون أن تنعكس بشكل كافٍ على التنمية المحلية.

وعليه، فإن الرهان الحقيقي لا يكمن فقط في حجم الموارد أو المشاريع المعلنة، بل في طبيعة الخيارات الاستراتيجية التي ستُتخذ:

فهل سيتم توجيه الطاقات المتجددة أولًا لخدمة الحاجيات الداخلية وتعزيز العدالة الطاقوية؛ أم ستتحول إلى مورد تصديري جديد يعمّق الفجوة بين الإمكانات والواقع؟

وفي هذا السياق، تبدو قدرة الدول الأفريقية على تحقيق توازن بين متطلبات السوق الدولية واحتياجاتها التنموية الداخلية عاملا حاسمًا في تحديد ما إذا كانت القارة ستنجح في كسر «مفارقة الوفرة»، أو ستعيد إنتاجها بصيغة جديدة تحت عنوان «الانتقال الطاقوي».

مدن وآثار

فكيك المغربية:
واحة الحضارة التي تحدّت الصحراء بعبقرية الماء

الرباط ـ «القدس العربي»:
عبد العزيز بنعبو

تتعدد ألقاب مدينة فكيك (فجيج) التي يصفها عشاق الأصالة بـ «المتحف المفتوح». بين ألقاب التصقت بها على الصعيد الشعبي المحلي، وبين تلك التي نالتها لعراقتها التاريخية، وأخرى ارتبطت بالسياحة والإعلام. ففي واحة الحضارة، وعاصمة النخيل، ومدينة السبعة قصور (قصور بمعنى قلاع)، وأخيرًا كتتويج لتألقها تلقب بـ«بلد العلم والعلماء».

هذه المدينة الواقعة في أقصى الجنوب الشرقي للمملكة المغربية، على تخوم الحدود مع الجزائر، تمتد كواحة خضراء وسط فضاء صحراوي قاس، توثق لعلاقة الإنسان بالمجال الطبيعي عبر قرون طويلة.

ما معنى اسم هذه المدينة؟ وهل الكلمة عربية أم أمازيغية؟ وما هو النطق السليم؟ بلدية المدينة توضح على موقعها أنه «اعتمادا على النصوص التي تضمنتها المصنفات والإشارات التاريخية، فالرسم الحرفي للاسم ظهر بعدة صيغ وهي: فجيج وفكيك وحتى فقيق، بالإضافة إلى النطق المحلي الأمازيغي والمتداول بين السكان بقوة، ولكنه لم يرد في النصوص والكتابات التاريخية والأدبية وهو لفظ إيفيي. ويبقى الاسم المناسب والمتداول هو فجيج، والذي يحمل الدلالة الجغرافية للفجاج، والأفاجيج والانفراجات التي تخترق الواحة في كل الجهات مثل فج المليأس».

نقوش صخرية ما قبل التاريخ

يبقى المثير في فكيك أنها ليست مجرد تجمع سكاني، بل هي متحف مفتوح، حيث تعود جذور الاستقرار البشري فيها إلى عصور ما قبل التاريخ. ولعل تلك النقوش الصخرية المنتشرة في محيطها خير شاهد على ذلك، إذ تظهر فيها رسوم لحيوانات تعود لآلاف السنين، تؤكد وجود حياة منظمة منذ فترات تاريخية قديمة.

لم يكن الاستقرار في فكيك مجرد تحدّ للظروف المناخية الصحراوية، بل كان بمثابة استقراء للمستقبل من طرف السكان الأوائل من مغاربة الجنوب الشرقي. فقد تحولت، بعد دخول الإسلام، إلى مركز حيوي على طرق التجارة الصحراوية، ولعبت دورا محوريا كحلقة وصل بين سجلماسة وتلمسان. وصارت محطة أساسية للقوافل التجارية وقوافل الحجاج القادمة من عمق إفريقيا في طريقها نحو الشمال.

التاريخ في فكيك عبارة عن كتاب ضخم صفحاته كثيرة، وتسهب الموسوعات في ذكر التفاصيل منذ ما قبل الميلاد إلى دخول الإسلام لبلاد المغرب. وتتحدث عن سكانها الأوائل الذين عاشوا فيها من قبائل الأمازيغ زناتة وصنهاجة، وتبعهم بعد ذلك الأدارسة في القرن الرابع الهجري، الذين استقروا على منابع العيون ومجاري المياه، وشيدوا القصور (القلاع) والمداشر (تجمعات سكانية في الأرياف) والزوايا العلمية لتنمية الزراعة ونشر الثقافة.

تلك كانت بداية توسعها السكاني، لتشهد في القرون اللاحقة، خصوصا بين القرنين السادس والسابع الهجريين، انتشار قبائل عربية من «بني عامر»، فتأسست عدة قصور ومداشر في مناطق مثل الدفيلية والاعوج والنخيلة وفندي وبويعلا ووادي الحلوف. وفي عهد السلطان الموحدي السعيد بن المأمون، استقر عرب بنو جابر في المدينة لتأمين السلطة المخزنية، واتخذوا من منابع عين تزادرت (أغرم انتيت) موقعا لقصرهم. وفي القرن الثامن الهجري، حلّ الولي الصالح سيدي أحمد بن موسى البرزوزي في فكيك، ووضع النواة الأولى لقصر المعيز، الذي عرف في النصوص التاريخية باسم الزاوية العلمية أو دار العدة، حيث اكتسب شهرة واسعة كمركز للعلم والدين.

أما بالنسبة للتاريخ الحديث، فهي شاهدة على «حرب الرمال» بين المغرب والجزائر سنة 1963، وهو صراع مسلح اندلع بسبب المشكلات الحدودية بين البلدين الناتجة عن مخلفات فترة الاستعمار الفرنسي.

وقبل ذلك وتحديدا في سنة 1903 تعرضت صومعة المسجد الكبير للمدينة الواقع بزنافة للقصف من طرف القوات الفرنسية، وذلك ردا على ما كان أهل فكيك يقدمونه من دعم للمقاومة الجزائرية لطرد المستعمر الفرنسي بمنطقة بني ونيف، وفق مصادر إعلامية.

مدينة السبعة قصور

من دون معرفة سابقة بهذا اللقب، لا يمكن للزائر لمدينة فكيك إلا أن يكتشف أنها فعلا مدينة السبعة قصور، حيث تمتزج هندسة الطين مع روح الجماعة. تلك القصور التاريخية ليست قصورا ملكية، بل هي تسمية يطلقها سكان صحراء تافيلالت في الجنوب الشرقي للمغرب على الأحياء السكنية المحصنة، حيث تبني كل قبيلة قصرها الذي يمثل تجمعا مستقلا له تنظيمه الاجتماعي والاقتصادي.

وهذه القصور السبعة هي قصر المعيز وقصر زناقة وقصر الوداغير وقصر أولاد سليمان وقصر الحمام التحتاني وقصر العبيدات وقصر الحمام الفوقاني، ويعتبر قصر زناقة أكبرها.

ولم يكن الحديث عن هندسة الطين من قبيل الوصف البلاغي، بل لأن تلك القصور تعتمد البناء الطيني التقليدي باستخدام التراب المدكوك وجذوع النخيل، وتحتوي على ممرات مغطاة. كما تشكل هذه القصور، إضافة إلى الجانب العمراني، نموذجا للتنظيم الاجتماعي التقليدي القائم على التضامن والتكافل.

ولا تتوقف الدهشة عند القصور، بل تمتد إلى المعالم الدينية والعلمية والجانب الروحي. ولمدينة فكيك نصيب وافر من المآثر العمرانية والدينية، أبرزها الصومعة الحجرية بقصر لوداغير التي تتميز بشكل نادر في العمارة المغربية التقليدية، ويعود تاريخ تأسيسها إلى القرن الخامس الهجري، يصل علوها إلى ارتفاع 19 مترا، مع قاعدة مربعة تتحول إلى مثمن عند الارتفاع. كما تحافظ المساجد العتيقة على نقوش خشبية بسيطة وجمالية التصميم التقليدي باستخدام المواد المحلية.

بالنسبة للجانب الروحي والصوفي، تعرف فكيك أيضا بأنها مدينة الزوايا، وقد انتشرت بها الزاوية التيجانية والزاوية الوزانية، بالإضافة إلى زوايا محلية أخرى، لم تكن مجرد أماكن للذكر، بل كانت مدارس للعلوم الشرعية والأدب والقضاء. لذلك لا غرابة في أن مجتمعها يوصف بـ«العالم»، لأنه من النادر أن تجد بيتا قديما لم يخرج منه قاض أو فقيه أو كاتب، كما يتميز أبناء المدينة بالارتباط بالقيم الأخلاقية، وكل ذلك بسبب هذا الإرث الصوفي.

عبقرية الماء

لأن الماء هو الحياة، فقد ابتكر سكان فكيك نظاما عبقريا لتوزيع المياه، يعرف بنظام «الخطارات»، وتبدو هي سر استمرار الواحة لأنها عبارة عن قنوات مائية تحت أرضية تمتد لمسافات طويلة، تنقل مياه العيون الجوفية إلى الحقول، ما يحميها من التبخر ويضمن وصولها لجميع القرى.

إلى جانب ذلك نجد ساعة القدوس، وهي عبارة عن إناء مثقوب يوضع في حوض مائي، ويحدد زمن السقي بدقة، وذلك في سياق قوانين تخضع للتقاليد والأعراف، ويشرف عليها أمين الماء لضمان العدالة ومنع النزاعات بين المزارعين.

هذه الواحة، التي تعد قلب الحياة الاقتصادية والبيئية تمتد على مساحة واسعة من أشجار النخيل المنتجة للتمور، وهي العمود الفقري للاقتصاد المحلي، خاصة صنف عزيزة الشهير بجودته. ويعتمد المزارعون على نظام الطبقات الثلاث، حيث النخيل في الأعلى، والأشجار المثمرة في الوسط، والخضروات والحبوب في الأسفل.

وتنتج الواحة أنواعا مختلفة من التمور تنقسم حسب الجودة، فنجد النوع الأول، وهو شتلة قريبة من النخلة الأم، مثل أزيزا بو زيد، أزيزا امنزو، وبوفقوس. أما النوع الثاني، فينمو عن طريق نواة التمرة، مثل أحفيان، أدمام، بوزيري.

«الحايك» والمطبخ والسياحة الاستشفائية

لا تقتصر شهرة فكيك على الجانب التاريخي والفلاحي والقصور وعبقرية الماء، بل تمتد إلى لباس الحايك والجلابة الصوفية، كما يحتفل سكانها بمواسم «التويزة»، ذلك العمل الجماعي التطوعي لتنظيف السواقي وجني التمور.

لا تكتمل متعة ودهشة الزيارة للمدينة دون تذوق أطباق فكيك، لأن المطبخ فيها يتماهى مع الأرض. فنجد طبق الكليلة (الجبن المجفف) الذي يرافق التمور، وأكلة أوريمن الشهيرة، وهي خليط من البقوليات والقمح واللحم المجفف (القديد)، تطبخ لساعات طويلة لتمنح الدفء في ليالي الشتاء. أما الخبز، فينضج في أفران الطين التقليدية المسماة تفرنوت، ويشكل وجبة أساسية مع زيت الزيتون الصافي والعسل المحلي.

وفي قلب هذا المشهد البهير، تبرز المرأة الفكيكية (نسبة إلى فكيك) كعمود فقري، فإلى جانب الرجل الذي يعمل في الحقول، فهي التي تبرع في نسج الحايك الفكيكي الأبيض الشهير، والجلابة الصوفية، وهي التي تسير شؤون البيت، وتربي الأجيال على العلم، وتحافظ على التقاليد الشفوية والأمثال وحراسة الهوية، في ظل هجرة الرجال تاريخيا.

بالنسبة للغة المتداولة في فكيك فهي الأمازيغية الزناتية، وهي لكنة تختلف بشكل واضح عن أمازيغية الأطلس تاشلحيت أو أمازيغية الريف تاريفيت في الشمال، وهي لغة التواصل اليومي.

ومن ميزات فكيك أيضا أنها تضم كنزا طبيعيا يتمثل في منابع المياه الدافئة، خاصة في قصر الحمام. هذه المياه المعدنية التي تنبع من باطن الأرض تستعمل منذ القدم في العلاج الطبيعي لأمراض المفاصل والجلد، مما يجعلها من مدن السياحة الاستشفائية.

التحولات الحديثة

إلى جانب الأصالة والعراقة، نالت فكيك نصيبها من المعاصرة والحداثة العمرانية، وتوسعت في العقود الأخيرة بأحياء حديثة وشوارع واسعة مثل شارع محمد الخامس، إضافة إلى ساحات عامة مثل ساحة تاشرافت، التي تستضيف معارض التمور والمهرجانات. كما أسهمت استثمارات أبناء المدينة المقيمين بالخارج في بناء منازل عصرية، حافظت في الغالب على الطابع التقليدي، خاصة الزخرفة الطينية.

كما يحتفظ السوق الأسبوعي يوم الإثنين بأهميته، ويتركز النشاط التجاري في شوارع رئيسية مثل الحسن الثاني ومحمد الخامس، بينما تحتفظ القصور القديمة مثل زناقة والوداغير بأدوارها المجتمعية.

وتتوفر المدينة على كل مستلزمات الحياة المعاصرة من مؤسسات تعليمية ابتدائية وإعدادية وثانوية، ومعهد للتكنولوجيا التطبيقية لتحويل التمور. كما يوجد بها مستشفى ومستوصف، وبها أيضا دار للثقافة وعدد من دور الشباب، من بينها دار الشباب المركزية وأخرى تسمى زناقة. وتتوفر على عدة فنادق، كما أن النقل متوفر من خلال حافلات نقل المسافرين التي تربط بين وجدة وفكيك مرورا بمدينة بوعرفة، وعلى المستوى البنكي توجد بها أربع وكالات مصرفية.

جولة في المدينة

زائر مدينة فكيك يستنشق فيها هواء التاريخ ويلمس جدران الطين العتيقة، ويبدأ جولته بإطلالة من الأعلى على الواحة ويمد البصر ليعانق القصور السبعة المحاطة بأسوار من النخيل. في تلك اللحظة التأملية، لا صوت يعلو فوق حفيف السعف وخرير الماء في السواقي.

من البوابة يتجه الزائر أولا نحو قصر لوداغير، يسير في أزقته الضيقة التي تحتضنها السوابط (الممرات المغطاة). وتنتصب أمامه الصومعة الحجرية العتيدة، تلك المنارة التي ترتفع 19 مترا، شاهدة على الحضور الإسلامي العريق منذ القرن الخامس الهجري.

يصل إلى قصر المعيز ليجد نفسه أمام دار العدة التي تعتبر دار العلم، ويمر بجوار الزاوية الوزانية والزاوية التيجانية، ويتوقف عند عين تزادرت، المنبع الذي يضخ المياه الجوفية للواحة.

بالخطوات نفسها يهبط زائر المدينة نحو الجزء السفلي من الواحة، ليدخل قصر زناقة، أكبر قصور فكيك، ويشاهد تلك الساحات الرحبة. تأخذه الجولة إلى قصر الحمام بشقيه (الفوقاني والتحتاني)، ليتعم بهدية الأرض، تلك المياه الدافئة، ويعيش لحظة «استشفاء» من أوجاع الجسد في هذه المنابع المعدنية.

يغادر الزائر التاريخ، ويشرع في جولة في قلب فكيك الحديثة، حيث يسير في شارع محمد الخامس وشارع الحسن الثاني، وهما الشريانان التجاريان اللذان يربطان الأصالة بمتطلبات العصر، حيث يجد المقاهي والمحلات التي تعرض التمور المحلية الفاخرة. يصل إلى ساحة تاشرافت الفسيحة حيث تقام المهرجانات.

تعيده متعة التجوال إلى عمق التاريخ، ويصل إلى منطقة إيش، حيث النقوش الصخرية التي تعود لآلاف السنين. عند مغادرة فكيك لا شك في أن زائرها يشعر برائحة الأرض وقد ملأت رئته، أما ذاكرته فقد اختزنت مشاهد القصور والعيون والزوايا، ويمنّي النفس بعودة قريبة إليها ليعيش من جديد تجربة عظمة التاريخ وعبقرية الماء وهندسة الطين.

رياضة

انتقام وإذلال بلا رحمة في ربع نهائي دوري أبطال أوروبا!

لندن ـ «القس العربي»:
عادل منصور

أوفت مواجهات ذهاب الدور ربع النهائي لدوري أبطال أوروبا بكل الوعود، بما شاهدنا من إثارة وتنافسية ومتعة بصرية تتماشى مع هذه المرحلة لأعرق بطولات القارة العجوز، حيث كانت البداية بالقمة الكلاسيكية التي جمعت عملاق أوروبا وإسبانيا ريال مدريد بالزعيم البافاري بايرن ميونيخ على ملعب «سانتياغو بيرنابيو» وانتهت بفوز الضيوف بهدفين مقابل هدف، كاول انتصار يحققه بطل البوندسليغا في الملعب الأشهر عالميا منذ قرابة العقد من الزمان، تماما كما حدث مع أصحاب الملعب الآخر الذي يحاكي شهرة وانتشار «البيرنابيو»، والإشارة إلى القمة الإسبانية الخالصة بين برشلونة وأتلتيكو مدريد التي احتضنها ملعب «كامب نو»، وانتهت بمفاجأة من العيار الثقيل، بسقوط العملاق الكتالوني بثنائية نظيفة، في ما كانت المرة الأولى التي يتجرع فيها البارسا من مرارة الهزيمة على يد اللوتشو دييغو سيميوني في «كامب نو» منذ توليه القيادة الفنية للهنود الحمر في بداية العقد الماضي، وأيضا المرة الأولى التي يتمكن خلالها الأتلتي من تجاوز البلوغرانا بهذه النتيجة على مستوى الكأس ذات الأذنين منذ 2016، وغيرها من الأرقام القياسية والمكاسب المعنوية التي حققها الفريق العاصمي قبل استضافة لامين يامال ورفاقه على ملعب «مترو بوليتانو» بعد غد الثلاثاء لحسم بطاقة التأهل للدور نصف النهائي، وفي مباراة أقل ما يُقال عنها «من طرف واحد»، اكتفى حامل لقب البطولة باريس سان جيرمان بثنائية ديزيري دوي وكفاراتسخيليا في شباك حارس مرمى ليفربول ماماراشفيلي، في القمة الفرنسية الإنكليزية التي جرت على ملعب «حديقة الأمراء»، وكان من الممكن أن تنتهي بمهرجان أهداف، أو في أضعف التقديرات كانت ستنتهي بانتصار تاريخي لـ «بي إس جي»، لولا هذا الكم الهائل من الفرص السهلة التي أهدرها أفضل لاعب في العالم عثمان ديمبيلي ورفاقه أمام الحارس الجورجي، لتبقى حظوظ أحمر الميرسيسايد قائمة ولو بشكل ظاهري قبل أن يستضيف ملحمة الإياب على ملعبه «الأنفيلد» ووسط جماهيره، والعكس بالنسبة لمواطنه الإنكليزي آرسنال، الذي وضع قدما في الدور نصف النهائي بفضل الفوز الاقتصادي الذي حققه خارج قواعده على حساب سبورتنغ لشبونة بهدف نظيف حمل توقيع كاي هافيرتز في الوقت المحتسب بدل الضائع، والسؤال الذي يفرض نفسه في هذه الأثناء هو: هل ستكون مواجهات الإياب تحصيل حاصل؟ أم سنكون على موعد مع مفاجآت مدوية في منتصف الأسبوع؟ هذا وأكثر سنناقشه معا في موضوعنا الأسبوعي.

الانتقام البافاري

على ملعب «سانتياغو بيرنابيو»، أعاد بايرن ميونيخ إلى الأذهان سنوات تفوقه على النادي الميريني في نهاية العقد الماضي وأغلب فترات العشرية الأولى من الألفية الجديدة. صحيح عزيزي القارئ لغة الأرقام والإحصائيات تشير إلى تقارب الحظوظ والفرص المتاحة على كلا المرميين، لكن من تابع المباراة في البث المباشر، يعرف جيدا أن فريق المدرب فينسنت كومباني، كان الطرف الأفضل والأكثر انتشارا وتنظيما في أغلب الفترات، لدرجة أن البعض كان يعتقد أن المباراة تُلعب هناك في «أليانز آرينا»، وذلك بسبب هيمنة يوزوا كيمتش وألبكسندر بافلوفيتش وسيرجي غنابري على منطقة المناورات، في الوقت الذي كان يتلذذ فيه صاروخ فرنسا وأوروبا الجديد مايكل أوليسيه في بعثرة الفارو كاريراس في المواجهات المباشرة بينهما في الجهة اليمنى للفريق الألماني، راسما لنفسه صورة الجناح المهاجم المخيف الذي لا يتمنى أحد الوقوف أمامه عندما يقرر الاعتماد على الحلول الفردية، ولهذا يعول عليه المدرب البلجيكي في رسم الخطوط العريضة للغارات التي يشنها الفريق على دفاعات الخصوم، بالتعاون مع أقوى خط هجوم في القارة هذا الموسم، متمثلا في مشروع «البالون دور» (الكرة الذهبية) لعام 2026، الأمير الإنكليزي هاري كاين، الذي يثبت من مباراة لأخرى بلغة المدربين والمعلقين المصريين أنه بالفعل «قماشة مختلفة تماما» عن باقي المهاجمين وأصحاب القميص رقم (9) المتاحين في عالم الساحرة المستديرة في الوقت الحالي، مطوعا موهبته الطبيعية لخدمة المنظومة الجماعية، والدليل على ذلك المجهود الكبير الذي يبذله من خلال تحركاته الواعية في آخر 30 مترا في الملعب، منها يقوم بدوره الرئيسي، باعتباره اللاعب المحطة التي يتركز عليه الفريق سواء في لعاب الهواء مع المدافعين ولاعبي الوسط أو بتمريراته العمودية الناعمة في التحولات السريعة من الحالة الدفاعية إلى الهجومية، وهذا يفسر النقلة النوعية في مستوى الكولومبي لويس دياز، الذي تحول من مجرد جناح من النوع اللاتيني الفوضوي الذي يربك المدافعين بأسلوبه العشوائي في المراوغة إلى ما نشاهده الآن من نسخة أقل ما يُقال عنها في منتهى الحدة والشراسة أمام الشباك، وفي رواية أخرى واحدا من القلائل الذين يخطفون الأنظار في السهرات الكبرى، كما حدث في ليلة الفوز على باريس سان جيرمان بثنائيته في قمة مرحلة الدوري (9) المجمع، قبل أن يمنح فريقه الأسبقية في شباك نادي القرن الماضي والحالي في أوروبا، بهدف ماركة الكبير البافاري في حقبة كومباني، بعقوبة فورية للدفاع الأبيض الهش الذي اكتفى بمشاهدة غنابري وكاين يتبادلان الكرة في عمق الملعب، قبل أن يُرسل الدولي الألماني تمريرة حريرية للمنطلق كالسهم داخل مربع العمليات لويس دياز، الذي بدوره لم يجد أدنى صعوبة في إيداع الكرة في شباك الحارس الأوكراني أندري لونين، ليأخذ البايرن الأسبقية قبل ذهاب اللاعبين إلى غرفة خلع الملابس بين الشوطين، كأفضل دفعة معنوية تحصل عليها الفريق قبل أن يباغت المغلوب على أمره لونين بالهدف الثاني مع أول دقيقة في الحصة الثانية، بعد نزهة من أوليسيه في الجانب الأيمن، انتهت بتمريرة على حدود منطقة الجزاء للخالي من الرقابة هاري كاين، ليقابلها بتسديدة مقوسة على يمين الحارس، الذي اكتفى بشرف المحاولة لإنقاذ الكرة. في المقابل، اقتصرت محاولات أصحاب الأرض على الهجمات المعاكسة والتحولات السريعة، من خلال الرهان على دقة تمريرات أردا غولير للثنائي كيليان مبابي وفينيسيوس جونيور، وعلى الرغم من نجاح رجال الفارو أربيلوا في مهاجم المساحات الشاغرة في قلب دفاع البايرن، فقد افتقدوا في إنهاء المحاولات بالصورة المطلوبة، تارة لرعونة أحد المهاجمين في إنهاء الانفراد، مثلما فعل فيني في الشوط الثاني، بتسديد الكرة بغرابة في الشباك من الخارج، وذلك بعد مروره من نوير، وتارة أخرى لخبرة الحارس الأسطوري في غلق زوايا التسديد على مبابي في المواجهات المباشرة بينهما، إلى أن أطلق الدولي الإنكليزي الكسندر أرنولد العنان لنفسه، بانطلاقة جريئة مستوحاه من غاراته القديمة مع الريدز، أنهاها بعرضية أرضية مثالية على القائم البعيد، ليقابلها مبابي بلمسة واحدة في المرمى.

هاري كاين يسدد كرة جاء منها الهدف الثاني للبايرن في مرمى الريال

الشاهد عزيزي القارئ، أن الريال انحنى أمام غريمه الألماني، لنفس الأسباب التي أدت إلى ابتعاده عن منافسة برشلونة على صدارة الدوري الإسباني، بعدما كان يقبض على الصدارة حتى منتصف الشهر الماضي، في القلب منها ما توصف على نطاق واسع في المحيط الإعلامي الأبيض بـ«الكوارث الفردية» على مستوى الدفاع، بما في ذلك سوء تمركز ثنائي قلب الدفاع، بتلك الطريقة التي وصل بها دياز إلى منطقة الجزاء، وسبقها هدية من تياغو بيتارش، ربما لو أحسن غنابري استغلالها، لربما قد حُسمت المباراة في أول 45 دقيقة، هذا ولم نتحدث عن التدهور الواضح في مستوى القادم من البريميرليغ في الميركاتو الصيفي الأخير دين هاوسن، الذي كان يُنظر إليه في بداية الموسم على أنه العمود الفقري في خط الدفاع في مشروع المدرب السابق تشابي الونسو، لا سيما بعد ظهوره الجيد مع الفريق في كأس العالم للأندية، ثم فجأة وبدون سابق إنذار، تحول إلى نقطة الضعف الأكثر وضوحا في الفريق، وبدرجة أقل يؤخذ على الدولي الألماني أنطونيو رودريغر، الذي تجاوز فترة الذروة في مسيرته، ونفس الأمر ينطبق على الزجاجي النمساوي ديفيد ألابا، فقط المنحوس البرازيلي إيدير ميليتاو، هو الوحيد الذي يؤدي بالصورة والجودة المطلوبة من قلب الدفاع الأساسي في فريق بحجم ريال مدريد، ولعلنا لاحظنا الفارق الكبير على مستوى التمركز والانتشار بعد دخوله على حساب هاوسن في الشوط الثاني، كواحد من أسباب تحسن أداء كتيبة أربيلوا بعد تلقي صدمة الهدف الثاني، وقبل هذا وذاك، يرى الكثير من النقاد والمتابعين، أن عودة مبابي أثرت على توازن الفريق، بعبارة أخرى أكثر وضوحا، يُقال في وسائل الإعلام المدريدية وكوكب «السوشيال ميديا» إن الريال يؤدي بشكل أفضل ويحقق نتائج جيدة كلما غاب المدمر الفرنسي، وسط حالة من الإجماع على أن مشاركة النجم المغربي إبراهيم دياز رفقة فينيسيوس جونيور في الهجوم، عادة ما تأتي بنتائج إيجابية، إذ أن أسد أطلس معروف عنه تضحياته الكبيرة في أدواره الدفاعية، وتحديدا دوره في عملية الضغط المتقدم، إلى جانب أسلوبه الجماعي الذي يحافظ على توازن الريال في الثلث الثاني والثالث من الملعب، بينما الهداف التاريخي لحامل لقب دوري الأبطال، لا يُهدر طاقته في تنفيذ تعليمات المدرب في الضغط على حامل الكرة من المنافس، واضعا نفسه في إطار القطعة التي يرتكز عليها الفريق لإنهاء هجماته، أو المسؤول الأول عن اللمسة الأخيرة سواء داخل منطقة الجزاء أو خارجها، وهذا في حد ذاته، يقيد من إبداع فينيسيوس جونيور ويتسبب بشكل أو بآخر في اختفاء ذاك السحر الذي نشاهده عادة في غياب زميله الفرنسي، ولهذا بدأت تتعالى الأصوات التي تطالب الرئيس فلورنتينو بيريز بضرورة التخلي عن واحد من ثنائي الهجوم من أجل الحفاظ على توازن المجموعة، وما ساهم في ترويج هذا الطرح، معاناة هداف الفريق في الأسابيع الماضية، مكتفيا بتسجيل هدف وحيد في آخر شهرين وهو هدفه في أمسية الثلاثاء الماضي في مرمى نوير، ولو أن كل ما سبق لا يعني بالضرورة أن بايرن ميونيخ قد حسم البطاقة بنسبة 100%، والأمر لا يتعلق بلغة الشعارات التي يتسابق جمهور الريال في رفعها في هذه الأثناء، بأن فريقهم لا يعرف المستحيل في ليالي الكأس ذات الأذنين، بل أيضا في المشاكل الدفاعية الواضحة في الدفاع الألماني، متمثلة في الهفوات الغريبة التي يرتكبها أوباميكانو، على عكس صفقة الموسم على مستوى الدفاع جوناثان تاه، الذي يؤدي بصورة فاقت كل التوقعات، متقمصا دور القائد الفعلي للخط الخلفي، بما لديه من هدوء واتزان وجودة عالية في التحضير العمودي الذي يريده، وما يعطي مؤشرات بأن أمسية «آليانز آرينا» ستكون قابلة لكل الاحتمالات، ذاك الكم الهائل من الفرص والانفرادات الصريحة التي أتيحت لكلا الفريقين، والتي وصلت لنحو 40 فرصة ما بين تصويبات ومحاولات بين القائمين والعارضة، وذلك في الوقت الذي أجمع فيه القاصي والداني على البايرن استحق الانتصار والريال كان في واحدة من أتعس لياليه مع أربيلوا.

الكرة في طريقها لمعانقة شباك برشلونة معلنة الهدف الأول لأتلتيكو

سذاجة وإذلال

في اليوم التالي، توجهت أنظار الملايين نحو ملعب «كامب نو»، لمشاهدة الصدام الخامس بين برشلونة وأتلتيكو مدريد هذا الموسم، والثاني في نفس الأسبوع، بعد نجاح البلوغرانا في تحقيق الفوز بهدفين مقابل هدف في مباراة الجولة الماضية للدوري الإسباني، وكما كان متوقعا، قضى المشجع المحايد 90 دقيقة من المتعة الكروية الخالصة، متمثلة في الخيال العلمي الذي كان يقدمه فتنة هذا العصر لامين يامال، ذاك الصغير الذي يتعامل مع أعتى المدافعين في إسبانيا وأوروبا، معاملة مدرسة التربية الرياضية لأطفال الروضة في حصة الألعاب، حين تأخذه الجلالة بالمرور من الصغار كأنهم أحجار. بدون مبالغة هذا تقريبا ما كان يفعله الشاب الإسباني في دفاع الهنود الحمر، مستعيدا تلك النسخة الساحرة التي كان عليها في هذه الأيام من العام الماضي، وشاهدنا إبداعه في خلق الفرص لنفسه ورفاقه من العدم، كأن روح البرغوث ليونيل ميسي تقمصت في هذا اليامال، نفس المشاهد الملحمية، التي تذكرنا باشتباكات ليو مع نصف الفريق المنافس في الثلث الأخير من الملعب، لكنه لم يكن موفقا في اللمسة الأخيرة، ونفس الأمر ينطبق على الشريك البديل في الخط الأمامي ماركوس راشفورد، الذي أتيحت له أكثر من 3 فرص أقل ما يُقال عنها محققة بنسبة تلامس الـ100%، لكنه افتقد لتلك الحدة التي كانت تميز المصاب رافينيا، وذلك في الوقت الذي كان يحتاج فيه هانزي فليك ترجمة أنصاف الفرص إلى أهداف، لا سيما بعد تجدد كابوس الطرد في مباراة إقصائية للموسم الثالث على التوالي، فبعد انتحار أراوخو أمام باريس سان جيرمان الموسم الماضي، وكوبارسي أمام بنفيكا الموسم الماضي، أصر الأخير على تكرار نفس الجريمة الكروية الساذجة، بتدخل متهور على نجل المدرب الأرجنتيني لمنعه من انفراد صريح مع الحارس جوان غارسيا، ليتلقى البطاقة الحمراء بشكل مباشر، ومن سوء الطالع تمكن الأرجنتيني الآخر جوليان الفاريز من تسجيل هدف الأتلتي الأول من نفس المخالفة التي ارتكبها كوبارسي، بتنفيذ الركلة الثابتة على حدود منطقة الجزاء في المكان المستحيل على يسار حامي عرين أصحاب الأرض، قبل أن يتكفل ألكسندر سورلوث بتسجيل هدف الهنود الحمر الثاني، بمتابعة ولا أروع للعرضية التي أرسلت من الجهة اليسرى، وذلك بعد دقائق قليلة من مشاركته كبديل في الشوط الثاني، والشيء اللافت أن لامين يامال، لم يرفع الراية البيضاء في ما تبقى من المباراة، وكما أشرنا أعلاه، لولا غياب التوفيق عنه وعن باقي رفاقه في اللمسة الأخيرة أمام الحارس المتألق خوان موسو، لخرج البارسا ولو بهدف في شباك ضيفه العاصمي، وهذا يعني أن القمة الإسبانية قد تنقلب رأسا على عقب في إياب «مترو بوليتانو»، ولو أن هذا السيناريو سيتوقف على ردة فعل كتيبة فليك في أول 45 دقيقة، ولنا أن تخيل لو نجح راشفورد أو يامال في خطف هدف مبكر، في الغالب سنكون على موعد مع معركة كروية يصعب التنبؤ بنهايتها، استنادا إلى النتائج الغريبة بين الكبيرين في الآونة الأخيرة، على غرار انتصار الأتلتي برباعية نظيفة في ذهاب نصف نهائي كأس ملك إسبانيا، ورد البلوغرانا بثلاثية دون مقابل في إياب العاصمة، وقبل أيام من ذهاب ربع نهائي الأبطال، فاز البارسا في عقر دار غريمه بهدفين مقابل هدف، وهذا لا يقلل من فرص كتيبة الللوتشو، التي أثبتت قدرتها على مقارعة أي منافس في القارعة، خاصة بعد التوقيع مع لوكمان في الميركاتو الشتوي الأخير، ليقدم للفريق تقريبا نفس تأثير كفاراتسخيليا مع باريس سان جيرمان بعد ذهابه إلى «حديقة الأمراء» في شتاء العام الماضي، فقط يحتاج الأتلتي للمضي قدما بنفس الطريقة، منها سيثبت أنه عقدة فليك هذا الموسم بعد إقصائه من كأس الملك، ومنها ستتضاعف أطماعه المشروعة في التأهل مرة أخرى للمباراة النهائية لدوري أبطال أوروبا، على أن تصدق مع سيميوني المقولة المأثورة «الثالثة ثابتة»، بعد ضياع اللقب أمام ريال مدريد في نسختي 2014 و2016.

وعلى ملعب «حديقة الأمراء»، تعرض حامل لقب الدوري الإنكليزي الممتاز للمعنى الحرفي لكلمة «إذلال كروي»، وفي رواية أخرى عانى الأمرين أمام الحصار الباريسي، الذي كان من الممكن أن ينتهي بفضيحة كروية لولا الفرص السهلة التي أهدرها عثمان ديمبيلي، منها فرصة أقل ما يُقال عنها أسهل من ركلة الجزاء، قابلها بتسديدة طائشة بالقدم اليسرى فوق العارضة، وأخرى بيمناه ارتطمت في الألواح الخشبية، ناهيك عن الفرص التي تناوب دوي ونونو مينديز والبقية في إضاعتها بغرابة بالقرب من منطقة الست ياردات، في المقابل بدا عملاق البريميرليغ عاجزا، وتجلى ذلك في فشل أصدقاء هوغو إيكيتيكي في خلق ولو فرصة محققة على مرمى الحارس ماتفي سافونوف، استكمالا لسلسلة نتائج وعروض الفريق غير المقنعة بالنسبة للأغلبية الكاسحة من قبل مشجعي النادي، عكس التوقعات الكبيرة التي وُضعت على مشروع آرني سلوت في بداية الموسم، خاصة بعد بدايته الخارقة التي أسفرت عن تتويج الفريق بلقب البريميرليغ في أول موسم بعد مغادرة المدرب الأسطوري يورغن كلوب، في ما كانت أشبه بالمهمة المعقدة التي تخلص منها المدرب الهولندي، حيث كانت أغلب التوقعات ترجح معاناته على الأقل في أول موسم بعد رحيل المدرب الألماني، حتى أن أكثر المتفائلين لم ينتظر أكثر من ضمان أحد المقاعد المؤهلة لدوري أبطال أوروبا في الموسم الجديد، لكن إذ به يأتي باللقب الـ20 في تاريخ النادي والثاني بالمسمى الحالي للمسابقة، وهو ما دفع الإدارة لدعمه بصفقات ضخمة كبدت الخزينة ما يقرب من النصف مليار جنيه إسترليني، نظير الحصول على توقيع فريمبونغ، وإيكيتيكي، وإيزاك وباقي الأسماء التي لم يتمكن المدرب من توظيفها بالطريقة المناسبة التي تخدم المنظومة الجماعية، وما زاد الطين بلة، إصرار سلوت على رد الصاع صاعين لمحمد صلاح، في عالم مواز، سيحاول آرسنال تأمين بطاقة اللعب في نصف النهائي بأقل مجهود أمام سبورتنغ لشبونة، للحفاظ على طاقة لاعبيه في رحلة البحث عن استعادة لقب البريميرليغ الغائب عن خزائن النادي منذ عام 2004، وبالتبعية ينتظر الفائز من برشلونة وأتلتيكو مدريد وهو في أفضل حالاته الفنية والبدنية، أما المنتصر من بايرن ميونيخ وريال مدريد سيكون على موعد خارج التوقعات مع بطل موقعة «الأنفيلد».

أوليسيه... موهبة فذة ومزيج من روبن ودي بروين!

ميونيخ ـ «القدس العربي»:

يجذب جناح المنتخب الفرنسي مايكل أوليسيه مقارنات مديح، بمراوغاته غير المتوقعة، وتسديداته المقوّسة، وعمله الدؤوب في التدريبات، كمزيج من الهولندي أريين روبن والبلجيكي كيفن دي بروين، بعدما أصبح أحد مفاتيح اللعب الهجومية في بايرن ميونيخ المتعطش للألقاب.

مساء الثلاثاء الماضي، خاض أوليسيه أول كلاسيكو أوروبي في مسيرته أمام ريال مدريد، في ملعب «سانتياغو برنابيو»، في ذهاب الدور ربع النهائي لدوري أبطال أوروبا، حيث ساهم في فوز فريقه في محطة جديدة في مسار تألقه السريع مع البايرن خلال موسمين.

وقبل مغادرته البيت البافاري في ربيع 2025 بعد ربع قرن قضاه في النادي، حرص توماس مولر على طمأنة جماهير البايرن: لا، مايكل أوليسيه ليس ظاهرة موسم واحد، معبرا عن إعجابه بالثبات الذي أظهره الدولي الفرنسي في مستواه. وبعد اثني عشر شهرا، تجاوز أوليسيه بالفعل أرقامه البهرة في الموسم الماضي. ففي لقاء السبت الذي قلب فيه البايرن الطاولة على فرايبورغ (فوز 3–2 بعد التأخر 0–2 قبل عشر دقائق من نهاية الوقت الأصلي)، قدّم أوليسيه تمريرته الحاسمة الثامنة عشرة في الدوري الألماني، وأصبح على بُعد ثلاث تمريرات فقط من الرقم القياسي في موسم واحد، المسجّل باسم توماس مولر (21 في موسم 2020/2019). وفي جميع المسابقات، ومع احتساب ركلات الجزاء التي تسبّب بها، وصل رصيده إلى 28 مساهمة حاسمة، وهو الأعلى بفارق كبير في أوروبا، بزيادة خمس مساهمات عن إجمالي ما حققه في موسم 2025/2024.

وعلى عكس المنتخب الفرنسي، حيث يلعب في قلب المنظومة الهجومية، يتمركز أوليسيه على الجناح الأيمن مع البايرن، حيث يذيق المدافعين الأمرّين بمراوغاته الأنيقة وغير المتكلفة، وبكيمياء مثالية مع الظهير الأيمن النمسوي كونراد لايمر.

رفع السقف

خلال العرض الكاسح في ذهاب ثمن النهائي أمام أتالانتا الايطالي في برغامو (6–1)، كرر أوليسيه حركته المميّزة، بالاختراق نحو العمق ثم إطلاق تسديدة بقدمه اليسرى بعد خدعة أو أكثر للتسديد. وكانت النتيجة هدفين وتشابهات واضحة إلى حد كبير مع روبن. وقال المدرب البلجيكي لبايرن فنسنت كومباني: «ما يجعل مايكل مميزا إلى هذا الحد هو ذهنيته. من هذه الناحية، لا يمكنني إلا أن أقارنه بكيفن دي بروين. ما يزعج مايكل في التدريبات، أشعر وكأنني أرى كيفن صغيرا، ما يطالب به مايكل، تفاصيل تمريرته الأخيرة». وأضاف المدرب البلجيكي: «ما يفعله عند التسديد، وعندما يراوغ بالقدم اليمنى واليسرى، وطريقته في تحليل كل شيء. لديّ إحساس بأنني عشت هذا من قبل مع لاعب آخر. إنه يرفع السقف إلى أعلى مستوى في كل مرة، وهذا هو السبب في تطوره، والسبب الذي يجعله قادرا على أن يصبح أفضل».

وبفضل تألقه وحضوره في مختلف أرجاء الملعب، أصبح أوليسيه ثاني أعلى لاعب تقييما في الدوري الألماني وفق تصنيفات المجلة نصف الأسبوعية «كيكر»، في حين يبقى أكثر هدوءا بعيدا عن المستطيل الأخضر. وقال موهوب البايرن الصاعد ليناردت كارول في مقابلة مع الأسبوعية «شبورت بيلد» خلال فترة التوقف الدولي: «في غرفة الملابس، هو على النقيض تماما من الصورة التي قد يكوّنها الجمهور عنه. يطلق الكثير من النكات، ويتمتع بحس فكاهي كبير، وهو نشط جدا داخل الفريق».

وأدت عروضه إلى قفزة كبيرة في قيمته السوقية (140 مليون يورو حسب موقع «ترانسفرماركت» المتخصص، الأعلى للاعب في البايرن)، كما استقطب اهتمام أندية كبرى عدة، وهو ما يترك النادي البافاري غير مبال، في ظل ارتباط أوليسيه بعقد حتى عام 2029. وقال عضو مجلس الإشراف في بايرن كارل–هاينز رومينيغه لصحيفة «آس» الإسبانية: «إنها اشاعات تثير الضحك لدى الجميع في النادي. لا يزال أمامه ثلاثة أعوام في عقده. الناس يذهبون إلى الملعب من أجل لاعبين مثله».

ديزيري دوي... «الفتى الذهبي» لسان جيرمان نجم المواعيد الكبرى!

باريس ـ «القدس العربي»:

مرة جديدة اختار المهاجم الشاب لباريس سان جيرمان، ديزيري دوي، موعدا كبيرا لترك بصمته، بعدما كان حاضرا في جميع اللقطات الحاسمة، ليلة الأربعاء الماضي، خلال فوز فريقه على ليفربول في ذهاب ربع نهائي دوري أبطال أوروبا 2–0.

وكانت ركلة الجزاء الحاسمة التي سجلها العام الماضي (11 آذار/مارس 2025) على ملعب «أنفيلد»، في ختام مواجهة مذروحة عالية المستوى أمام «ريدز»، دفعت باريس سان جيرمان نحو لقبه الأوروبي الكبير الأول في تاريخه.

وفي سن التاسعة عشرة، لفت لاعب رين السابق أنظار عالم كرة القدم ببرودة أعصابه في تنفيذ الركلة، وباحتفاله الذي أحبط مشجعي ليفربول. ثم واصل التألق في النهائي، مسجلا ثنائية خلال تتويج الباريسيين على حساب الإنتر الإيطالي (5–0).

ومساء الأربعاء الماضي، اختار مجددا مباراة أوروبية من العيار الثقيل للبروز فيها، بعدما بدأ أساسيا بسبب غياب برادلي باركولا (28)، ثم للأرجنتيني الكيسيس ماك اليستر (31). وكان أيضا صاحب التمريرة الذكية نحو وارن زايير–إيميري في مركز المهاجم، في لقطة كادت تثمر ركلة جزاء، لكن الحكم ألغاها في نهاية المطاف بعد العودة إلى «الفار». وفي الشوط الثاني، تراجع حضور دوي بعض الشيء، وعقّد الأمور على نفسه أحيانا بالإكثار من المراوغات، تاركا الأضواء لزميله الجورجي خفيتشا كفاراتسخيليا الذي سجّل هدفا جميلا آخر (2–0، الدقيقة 65).

وبعد تسجيله ثنائية مع المنتخب الفرنسي في مرمى كولومبيا (3–1) خلال فترة التوقف الدولي، وهي أول أهدافه الدولية، يواصل ديزيريه دويه تألقه في الأسابيع الأخيرة، عقب فترة أقل إقناعا. وفي تعليقه على ذلك، قال المدرب الإسباني لويس إنريكي خلال مؤتمر صحافي، إن هناك «فترات مختلفة خلال الموسم، بين صعود وهبوط، وقد أظهر ديزيري دوي عقليته» خلال تلك الفترة الصعبة.

وبعد أن عانى من بعض التذبذب في المستوى هذا الموسم، نجح في الارتقاء راهنا إلى المستوى الذي تتطلبه المباريات الإقصائية الأوروبية، على غرار الفريق بأكمله الذي كان مثيرا للإعجاب في سيطرته مساء الأربعاء، كما فعل أمام تشلسي الإنكليزي في ثمن النهائي. وبحسب مقرّبين منه، يتميّز دوي بانضباط كبير في حياته الخاصة، وهو مهووس بكرة القدم وبجاهزيته البدنية، كما بإمكانه اللعب في عدة مراكز (وسط ميدان متقدم وجناح أو مهاجم وهمي)، ويمتلك كل ما يلزم ليكون أحد أبرز عناصر المرحلة المقبلة من موسم باريس سان جيرمان، مع تطلّعه للمشاركة كأس العالم هذا الصيف.

كيف أوصل سلوت ليفربول وصلاح إلى الهاوية؟

لندن ـ «القدس العربي»:

ضجت الصحف والمواقع الرياضية البريطانية بعد الصفعة المؤلمة التي تلقاها ليفربول في نهاية الأسبوع الماضي، بالخسارة أمام باريس سان جيرمان 0–2 في واحدة من قمم جولة الذهاب لدوري أبطال أوروبا، وحدث ذلك بعد أيام تعد على أصابع اليد الواحدة من تلك الخسارة الأخرى المهينة التي تعرض لها الفريق على يد مانشستر سيتي في ملحمة ملعب «الاتحاد»، التي حسمها فريق المدرب الكتالوني بيب غواردیولا برباعية نكراء في الدور ربع النهائي لكأس الاتحاد الإنكليزي، لتتضاعف الأصوات التي تضغط على إدارة النادي من أجل إقالة المدرب آرني سلوت أكثر من أي وقت مضى، باعتباره المسؤول الأول عن هذا التحول المفزع في أداء وشخصية الفريق، من منظومة جماعية أقل ما يُقال عنها يصعب هزيمتها خلال 90 دقيقة، إلى فريق لا يقوى حتى على تهديد مرمى حارس مرمى «بي إس جي» ولو مرة واحدة طيلة سهرة «حديقة الأمراء»، وسبقها بصم الريدز على واحدة من أتعس وأسوأ مبارياته في العصر الحديث أمام السيتيزينز، لتضاف إلى سلسلة الانتكاسات التي عانى منها حامل لقب الدوري الإنكليزي الممتاز منذ بداية الموسم وحتى وقت كتابة هذه الكلمات، والسؤال الذي يراود الكثير من عشاق ليفربول هو: كيف انهار الفريق بهذه السرعة؟ وهل يدفع سلوت الثمن إذا فشل في قلب الطاولة على أثرياء العاصمة الفرنسية في إياب ربع نهائي الأبطال؟ هذا ما سيجيب عليه التقرير الآتي.

أطلال الماضي

يرى خبير موقع «جول» العالمي مارك دويل، أن واحدة من مشاكل المدرب الهولندي مع أصحاب قلعة «الأنفيلد» هذا الموسم، هو إصراره على العيش على إطلال الماضي، من خلال وضع مباراتيه أمام باريس سان جيرمان في الدور ثمن النهائي لدوري الأبطال الموسم الماضي، كمرجع أو مثال لوجهة نظره في كيفية لعب كرة القدم، مستشهدا بما قاله بعد التعادل مع فولهام بهدفين لكل مطلع هذا العام «كرة القدم بالنسبة لي هي مباراة باريس سان جيرمان ضد ليفربول، وليفربول ضد باريس سان جيرمان، هكذا أتمنى أن تكون كل مباراة، لكنك تحتاج فريقين بمواصفات خاصة للعب مباراة مفتوحة»، ولو تذكر، تمكن الريدز من خطف الهدف بهدف في التوقيت الرائع في ذهاب «حديقة الأمراء»، ثم خسر بنفس النتيجة في إياب «الأنفيلد»، وبوجه عام، ظهر في صورة المنافس العنيد الذي قاتل على البطاقة حتى الوصول إلى ركلات الترجيح، لكن هذه المرة، بدا الفريق مستسلما أمام مضيفه الفرنسي، الذي كان باستطاعته قتل المباراة إكلينيكيا بأكثر من ثلاثة أو أربعة أهداف، لولا غياب التوفيق عن عثمان ديمبيلي وباقي أفراد عصابة اللوتشو لويس إنريكي، حتى أن المباراة صُنفت من قبل بعض النقاد والمتابعين، على أنها «مواجهة غير متكافئة»، نظرا للفجوة الهائلة التي كانت واضحة في كل شيء بين الفريقين، بداية من الجودة والفوارق الفردية بين اللاعبين، مرورا بالتنظيم الجماعي الواضح في تقارب الخطوط الثلاثة، نهاية بما قدمه كل فريق من رغبة وطموح داخل المستطيل الأخضر، والجزء الأكبر يبقى على عاتق المدرب، الذي أخفق في استغلال سخاء الإدارة الأمريكية معه، بعد ذاك الميركاتو التاريخي الذي ستتحاكى عنه الأجيال القادمة، بوصول حجم الإنفاق لنحو نصف مليار يورو في فصل الصيف الماضي.

الحلقة المفقودة

لا يُخفى على أحد أن الإدارة جلبت أسماء بحجم فلوريان فيرتز وهوغو إيكيتيكي والكسندر إيزاك وجيريمي فريمبونغ وميلوس كيركيز، لرفع مستوى جودة الفريق بعد التخلص من عدو الشباك داروين نونيز، وإنعاش الخزينة بحوالي 100 مليون يورو نظير بيع لويس دياز إلى بايرن ميونيخ، لكن على أرض الواقع، تحولت الأمنيات إلى كابوس، في ظل معاناة المدرب في عملية توظيف اللاعبين في مراكزهم، أو كما يُقال على نطاق واسع «معاناة المدرب في الوصول إلى التوليفة السحرية»، القادرة على إخراج أفضل ما لدى هذه الكتيبة، وذلك في الوقت الذي يتلذذ فيه المدرب في تحطيم معنويات الأسطورة محمد صلاح، بعناد غير مفهوم لتقليل دوره وعدم مساعدته على استعادة ولو جزء بسيط من مستواه المعهود قبل أن يشق طريقه في مكان آخر بمجرد إطلاق صافرة نهاية هذا الموسم، آخرها الموقف المحرج الذي وضع المو فيه، بإلزامه بعمل التدريبات الإحماثية 3 أو 4 مرات، وفي الأخير تركه يغالب دموعه على مقاعد البدلاء، ويضاف إلى ما سبق ازدواجية المدرب ولاعبيه في الآونة الأخيرة، على غرار ادعائه بأنه يكره الوقت الذي يهدره اللاعبون في تنفيذ الكرات الثابتة، بينما امام باريس سان جيرمان، كان الجميع يسمع صرخات لويس إنريكي، لإظهار اعتراضه على الوقت السلبي الذي كان يهدره لاعبو الريدز أثناء تنفيذ الركنيات والكرات الثابتة. وقبلها بأيام قليلة، أصاب عشاق النادي بكل أنواع الذهول، بادعاء آخر بأنه على قناعة تامة بأن فريقه ما زال قادرا على منافسة فرق الصفوة في القارة العجوز، وذلك في حديثه مع الصحافيين بعد الانحناء أمام مانشستر سيتي في رباعية عطلة نهاية الأسبوع الماضي، لكن سرعان ما أثبت أن أفعاله لا تتماشى أبدا مع تصريحاته أمام العدسات، وتجلى ذلك في تراجعه عن إستراتيجيته وأفكاره التدريبية، بعد اعتماده على خمسة مدافعين للمرة الأولى في مسيرته في سهرة «حديقة الأمراء»، معتقدا أن رهانه على «الدفاع المحكم»، سيكون بوابته للخروج من عاصمة الضوء بأقل الخسائر الممكنة، ومن حسن حظ المدرب الهولندي أن فريقه أفلت من هزيمة ثقيلة ثانية في غضون 3 أيام، في ظل الهشاشة الدفاعية التي كان عليها، متمثلة في الأداء الكارثي للظهيرين فريمبونغ وكيركيز، حيث عانى الأول الأمرين لإيقاف غارات فتى جورجيا الأول كفاراتسخيليا في الجانب الأيمن، وبالمثل عاش الآخر 90 دقيقة من الجحيم الكروي أمام أشرف حكيمي ودوي.

ومن جانبه، أيد مدافع النادي الأسبق جيمي كاراغر، وجهة النظر التي ألقت باللوم على المدرب، لقيامه بتغيير طريقة لعب الفريق من اللعب دائما بأربعة في خط الدفاع إلى خمسة، منهم ثلاثة في محور قلب الدفاع، الأمر الذي جاء بنتائج عكسية على أداء المنظومة الدفاعية، قائلا في تحليله للمباراة عبر قناة «سي بي إس» الرياضية: «عندما تنظر إلى طريقة المدرب، تجد أنه جرب شيئا ما، لكنه أخطأ تكتيكيا بشكل فادح، لقد أخطأ تماما في تطبيق خطة الدفاع الخماسية، لأنها كانت في الواقع أكثر انكشافا مما لو كانت رباعية، إذ اعتمدوا على الرقابة الفردية، وهذا يعني أنه ينبغي على قلوب الدفاع الثلاثة تغطية عرض الملعب»، فيما ترى شريحة عريضة من الجماهير، أن الخلل يكمن في عدوى «الهبوط الجماعي» في أداء كبار النجوم، في القلب منهم قائد الفريق والخط الخلفي في الدوري الإنكليزي الممتاز، واكتملت بتخلي المدرب عن فلسفته ونهجه التدريبي في محاولة بائسة لتقليل مستوى الانحدار والإفلاس الكروي الذي وصل إليه ليفربول هذا الموسم، كمؤشر على اقتراب نهاية رحلته في «الأنفيلد»، إلا إذا رد على كل المشككين بداية من ملحمة باريس سان جيرمان ثم مباراياته المتبقية في البريميرليغ، فهل ينجو سلوت من مقصلة الإقالة؟ أم سيخرج من الأزمة الحالية أقوى من أي وقت مضى؟ دعونا ننتظر ما سيحدث.

سلوت سيدفع ثمن تجاهل صلاح!

خلدون الشيخ

لقي ليفربول هزيمة أمام باريس سان جيرمان في ذهاب ربع نهائي دوري أبطال أوروبا ليلة الأربعاء الماضي، لكنّ المفاجأة التي أعقبت هذه الهزيمة في فرنسا تمثّلت في تجاهل آرني سلوت تماما لأسطورة النادي محمد صلاح الذي أعلن سابقاً عن رحيله في نهاية الموسم الجاري.

يستحق رحيل صلاح الوشيك عن ليفربول كل التقدير والاحترام من النادي ككل، وهذا يشمل الجماهير والادارة والزملاء اللاعبين وأيضا المدرب، فهو سيكون بمثابة تكريم يليق بما قدمه صلاح لكرة القدم الإنكليزية خلال العقد الأخير من مسيرته في هذه البلاد، وطبعاً هذا يجب ألا يكون على مصلحة الفريق، لكن ما شاهدناه في باريس من خيبة أمل مريرة لليفربول في مواجهة سان جيرمان، فانه من الصعب اعتبار أن مشاركة صلاح كانت ستؤذي الفريق، أو انه كان سيقدم عرضاً أسوأ مما قدمه زملاؤه.

صلاح أحد أعظم لاعبي جيله، ويستحق أن يُصنّف ضمن أساطير ليفربول الحقيقية، وهو يُقارن بأسماء لامعة مثل كيني دالغليش وستيفن جيرارد بفضل ألقابه وأهدافه وارقامه القياسية، وهذا النوع من الأساطير لا يمكن أن تعامله هكذا بتهميشه واهماله، بل بجعله يقوم بإجراءات الاحماء استعدادا للمشاركة من دون اقحامه في المنافسة وكأنه لاعب ثانوي، فمثلا اذا كان ليونيل ميسي وكريستيانو رونالدو لائقين فلا يمكن ابقاؤهما على مقاعد الاحتياط تحت أي ظرف، وكلما حدث ذلك في السابق، كانت هناك ردود فعل غاضبة وعنيفة، مثلما حصل مع رونالدو في مانشستر يونايتد ومع مدربه حينها ايريك تن هاغ، ومع المنتخب البرتغالي في مونديال 2022 تحت قيادة فرناندو سانتوش.

لكن الوضع الحالي لصلاح معقد، ويبدو أن مدربه الحالي، آرني سلوت، لا يُؤمن بالإرث الذي سيتركه النجم المصري. وقد تجلّى ذلك بوضوح في مباراة العاصمة الفرنسية ليلة الأربعاء، حيث أمضى باريس سان جيرمان معظم الأمسية يُهيمن على المباراة ويسيطر على أداء لاعبي سلوت المُخيب للآمال، من دون أن يحصد الثمار المرجوة. ولم يكتفِ سلوت باستبعاد صلاح من التشكيلة الأساسية، بل تجاهله تماما، وهو ما علله لاحقا لأسباب تكتيكية، حيث قال انه فضل أن يشرك ثلاثي قلوب دفاع، والاعتماد على ظهيرين متقدمين، عوض استخدام جناحين صريحين، حيث اعتبر سلوت أن هذه هي الطريقة المثلى للسيطرة على ظهيرين متقدمين للخصم مثل المغربي أشرف حكيمي والبرتغالي نونو ميندیش، وسير مجريات المباراة حكيم حكيمي، اذ أن إبقاء ظهيرين طبيعيين، واللعب بجناحين، كانا سيحدان من خطورة ظهيري سان جيرمان بصورة أفضل. وفي وقتٍ كان فيه ليفربول متأخرا بهدفين دون رد، ولم يسدد أي تسديدة على المرمى، وكان بأمسّ الحاجة إلى هدف من أي مكان، لم يفكر أن يستعين بهداف تاريخي وأسطورة يجلس خلفه بمقعد، وهو باختصار، ما بدا وكأنه تصرف نابع من مشكلة شخصية.

ورغم أن قرارات سلوت وصفت بالغريبة، فهي لا يفسرها المنطق الكروي، بل تُشير إلى أن المدرب الهولندي لم يغفر لصلاح تمرده في وقت سابق من هذا الموسم وإعلان امتعاضه. لكن هذا التجاهل من سلوت تجاه صلاح، هو ما قد يضع المسمار الأخير في نعش المدرب الهولندي، ويقوده الى اقالة حتمية، وبجهلٍ سافر، لا يُحقق سوى تقويض مكانته كمدرب. وهو أمرٌ يصعّب تصديقه، بالنظر إلى هشاشة وضعه الحالي.

يستحق صلاح تقديرا أكبر بكثير من هذا، لكنه الآن، بدلا من ذلك، أصبح الضحية الأبرز لتجاهل سلوت التام. والشعور السائد عند جميع المتابعين، وليس فقط مشجعي ليفربول، هو حزنٌ عميق. لقد أضفى صلاح بريقا ساحرا على كرة القدم الإنكليزية، وساهم في إعادة ليفربول إلى سابق عهده، بل أدخله حقبة ذهبية جميلة، وفعل ذلك بروح يتمنى جميع لاعبي كرة القدم أن يقتدوا بها. لكنه الآن يجدّ نفسه مهمشا كقطعة قديمة لا يريدها سلوت أن تُلوث المكان، وكأن لا قيمة لتأثيره وإنجازاته.

سيرحل صلاح عن «أنفيلد» في غضون أسابيع قليلة، وستفتقده الكرة الإنكليزية. لكن من سيفتقد سلوت حين يختفي؟ وعندما يحدث هذا، ويريد سلوت أن يُلقي باللوم على أحد، فلن يجد أفضل من نفسه، وهو سيدفع ثمن تدمير نفسه وطمس بريق أسطورة ستبقى جماهير ليفربول تتغنى باسمه لسنوات قادمة.

@KhaldounElcheik

مجتمع

قصص خداع واحتيال تعكّر تنامي التسوق الإلكتروني في المغرب... وناشط حقوقي يحذّر من «قانون الغاب»

الرباط ـ «القدس العربي»: ماجدة أيت لكتاوي

تروي مريم، وهي شابة مغربية وضعت مولودها قبل شهور، تجربتها مع أحد المواقع الإلكترونية التي تقدّم نفسها كمنصة طبية، حيث طلبت حزاما طبيا للبطن والظهر بمبلغ 600 درهم (حوالي 60 دولارا أمريكيا)، بعد أن تواصلت معها الجهة البائعة بلباقة وقدمت المنتج على أنه ذو جودة عالية ومعتمد دوليا. غير أن المفاجأة كانت كبيرة بعد التوصل بالطلب، إذ تبين أن المنتج لا يستجيب للمواصفات المعلن عنها، ولم يكن مفيدا، فيما توقفت الجهة البائعة عن التواصل معها بعد مراسلتها، بل قامت بحظرها.

كما أورد عدد من المستهلكين تجارب مماثلة مع متاجر رقمية تروج لمنتجات بجودة عالية وصور جذابة، قبل أن يفاجأوا بعد الاستلام بسلع لا تطابق المواصفات المعلن عنها، أو بمنتجات رديئة لا تعكس ما تم عرضه.

تغير تدريجي في عادات الاستهلاك

وتشهد التجارة الإلكترونية في المغرب خلال السنوات الأخيرة نموا ملحوظا، مدفوعا بالانتشار الواسع للإنترنت وتزايد اعتماد المغاربة على التسوق عبر المنصات الرقمية، في تحول يعكس تغيرا تدريجيا في عادات الاستهلاك. حيث أصبحت هذه المنصات خيارا مفضلا لفئات واسعة من المواطنين، لما توفره من سهولة في الولوج إلى المنتجات وتنوع في العروض، فضلا عن عامل الراحة الذي يغني عن التنقل والانتظار. غير أن هذا التطور المتسارع، ورغم ما يتيحه من فرص، لا يخلو من اختلالات تطرح تحديات حقيقية أمام المستهلكين والفاعلين على حد سواء.

وفي هذا الإطار، يُعرّف القانون المغربي التجارة الإلكترونية، استنادا إلى القانون 53.05، بأنها «المعاملات التجارية التي يتم بموجبها إبرام العقود وتنفيذها عبر شبكات التواصل الرقمي أو الوسائل الإلكترونية»، وهو تعريف يرتكز على الاعتراف الحجي بالوثائق الإلكترونية، ويوفر الإطار القانوني لحماية المستهلك، وتنظيم التوقيع الإلكتروني، وتحديد الالتزامات على المتاجر الافتراضية.

غير أن تطبيق هذا الإطار القانوني على أرض الواقع يصطدم بعدد من الإشكالات، في مقدمتها ضعف ثقافة التوصيل. حيث يشتكي العديد من الزبناء من التأخر في تسليم الطلبات، التي قد تستغرق عدة أيام أو حتى أسابيع للوصول، رغم أن المتاجر تعلن في الغالب عن آجال تسليم قصيرة. كما تبرز مشاكل أخرى، من قبيل فقدان الطرود أو وصول المنتجات في حالة غير سليمة، إلى جانب صعوبات تتبع الشحنات بشكل دقيق، ما يجعل تجربة الشراء غير مضمونة النتائج. ولا تتوفر هذه الاختلالات عند الجانب اللوجستي، بل تتجاوز ذلك لتكشف عن حالات أكثر تعقيدا، مرتبطة أحيانا بالاحتيال والخداع.

وفي هذا السياق، تحكي آمال، الطالبة الجامعية، كيف اقتنت فستانا أنيقا لحفل تخرجها عبر أحد المواقع الإلكترونية، قبل أن تُفاجأ عند التوصل به بمقاس صغير وجودة أقل وتنفيذ مبتدئ، لتكتشف لاحقا أن التصميم المعروض كان مسروقا، فيما اختفت البائعة ولم تعد ترد على الرسائل، ولم تتمكن من استبدال الفستان أو استرجاع ثمنه.

كما يروي بعض الزبناء أنهم توصلوا بطرود ناقصة أو بمنتجات مختلفة تماما عما طلبوه، دون أن يتمكنوا من التواصل مع خدمة الزبناء، ما يعمق شعورهم بعدم الأمان أثناء التسوق الإلكتروني. ويشتكي آخرون من شركات توصيل لا تحترم المواعيد المحددة أو تسلم الطرود في ظروف غير ملائمة، مما يؤدي إلى تلف السلع أو ضياعها. ولا تقف تداعيات هذه المشاكل عند هذا الحد، بل تمتد إلى المتاجر الإلكترونية الجادة، حيث غالبا ما يحمّل المستهلك المسؤولية للبائع حتى وإن كان الخلل ناتجا عن خدمات النقل، وهو ما ينعكس سلبا على سمعة هذه المتاجر ويضعف ثقة الزبناء في المنظومة ككل.

حقوق المستهلك

من وجهة نظر بوعزة الخراطي، رئيس «الجامعة المغربية لحقوق المستهلك»، أن المستهلك يجد نفسه أمام تجارة إلكترونية منظمة وغير منظمة، التي تتمثل أساسا في مواقع التواصل الاجتماعي، داعيا المستهلك إلى العدول عن اقتناء الخدمات أو المواد عبر معاملاتها والانفتاح على الأسواق الدولية، ما يتيح للتجار، خصوصا الصغار، تنويع مداخيلهم. وفي السياق ذاته، أبرز إحالة مشروع قانون لتعديل قانون حماية المستهلك رقم 31.08، بهدف مواكبة تطور هذا القطاع وتنظيم عمل المنصات الإلكترونية، مع تشديد الرقابة على الممارسات التجارية المضللة، مذكرا بأن الحكومة عملت على تأطير هذا المجال عبر منظومة قانونية متكاملة تشمل مدونة التجارة، وقانون حماية المستهلك، وقانون سلامة المنتجات، إلى جانب قوانين المعاملات الرقمية، وحماية المعطيات الشخصية، والأمن السيبراني، وخدمات الثقة، فضلا عن مشروع مراجعة قانون حماية المستهلك المعروض على الأمانة العامة للحكومة.

مقترح قانون

وفي الإطار التشريعي ذاته، تقدم عدد من أعضاء مجلس النواب بمقترح قانون يروم تعزيز حماية المستهلكين في مجال التجارة الإلكترونية وتقنين هذا القطاع، من خلال إرساء قواعد واضحة تضمن شفافية المعاملات الرقمية، مع تكريس حقوق أساسية للمستهلك، من بينها حق التراجع عن الشراء، وحماية المعطيات الشخصية، وضمان شروط تعاقدية واضحة قبل إتمام أي عملية.

كما يُلزم المقترح منصات التجارة الإلكترونية بتوفير معلومات دقيقة حول المنتجات والخدمات، تشمل الأسعار والتكاليف الإضافية وسياسات الإرجاع، واعتماد وسائل أداء آمنة ومحمية بتقنيات حديثة، مع إقرار حق المستهلك في إلغاء عملية الشراء داخل أجل 14 يوما من تاريخ التسلم واسترجاع المبلغ كاملا وفق شروط محددة، فضلا عن إحداث خدمة دعم فعالة ومنع التقييمات الزائفة.

وفي الجانب الزجري، ينص المقترح على فرض غرامات مالية تتراوح بين 100 ألف و5 ملايين درهم على المخالفين، مع إمكانية تشديد العقوبات في حالة التكرار، وصولا إلى تعليق أو إغلاق المنصة، إلى جانب إحداث لجنة مستقلة لتتبع تطبيق القانون والبت في شكاوى المستهلكين، بما يعزز الثقة في المعاملات الإلكترونية.

إرساء رقابة رقمية فعالة

غير أن هذا المسار، رغم أهميته، يظل غير كاف لوحده، وفق ما أكد المستشار البرلماني خالد السطيي، الذي اعتبر أن تعديل قانون حماية المستهلك خطوة ضرورية، لكنها غير كافية لضمان حماية فعالة في مجال التجارة الإلكترونية. وأوضح أن هذا التعديل سيساهم في تعزيز الشفافية ومحاربة بعض الممارسات المضللة، وتوفير حماية أفضل أثناء الشراء الإلكتروني، غير أن عددا من الاختلالات لا تزال قائمة، من بينها ضعف المراقبة وآليات التطبيق، وانتشار المتاجر غير المهيكلة، والإعلانات المضللة على وسائل التواصل الاجتماعي، إلى جانب الطابع الدولي للتجارة الإلكترونية الذي يزيد من تعقيد عملية الضبط.

كما شدد السطي متحدثا لـ«القدس العربي»، على أن التطور المتسارع لهذا القطاع، خاصة مع دخول العمل بالذكاء الاصطناعي، يفرض ضرورة إرساء رقابة رقمية فعالة وتثبيت عقوبات صارمة ومطبقة وسريعة، محذرا من أن البطء في التنفيذ قد يعقد الأمور، ومبرزا أهمية تنظيم المنصات الإلكترونية، خاصة وأن أغلبها منصات خارجية، بالتوازي مع ضرورة توعية المستهلك. وختم بالتأكيد على أن القانون يظل مهما، غير أن الحماية الحقيقية تقتضي منظومة متكاملة تجمع بين التشريع والمراقبة والتوعية، وليس مجرد تعديل قانوني اعتيادي فقط.

الحنيذ

المكونات

كيلو ونصف لحم بالعظم
بصلتان كبيرتان
ثلاثة فصوص ثوم مقطع إلى شرائح
عودان من القرفة
حبتان من القرنفل
ملعقة كبيرة من بهارات اللحم

طريقة التحضير

نخلط قطع اللحم بالبهارات والملح، ونضعها في قطعة كبيرة من ورق الألمنيوم مع الثوم، والقرفة، والقرنفل.

نضع اللحم مع ورق الألمنيوم على نار هادئة في الفرن لمدة ساعة إلى ساعة ونصف تقريباً بلا ماء حتى ينضج اللحم جيداً. نرفع قطع اللحم من قطعة ورق الألمنيوم، ثم نوزعه فوق طبق الأرز، ونزيينه بالمكسرات المقلية.

يمكنكم المساهمة في طبق الاسبوع بارسال وصفاتكم الخاصة إلى ايميل:
recipe@alquds.co.uk

«تعفن الدماغ» وطرق محاربته

في زمن منصات التواصل الاجتماعي والذكاء الاصطناعي، لم يعد تشتت التركيز وضعف الذاكرة أمرا غريبا، وعلى وقع ذلك، ظهر مصطلح «تعفن الدماغ»، فكيف يمكن محاربته؟

بدأ كثيرون يشعرون بأن ذاكرتهم لم تعد كما كانت، وأن قدرتهم على التركيز باتت تضعف. إذ يقضي ملايين الأشخاص حول العالم ساعات طويلة في مشاهدة الفيديوهات أو قراءة المنشورات أو متابعة الرسائل المتتالية، ما يجعل الدماغ في حالة استهلاك دائم بدون راحة حقيقية.

وحسب تقرير نشرته صحيفة «الغارديان»البريطانية، فإن الكثيرين يشعرون بالتعب والإرهاق رغم أنهم لم يقوموا بأي نشاط يُذكر، سوى التمرير والمشاهدة والقراءة، وتشير الصحيفة إلى أن هذا الشعور أصبح شائعا لدرجة أن له اسما متداولا عالميا هو «تعفن الدماغ» وهو المصطلح الذي اختاره قاموس أكسفورد ليكون كلمة عام 2024. ورغم أنه ليس مصطلحا طبيا، فإنه يعكس حالة تراجع إدراكي حقيقية تنشأ من الغرق المستمر في محتوى سريع وسهل ومكرر، مثل الفيديوهات القصيرة والمنشورات.

وتنقل الصحيفة عن الدكتورة ويندي روس، كبيرة المحاضرين في علم النفس بجامعة لندن ميتروبوليتان، قولها إن التفاعل المستمر مع هذا النوع من المحتوى لا يبدو مرهقا للدماغ في اللحظة نفسها، لأن المعلومات بسيطة وسهلة، لكنها في الحقيقة تُرهقه بسبب كثافتها وتسارعها.

وقدمت الصحيفة 12 طريقة لمحاربة «تعفن الدماغ»، هذا، وقالت إن أولى الطرق تتمثل في حل الكلمات المتقاطعة، حيث أشارت روس إلى أن «الأمور التي تتطلب جهدا ذهنيا كبيرا مثل الكلمات المتقاطعة الغامضة يمكن أن تعيد التوازن بين الجهد والمكافأة».

أما الطريقة الثانية، فهي تعتمد على التوقف عن استخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي للحصول على إجابات سهلة. وفي ذلك، قالت الدكتورة ليلى لاندوسكي، عالمة الأعصاب وكبيرة المحاضرين في العلوم الطبية الحيوية بجامعة تسمانيا الاسترالية، إن «الاعتماد المفرط على الذكاء الاصطناعي يشبه أن يرفع مدربك الأوزان بدلا منك».

وقالت الصحيفة إن الطريقة الثالثة تقوم على ممارسة التمارين الرياضية. أما الطريقة الرابعة فهي القراءة بوتيرة أسرع لتحسين التذكير. وأشارت الصحيفة إلى أن الطريقة الخامسة تتمثل في إيقاف جميع الإشعارات التي تأتي على الهاتف الذكي سواء أكانت من تطبيق اجتماعي أو حتى من شركة إعلانات.

وقالت الصحيفة إن الطريقة السادسة تعتمد على تدريب الوعي، فيما تقوم الطريقة السابعة على فحص التوتر بمعنى أخذ 10 دقائق لتتوقف وتفكر في الأمور التي تجعلك متوترا. وأضافت أن الطريقة الثامنة تستند على المشي مع إبداء الكثير من الانتباه أو الوعي لكل حركة يصنعها الجسم أثناء المشي.

وأشارت الصحيفة إلى أن الطريقة التاسعة تتمحور حول العودة إلى ممارسة هوايات قديمة إحياء هواية قديمة مثل تعلم لغة جديدة أو العزف على آلة موسيقية. أما الطريقة العاشرة فهي بسيطة، لكنها ضرورية وهي التأكد من إجراء الفحوصات الطبية المعتادة، لأن ارتفاع ضغط الدم أو اضطراب مستوى الكوليسترول ربما يكون أحد الأسباب وراء الإصابة بالخرف.

وأضافت أن الطريقة الحادية عشرة فهي التوقف عن القفز بين المهام مثل قراءة الرسائل الإلكترونية ثم تصفح رسائل الواتساب. وقالت الصحيفة إن جزءا من «انتباهنا يبقى عالقا بالنشاط السابق ما يؤثر على نشاط الدماغ».

ونوهت الصحيفة إلى أن الطريقة الثانية عشر أطلقت عليها اسم «غسل الدماغ بالنوم»، قائلة إن النوم الجيد ضروري لصحة الدماغ على المدى الطويل، حيث إنه أثناء مراحل النوم العميق، يبدأ النظام الغليمفاوي في الدماغ بالعمل وهي أشبه بعملية «إعادة ضبط المصنع» بمعنى مساعدة الدماغ على التخلص من السموم أو الفضلات. (DW)

الحمل

تواجه تراجعاً لافتاً في عملك

الثور

حاول أن تتجنب صراعات العمل

الجوزاء

لا يمكنك التنبؤ بما يحدث دائما

السرطان

لا تضغط على الشريك

الاسد

تحتاج إلى هدوء للتفاهم مع الاصدقاء

العذراء

تتمتع بإرادة صلبة تعينك معنويا

الميزان

انتبه من حسد بعض الزملاء

العقرب

تستعيد نشاطك بعد تعافيك من وعكة

القوس

استقرار في حياتك العملية

الجدي

تسمع أخبارا سارة من زملائك في العمل

الدلو

تحقق لك بعض الأحلام شيئاً من السعادة

الحوت

قد تتلقى عرضاً مهنياً باقيا

جديد الطب

دراسة: الرجال ذوو الذكاء المرتفع أقل ميلا إلى التوجهات المحافظة

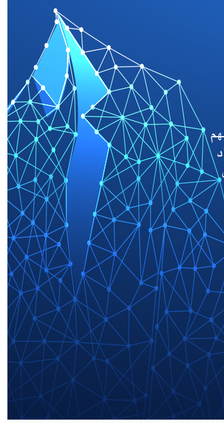

أظهرت دراسة حديثة أن الرجال الذين يملكون قدرات ذهنية مرتفعة أقل ميلا إلى تبني مواقف سياسية محافظة مقارنة بالرجال ذوي الذكاء المتوسط. وفي المقابل، لم يتم رصد هذه الفروق لدى النساء المشاركات في الدراسة، حسبما قال عالم النفس والباحث في مجال الذكاء ماكسيميليان كرولو من جامعة زارلاند الألمانية بصفته المعد الرئيسي للدراسة.

وشارك في الدراسة أيضا الأستاذان يورن شبارفيلت، من جامعة زارلاند، ودتليف روست، من جامعة فيليبس في ماربورج.

ونشرت نتائج الدراسة مؤخرا في المجلة العلمية «إنتليجنس». واعتمدت الدراسة على مشروع ماربورغ للموهوبين، الذي جرى خلال العام الدراسي 1988/1987، حيث تم فحص أكثر من 7 آلاف طفل في المرحلة الابتدائية باستخدام اختبارات الذكاء. وكان نحو 2 في المئة منهم (حوالي 150 طفلا) من ذوي القدرات العالية.

وتمت متابعة جزء كبير من هؤلاء الأفراد (107 أشخاص) على مدار سنوات طويلة ضمن دراسة طولية الأمد، مع مجموعة مقارنة من أشخاص ذوي ذكاء متوسط، حيث خضعوا بشكل متكرر لاستطلاعات حول موضوعات مختلفة.

وقال عالم التربية وعالم النفس شبارفيلت: «الآن، وبعد أكثر من 35 عاما، تمكنا من طرح أسئلة على هذه المجموعة بشأن آرائهم السياسية». وقد شارك في الاستطلاع 87 شخصا من ذوي الذكاء المرتفع و71 من ذوي الذكاء المتوسط، بنسبة استجابة تقارب 75 في المئة.

ووفقا للباحثين، قام المشاركون بتحديد مواقفهم السياسية على مقياس يتراوح بين اليسار واليمين، كما ملأوا استبيانا مفصلا حول توجهاتهم السياسية، شمل أربعة مجالات من بينها الاشتراكية والليبرالية.

وقال كرولو: «أظهرت النتائج أن مجموعة الرجال ذوي الذكاء المتوسط تميل إلى تأييد قيم ترتبط بالتقاليد والنظام الاجتماعي الصارم، في حين أن الرجال ذوي معامل الذكاء المرتفع تبنوا هذه الآراء المحافظة التقليدية بشكل أقل».

وأضاف شبارفيلت، الذي يتولى منذ ثلاثة أعوام الإشراف العلمي على مشروع ماربورغ للموهوبين: «نظرا لأن ذوي القدرات المرتفعة غالبا ما يشغلون مناصب مؤثرة، فمن المهم فهم نظرتهم إلى السياسة والاقتصاد والمجتمع». وأظهرت الدراسة الحالية أن الذكاء المرتفع لا يؤدي – كما قد يفترض – إلى تبني مواقف سياسية متطرفة، بل إن البالغين ذوي القدرات المرتفعة يتسمون في المتوسط بتنوع واعتدال سياسي مماثل لبقية السكان.

وقال شبارفيلت: «لكن لا تزال هناك حاجة إلى مزيد من الأبحاث، على سبيل المثال لمعرفة ما إذا كانت هذه الميول الأكثر محافظة تنعكس أيضا في السلوك السياسي».

(د ب أ)

ما سبب شعورنا المفاجئ بالاشمئزاز من أطعمة كنا نحبها؟... علماء يشرحون

لندن – «القدس العربي»:

يشعر كثير من الناس بالنفور المفاجئ من بعض الطعام الذي يحبونه، وهي ظاهرة لطالما كانت محيرة بالنسبة للكثيرين بما في ذلك للأشخاص أنفسهم الذين ينفرون فجأة ويتقززون من الطعام الذي لطالما أحبوه.

ويقول العلماء إنه لا شيء أكثر إزعاجاً للشخص من الشعور بالنفور المفاجئ والقرف من الدجاج أثناء تناوله، رغم أنه طعام مفضل ورغم أن الشخص ذاته قد يكون قد استمتع بتناوله مراراً في السابق.

وحاولت جريدة «دايلي ميل» البريطانية تفسير هذه الظاهرة، عبر تقرير نشرته مؤخراً واطلعت عليه «القدس العربي»، حيث أشارت إلى أن الكثير من الناس لجؤوا إلى وسائل التواصل الاجتماعي للتعبير عن استيائهم من هذه الظاهرة، وأطلقوا عليها اسم «النفور من الدجاج».

ولا يقتصر الأمر على اللحوم فقط، فقد أبلغ البعض عن شعورهم بالنفور المفاجئ من البيض أيضاً.

وأجرى لورينزو ستافورد، الأستاذ المشارك في علم النفس البيولوجي النفسي بجامعة بورتسموث، بحثاً حول هذه الظاهرة، حيث كتب في موقع «ذا كونفرسيشن»: «عندما يتعلق الأمر بالنفور، فإن الأمر كله يدور حول كيفية تعاملنا مع شعورنا بالاشمئزاز».

وأضاف: «هناك عدة أسباب قد تجعلك تشعر فجأة بالنفور من طعام كنت تستمتع بتناوله». وتابع: «إذا سبق لك أن مررت بهذا الموقف، فالخبر السار هو أن هناك طرقاً للتغلب عليه». وقال الدكتور ستافورد إن أحد الأسباب المحتملة للشعور بالنفور من الطعام هو تغيير طريقة تقديمه. ويضيف: «ربما لاحظت في إحدى المرات أن طعم الدجاج أو رائحته أو شكله مختلف عن المرات السابقة»، مشيراً إلى أن هذا «قد يؤدي إلى عدم توافق مع ما هو متوقع، مما قد يُسبب تغيراً مفاجئاً في مشاعرك تجاه ذلك الطعام».

وقد يكون الأمر مرتبطاً أيضاً بما إذا كنت قد أعددت الدجاج بطريقة مختلفة عن المعتاد، إذ إن إضافة مكون جديد يُغير رائحة الطبق أو طعمه قد يُثير مشاعر الاشمئزاز.

وأضاف الدكتور ستافورد: «سبب آخر محتمل يتعلق بما كنت تفعله قبل أن تشعر بالنفور من الطعام».

وتابع: «إذا كنت تتصفح مواقع التواصل الاجتماعي وتنظر إلى صور وجبات غير شهية قبل البدء في طهي وجبتك، فقد يؤثر ذلك على شعورك تجاه طعامك لاحقاً».

وأضاف أنه إذا كنت تُعدّ الطبق بالقرب من شخص أبدى اشمئزازه – حتى لو اكتفى بتعابير وجهه – فقد يؤثر ذلك أيضًا على شعورك بالاشمئزاز.

كما أن هناك عوامل أخرى، مثل مدى جوعك وحتى جنسك، قد تؤثر على قوة شعورك بالاشمئزاز. ولكن إذا شعرتَ بالاشمئزاز من الدجاج، فكيف تتغلب عليه؟

وقال الدكتور ستافورد إن هناك طريقتين أساسيتين لمحاولة التغلب على هذا الشعور، أولًا، يقترح تحضير الدجاج بطريقة مختلفة في المرة القادمة. وقال: «قد يكون اشمئزازك مرتبطاً بطريقة تحضير الطعام تحديداً».

ويضيف: «في المرة القادمة التي يكون فيها الدجاج ضمن قائمة طعامك، حاول طهيه بطريقة مختلفة، كاستخدام وصفة أو توابل مختلفة، أو استخدام قطعة لحم مختلفة مثل صدر الدجاج بدلًا من الأفخاذ أو الأجنحة».

وقد يساعدك هذا على التخلص من شعورك بالنفور. ويمكنك أيضاً أن تطلب من شخص آخر طهيه لك، خاصةً إذا كان ملمس أو رائحة الدجاج النيء هي ما ينفرك منه.

وقال: «قد يُسهّل عليك هذا تناول الطبق المطبوخ. أو يمكنك شراء خيارات مطبوخة مسبقًا من السوبر ماركت، لا تحتاج إلا إلى التسخين، حتى لا تضطر إلى لمس الدجاج النيء».

وأضاف أن إزالة المحفزات التي تُسبب النفور في المقام الأول من شأنها أن تُعيد ضبط نفسك وتُساعدك على الاستمتاع بالطعام مرة أخرى.

وإذا لم تُجد أي من الخيارات السابقة نفعًا، فقد يكون لديك ارتباط سلبي بالأطعمة، وهو ارتباط يحتاج إلى التخلص منه. وأوضح: «في هذه الحالة، قد يستغرق الأمر بعض الوقت لإعادة تدريب نفسك».

ومن بين الاقتراحات للقيام بذلك، ربط الطعام بشيء إيجابي، مثل طعامك المفضل أو الاستماع إلى موسيقاك المفضلة أثناء تناول وجبتك، أو حتى تغيير لون الأطباق. ويقول: «بتكرار هذا الأمر عدة مرات، ستعتاد على الاستجابة اللطيفة – ونأمل أن تتخلص من شعورك بالاشمئزاز من الدجاج».

منوعات

مسرحية «الاغتراب» لإنتصار العيساوي: إعادة قراءة معمقة في الدراما العائلية

تونس – «القدس العربي»: روعة قاسم

في إطار تظاهرة «مسرحهن» التي ينظمها المسرح الوطني للأوبرا بتونس ضمن فضاءات مدينة الثقافة الشاذلي القليبي، احتضن مسرح المبدعين الشبان عرض مسرحية «الاغتراب» من إخراج إنتصار العيساوي، في عمل فني طويل امتد لحوالي الساعة والنصف، ونجح في أن يحوّل الركح إلى فضاء نفسي مشحون، يعكس هشاشة العلاقات الإنسانية وتصدّعات البنية العائلية في السياق المعاصر.

تقاطع الماضي مع الحاضر

منذ اللحظات الأولى، لا تقدم «الاغتراب» حكاية تقليدية تُروى بخط زمني مستقيم، بل تنسج عالما دراميا يتقاطع فيه الماضي مع الحاضر، وتتشابك فيه الذاكرة مع الواقع. فالزمن في هذا العمل ليس مجرد إطار للأحداث، بل هو عنصر فاعل يضغط على الشخصيات ويعيد تشكيلها. ويبدو أن المخرجة اختارت أن تجعل من العودة إلى الجذور رحلة محفوفة بالارتباك، حيث لا تقود الذاكرة إلى الطمأنينة، بل إلى انكشاف مؤلم لطبقات من الصمت والإنكار.

وتتمحور المسرحية حول شخصية علياء، المرأة التي تعود إلى بيتها الأصلي بعد غياب دام عشرين سنة في فرنسا. غير أن هذا الرجوع، الذي قد يبدو في ظاهره عودة إلى الحنين والانتماء، يتحول إلى مواجهة مباشرة مع ماض لم يُحسم. فالبيت الذي تستعيده ليس كما تركته، بل هو فضاء متحول، خال من دفء الماضي، ومثقل بآثار غياب طويل. لم يعد في هذا البيت سوى شقيقها إدريس وابنه رستم، وكأن العائلة تقلصت إلى حدّها الأدنى، فاقدة بذلك توازنها القديم.

هذا التحول في الفضاء العائلي ليس مجرد خلفية للأحداث، بل هو جزء من الدلالة العميقة للعمل. فالبيت، الذي يفترض أن يكون رمز الأمان والاستقرار، يتحول هنا إلى مكان غريب، يفتقد إلى الحميمية، ويعكس في الآن ذاته اغتراب الشخصيات عن نفسها وعن بعضها البعض. إننا أمام فضاء لا يحتضن، بل يلفظ، ولا يوحد، بل يكرس التباعد.

تعود علياء مصحوبة بابنتها كارول، التي وُلدت في فرنسا وتحمل في داخلها آثار غياب الأب، وهو غياب لا يُقدم فقط كمعطى بيولوجي، بل كجرح نفسي ينعكس على نظرتها إلى العالم. تمثل كارول جيلاً جديداً يعيش حالة اغتراب مركّب: فهي ليست منتمية بالكامل إلى الثقافة التي نشأت فيها، ولا هي قادرة على الاندماج بسهولة في جذورها الأصلية. ومع ذلك، فإن حضورها في المسرحية لا يقتصر على تمثيل القطيعة، بل يفتح أيضاً أفقا لإمكانية إعادة بناء الروابط.

يتجلى هذا الأفق في العلاقة التي تنشأ بينها وبين رستم، ابن إدريس. فرغم التباعد الأولي بينهما، تنمو بين الشخصيتين ملامح تقارب إنساني، يوحي بأن ما تهدم في الجيل السابق قد يجد إمكانية للترميم في الجيل اللاحق. هذا التوازي بين جيلين، أحدهما غارق في الصراع، والآخر يبحث عن معنى للانتماء، يمنح العمل بعدا تأمليا يتجاوز الحكاية المباشرة.

غير أن القلب النابض للمسرحية يظل العلاقة بين علياء وشقيقها إدريس. هنا تبلغ الدراما ذروتها، حيث تتجسد سنوات الصمت والتراكمات في صراع مفتوح، لا يترك مجالاً للتهدئة. فالعلاقة بين الأخوين ليست مجرد خلاف عابر، بل هي بنية متكاملة من الأحقاد والخذلان وسوء الفهم. كل منهما يحمل روايته الخاصة، ويصرّ على التمسك بها، مما يجعل أي محاولة للتقارب تبدو مستحيلة.

يتحول الحوار بينهما إلى مواجهة حادة، حيث تتداخل اللغة مع العنف الرمزي، وتصبح الكلمات أدوات للجرح بدل أن تكون وسيلة للفهم. إننا أمام شخصيتين عاجزتين عن الاعتراف المتبادل، وعن تجاوز الماضي، وهو ما يجعل الصراع بينهما دائرياً، يعيد إنتاج نفسه دون أفق للحل.

ومن خلال هذا الصراع، تطرح المسرحية سؤالاً عميقاً حول طبيعة الروابط العائلية: هل يكفي الانتماء البيولوجي للحفاظ على العلاقة؟ أم أن العائلة، مثلها مثل أي علاقة إنسانية، تحتاج إلى جهد مستمر من الحوار والتسامح؟ يبدو أن «الاغتراب» تميل إلى الخيار الثاني، حيث تكشف أن غياب التواصل يحوّل أقرب العلاقات إلى أكثرها عنفا.

ولا تقف المسرحية عند حدود الصراع الظاهر، بل تغوص في أسبابه العميقة، المرتبطة بحدث مؤسس يتمثل في جريمة قتل، تحضر كخطيئة أصلية ألقت بظلالها على مسار العائلة. هذا الحدث، الذي يشكل نقطة الانكسار الكبرى، لا يُقدّم كواقعة معزولة، بل كجذر لكل ما تلاها من تفكك وانهيار. إنه أشبه بلعنة تلاحق الشخصيات، وتجعل من الماضي عبئاً لا يمكن التخلص منه.

في هذا السياق، يصبح عنوان «الاغتراب» أكثر من مجرد توصيف لحالة نفسية، بل يتحول إلى مفهوم شامل يطال العلاقة بالذات وبالآخر وبالمكان. فالاغتراب هنا ليس فقط جغرافياً أو ثقافياً، كما في حالة علياء وكارول، بل هو أيضاً اغتراب داخلي، حيث تفقد الشخصيات قدرتها على فهم نفسها وعلى التواصل مع محيطها.

التقشف والاختزال

على المستوى الجمالي، اختارت إنتصار عيساوي مقاربة تقوم على التقشف والاختزال. فالفضاء الركحي شبه خالٍ، لا يحتوي إلا على عناصر محدودة، ما يخلق إحساساً بالفراغ والاختناق في آن واحد. هذا الخيار ليس اعتباطياً، بل يخدم الرؤية الإخراجية التي تركز على الجوهر الإنساني بدل الزخرفة البصرية.

يلعب الضوء دوراً أساسياً في هذا البناء، حيث يُستخدم لتحديد الحالات النفسية ولإبراز التحولات الدرامية. فتغير الإضاءة لا يواكب فقط انتقال المشاهد، بل يساهم في خلق إيقاع داخلي يعكس توتر الشخصيات. أما الصمت، فيحضر بدوره كعنصر درامي لا يقل أهمية عن الكلام، حيث تصبح لحظات السكوت مشحونة بالدلالات، وكأنها تقول ما تعجز الكلمات عن التعبير عنه.

كما أن الأزياء والماكياج تم توظيفهما بوعي جمالي، ليعكسا الحالة النفسية للشخصيات. فالألوان، والخطوط، والتفاصيل، كلها تسهم في بناء صورة بصرية متكاملة، تعزز من الجو العام للعمل وتدعمه.

أما على مستوى الأداء، فقد قدّم الممثلون عروضاً قوية، اتسمت بالصدق والالتزام. لقد تمكنوا من تجسيد شخصيات معقدة، تحمل تناقضات داخلية واضحة، بدون الوقوع في المبالغة أو التصنع. وكان واضحاً أن العمل الجماعي بين المخرج والممثلين قد أثمر انسجاماً ملحوظاً على الركح، انعكس إيجابياً على جودة العرض.

وقد ساعد هذا الأداء على نقل المشاهدين إلى داخل التجربة، حيث لم يعودوا مجرد متفرجين، بل أصبحوا شركاء في المعاناة، يتابعون تطور الأحداث بتركيز وتعاطف. إن هذا النوع من المسرح، الذي يعتمد على الصدق العاطفي، ينجح في خلق علاقة مباشرة بين العمل والجمهور، وهي علاقة نادرة في زمن تتعدد فيه وسائل الترفيه.

ويُحسب للمسرحية أيضاً قدرتها على الحفاظ على إيقاع متوازن، حيث تتصاعد الأحداث تدريجياً دون أن تفقد تماسكها. فكل مشهد يبدو مرتبطاً بما قبله وما بعده، في بناء درامي محكم، يجعل من العرض تجربة متكاملة. ولا يمكن فصل هذا العمل عن سياقه ضمن تظاهرة «مسرحهن»، التي تسعى إلى إبراز حضور النساء في المشهد المسرحي، سواء في الإخراج أو التمثيل أو الكتابة. فاختيار «الاغتراب» ليكون ضمن برنامج الاختتام يعكس توجهاً نحو تقديم أعمال جادة، تحمل رؤية فنية واضحة، وتطرح أسئلة عميقة حول الإنسان والمجتمع.

إن هذه التظاهرة، التي ينظمها المسرح الوطني للأوبرا بتونس، لا تقتصر على عرض الأعمال، بل تفتح أيضاً فضاء للنقاش والتفكير في موقع المرأة داخل الحقل الثقافي، وفي طبيعة القضايا التي تطرحها من خلال إبداعها. ومن هذا المنظور، تأتي مسرحية «الاغتراب» كعمل يندرج ضمن هذا المسار، من دون أن يُختزل فيه، إذ يتجاوز البعد النسوي الضيق ليطرح إشكاليات إنسانية عامة.

فـ«الاغتراب» ليس مجرد عرض مسرحي، بل هو تجربة فكرية وعاطفية، تدعو إلى التأمل في طبيعة العلاقات الإنسانية، وفي هشاشة الروابط التي نعتبرها بديهية. إنه عمل يضع المتفرج أمام مرآة، يرى فيها نفسه وعلاقاته، وربما يدفعه إلى إعادة التفكير في معنى العائلة، والذاكرة، والانتماء.

وبهذا المعنى، تنجح إنتصار العيساوي في تقديم عمل مسرحي متكامل، يجمع بين العمق الفكري والجمالية الفنية. ويؤكد أن المسرح، رغم كل التحديات، لا يزال قادراً على أن يكون فضاءً حياً للتفكير والإحساس، ومجالاً لإعادة طرح الأسئلة الكبرى التي تشغل الإنسان في كل زمان ومكان.

كي لا يعيش المعالجون النفسانيون في مراكز النزوح مشاعر الاحتراق الوظيفي نتيجة سردية الصدمات

علي الأطرش: وجِدت مبادرة «تحصين» لمساندتهم كي يتمتعوا بمرونة نفسية عالية خلال مهماتهم التطوعية

بيروت ـ «القدس العربي»: زهرة مرعي

في الحروب يتقابل المتقاتلون بمسافات قد تكون بعيدة أو قريبة. في حربنا مع الكيان الصهيوني تبدو الجبهات الأبعد بأميال عن مواقع المواجهة هي الهدف. وفي كل مرة يبدأ فيها العدوان يشتعل القتيل بالناس والسكان الأبرياء. هم الوقود الأسرع حيث يرى فيهم الصهاينة مصدر ضغط، ويأملون بتأليبهم على ناسهم وأهلهم وأبنائهم. لهذا تصبح سريعاً أزمة النزوح تحدياً كبيراً سواء على المسؤولين الرسميين، أو على الجمعيات الأهلية العاملة في مجال الإغاثة. ومن جهة أخرى ينطلق المختصون في العلاج النفسي ليكون لهم دورهم في أزمة النزوح الوطنية والعامة بامتياز، يعملون تطوعاً في مساعدة الناس حيث الحاجة لوجودهم أكثر من ماسة.

مركز نفسانيون وجد نفسه مضطلعاً بدور رائد في متابعة النازحين سواء في «جلسات دعم نفسي اجتماعي» لمجموعة من 10 أفراد، أو عبر معالجات فردية. المعالجون النفسانيون كثر، وكذلك هم مقدمو الدعم. وبدورهم ونظراً للظروف القاسية التي يعانيها النازحون يحتاجون إلى «تحصين». ولأجلهم كانت مبادرة «تحصين» التي أنشأها مركز نفسانيون.

هنا حوار مع علي الأطرش مؤسس مركز نفسانيون عن مراكز النزوح، ودور المعالجين النفسانيين ومقدمي الدعم في مثل هذه المبادرات الإنسانية والتطوعية:

○ أين موقع مركز نفسانيون من هذه الحرب الكبرى؟

● منذ سنة 2019 إلى تاريخنا هذا مرّت على بلدنا أزمات وحروب متعددة. استجابة نفسانيون لتلك الحروب والأزمات كانت سريعة. فكما هو واضح حركتنا لا تنتظر تمويلاً من أحد، ولهذا تكون الإستجابة سريعة. في هذه الحرب الكبرى، أطلقنا مبادرة عنوانها «تحصين»، أخذت على عاتقها تحصين كل من تطوع لمهمة الدعم النفسي للنازحين في المدارس وغيرها من أماكن النزوح. وكذلك تحصين من يستقبلون النازحين في العيادات. إلى حينه انضمّ إلى هذه المبادرة بحدود 370 شخصاً من المعالجين النفسانيين ومقدمي الدعم ومن يستقبلون حالات في عياداتهم. سريعاً لمسنا مدى الإرهاق الذي لحق بهم نتيجة واقع النازحين المتفاقم جداً. فالمعالجون النفسانيون يتلقون من الذين يقدمون لهم الدعم سردية صدمات مؤثرة جداً، نظراً للقساوة الكبرى المتمثلة بهذه الحرب. وهذا ما أدى بهم لعيش مشاعر الإحتراق الوظيفي، وكانت مبادرة «تحصين» ضرورية لدعمهم، عبر برامج خاصة، كمثل إنشاء مساحات للإحتواء، والتفريغ والإشراف على الحالات الصعبة. ومن هذه المبادرة سوف ننطلق إلى دعم نفسي لاحق في مراكز النزوح.

○ إلى ماذا يحتاج مقدمو الدعم النفسي للنازحين؟ وماذا تقدّم لهم «تحصين»؟

● مقدّم الدعم والنفساني ومن هم في الصفوف الأمامية يتعرضون للإجهاد، والإرهاق العاطفي، ولسردية الصدمات كما سبق القول، إضافة إلى صدمات ثانوية. وهذا الجانب في شخص النفساني يحتاج إلى دعم. مبادرة «تحصين» تقوم بهذه المهمة، ما يساعد مقدّم الدعم على متابعة عمله، وهو متمتع بمرونة نفسية عالية خلال دعمه للنازحين. وإلى مبادرة «تحصين»، نقوم بإشراف جماعي. وهذه المتابعة ضرورية لمقدمي الدعم.

○ وبماذا تختلف المآزم النفسية للمعالجين النفسانيين في مثل هذه الظروف عن تلك الخاصة بالنازحين؟

● معاناة النفسانيين والمعالجين النفسانيين تشبه معاناة كافة الناس في هذا الوطن. هم يعيشون الحرب ويعانون من النزوح وما خلفته هذه الأوضاع المستجدة من أزمات اقتصادية. تقدم مبادرة «تحصين» الدعم مجاناً، وكذلك الأمر فإن مقدمي الدعم هم متطوعون ويقومون بعملهم مجاناً. فقد بات معروفاً في لبنان أنّ المبادرات الإنسانية جميعها مجانية ومن بينها مبادرة «تحصين».

○ تحدثت عن إشراف جماعي فماذا عنه؟

● هو إشراف جماعي على مقدمي الدعم من الزملاء النفسانيين. يواجه مقدمو الدعم حالات صعبة في هذه الحرب. قررنا كمركز نفسانيون تقديم الدعم لمن يعالجون مثل تلك الحالات، بحيث يُشرف على هذا الدعم زميل مُتمكّن ومُحترف ومهني. وهنا لسنا حيال نقص لخبرة هؤلاء المعالجين مُطلقاً، بل لأنهم يحتاجون لإشراف، نظراً للحالات الصعبة التي يتولونها، ومن الأفضل وجود إشراف مهني إلى جانبهم. عملياً المعالج النفسي الذي يواجه حالة معقدة يطرحها في جلسة الإشراف، ويتلقى التوجيه والتعليمات الضرورية من قبل المشرف، مما يساعده على التعامل مع هذه الحالة.

○ كيف يتابع المعالجون النفسانيون الحالات المعقدة في مراكز النزوح وهي تحتاج لجلسات متكررة؟

● من جهتنا نواصل الإشراف والمتابعة مع مقدمي الدعم، وبدورهم ينظمون ذاتياً كيفية التعاطي مع هذه الحالات وما تحتاجه من جلسات.

○ كيف يتوزع مقدمو الدعم على مراكز الإيواء ومن ينظم عملهم فيها؟

● أعدت نقابة نفسانيون في لبنان خطة طوارئ سبقت هذه الحرب، من خلال لجنة أسمتها «لجنة الطوارئ والإستجابة». وإلى هذه اللجنة انتسب الكثير من الزملاء كمتطوعين لتقديم الدعم. لكن المشكلة التي تواجه المتطوعين أن وزارة الشؤون الاجتماعية المشرفة على مراكز النزوح لا تتميز مُطلقاً بالمرونة التي تسمح بدخول الزملاء إلى تلك المراكز، سواء كانوا من مركز نفسانيون أم من سواه، لتقديم الدعم. وفيما يتعلّق بسؤالك ثمة مراكز نزوح لم تصلها وزارة الشؤون الاجتماعية بعد. وهذه الأماكن موجودة في العاصمة بيروت، ومن بينها الطرقات التي تنتشر فيها الخيم، أو السيارات التي فضّلها البعض مكاناً لنزوحهم. هكذا تتعامل النقابة بدعمها للنازحين.

○ ولماذا برأيك تحاصر وزارة الشؤون مهمة المعالجين النفسانيين في مراكز النزوح؟

● لست أدري. مع مرور أكثر من شهر على النزوح ما زلنا نسأل ولا جواب. وإلى حينه تُقفل وزارة الشؤون أبواب المراكز وتمنع دخولنا إليها. ونحن كمركز نضع هذا السؤال برسم الحكومة جميعها. طلبت النقابة تواصلاً مع وزيرة الشؤون الاجتماعية لمعرفة أسباب إقفالها الأبواب بوجه المعالجين. وإلى حينه لا جواب.

○ إذاً أين ينتشر المعالجون والنفسانيون حالياً؟

● في الأماكن التي لا تشرف عليها وزارة الشؤون الاجتماعية وفي كافة أنحاء لبنان، ويتواجدون في العيادات والمستوصفات والمستشفيات. وفي القريب العاجل سيكون لنا تواجد في مراكز النزوح في صيدا وطرابلس لتقديم الدعم النفسي المباشر.

○ في مركز نزوح كبير تعمه الفوضى كيف يعرف من يحتاج للعلاج بوجود المعالج أو المعالجة النفسية التي يمكنها مساعدته؟

● في أماكن النزوح تكون الأولوية لشخص بحاجة ماسة لأن يخضع للعلاج. وتبقى لمقدمي الدعم مهمات أوسع. ففي مراكز النزوح هناك حاجة ماسة لما يعرف بالـ«دعم النفسي الاجتماعي» وعبر مجموعات. هذه المجموعات تتكون إما من أطفال يرتادون المدارس، أو من المراهقين، وكذلك من البالغين من النساء أو الرجال. تتكون المجموعة من عشرة أشخاص، ويمتد اللقاء معهم بين ساعة ونصف وساعتين، وفيها يتحدث المشاركون بهمومهم المشتركة، ويتعارفون، ويسعون لتنظيم نشاطات. فمن شأن ذلك أن يرفع منسوب المرونة النفسية والقدرة على التكيف والصمود لدى النازحين. إذاً هذا أحد سبل الدعم المعتمدة داخل وخارج مراكز النزوح.

○ هل استخلصتم عبراً وتجارب من تدخلكم لدعم النازحين في عدوان سنة 2024؟

● أهم وأجمل العبر تمثّلت بتعاطفنا بعضنا مع الآخر. علّمنا العدوان السابق أهمية أن نكون مجتمعين لنصمد ونقوى. مهما كان شكل الـ«تجمّع» وأينما كان، فهو النقطة المركزية التي استخلصنا منها الدروس في الحرب السابقة والحالية. كنفسانيين تعلمنا أن لا ننتظر أحد، بل نسارع للاستجابة، نتكل على ذاتنا وننطلق بالعمل، وأن لا ننتظر الدولة.

○ وحتى الآن تقفل وزارة الشؤون أبوابها؟

● تُقفلها صحيح. حتى وإن فتحت أبوابها فهي لا تمتلك الإمكانات. ومراكز النزوح تحتاج لتضافر الجهود لتلبية الحاجات الضرورية.

○ هل من إحصاء لعدد مجموعات الدعم النفسي الاجتماعي التي تمّ تقديمها إلى الآن؟

● لا إحصاء بالتأكيد، إنما هذا الدعم موجود في بيروت وطرابلس، وكذلك في مناطق متعددة ينتشر فيها النازحون. وكذلك يتمّ تقديم الدعم عبر الخط الساخن، و«أونلاين» حين الضرورة وتوافر الإمكانية.

○ من يتصل عبر الخط الساخن؟ من هي الفئة المُدركة لأهمية العلاج النفسي والخدمة التي تقدمونها كنفسانيين؟

● في هذه الحرب تنلقى اتصالات من زملاء نفسانيين يحتاجون للدعم. واتصالات من نازحين كانوا على تواصل معنا في الحرب السابقة. فخلال تلك الحرب تحوّل مقرنا إلى مركز إغاثة. وتمكنا من تقديم بعض الاحتياجات للنازحين من حليب، ودواء، وفرش، وحفاضات. إذاً تواصل النازحين معنا تمّ من هذه الزاوية، بعضهم سأل عن دعم مادي واحتياجات خاصة بالنزوح، ومنهم من طلب دعماً نفسياً لأنهم باتوا على معرفة بنا كنفسانيين، وأصبحوا أكثر راحة بالتواصل معنا. كما وتتلقى اتصالات خاصة من نازحين جيران يقيمون في سياراتهم قريباً من مركزنا في شارع بدارو.

○ وهل هم كثر هؤلاء الجيران؟

● نعم كثر. وهم ينتشرون على الأرصفة الموازية والمقابلة لحرش بيروت، حيث ينصبون الخيم. المشهد محزن للغاية.

○ هل من ملاحظات أو مفارقات نقلها المعالجون النفسانيون الذين يلتقون بالنازحين؟

● من خلال جلسات الاحتواء وجلسات الاستماع التي قدمناها للنفسانيين عبر مبادرة «تحصين»، ذكروا ملاحظات عن حصول مشاكل عائلية في مراكز النزوح، وهذا طبيعي في الحروب. ونقلوا لنا كذلك حزن النازحين وعتبهم لتراجع منسوب التعاطف معهم قياساً بحرب سنة 2024. وهم يشعرون بمدى الإهمال الذي يواجهون به.

○ وما الجديد الذي وجده المعالجون لدى الأطفال النازحين؟

● السؤال الذي يتلقاه المعالج ويتكرر دائماً من البالغين ماذا نقول للطفل عن الحرب؟ كيف نهدئ روع الأطفال بعد جدار الصوت الذي سبب لهم الهلع، وأيقظهم مذعورين خلال الليل؟ بماذا نجيب الطفل عن سؤال لماذا تركنا بيتنا؟ وملاحظة العالجين بأن الأهل بحد ذاتهم يتركون تأثيراً سلبياً على الأطفال، وذلك من خلال ملازمتهم شاشة التلفزيون على مدار اليوم.

سيرة مصطفى محمود ومسيرته الفكرية في ميزان الدراما المصرية

كمال القاضي

قدمت الدراما المصرية العديد من السير الذاتية لعدد من المشاهير في مجالات مُختلفة، فنية وثقافية وسياسية ودينية، كان من أبرزها حياة الشيخ محمد متولي الشعراوي في مسلسل «إمام الدُعاة»، وقبلها حياة أم كلثوم وعبد الحليم حافظ وأسمهان والملك فاروق والرئيس جمال عبد الناصر ونماذج أخرى لشخصيات مرموقة، رأى كُتاب الدراما التلفزيونية ومُخرجوها ضرورة لتسجيلها وتوثيقها لتظل حاضرة في الذاكرة الجمعية لعموم المواطنين المصريين والجماهير العربية في كل الأقطار الشقيقة التي تؤمن بالدور الثقافي والإبداعي، وتحرص على وجود أوعية مُختلفة لاحتواء الصور الإنسانية والأنماط الفكرية لمن أثروا الحياة وساهموا فيها بما لديهم من قُدرات ومواهب على كل الأصعدة.

آخر ما تم التنويه عنه في هذا الصدد، الإنتاج الضخم لمُسلسل يحكي قصة حياة المُفكر الكبير د. مصطفى محمود، صاحب البرنامج الأشهر العلم والإيمان، الذي أذيعت حلقاته لأول مرة بالتلفزيون المصري عام 1971 واستمرت لعقدين مُتتاليين، حيث بلغ عدد الحلقات التي ربطت بين الاكتشافات العلمية والظواهر الكونية وبين القُدرة الإلهية المطلقة، نحو 400 حلقة دارت كلها حول ما تأكد يقيناً بأن قُدرة الله لا حدود لها ولا شك فيها.

هذا المشروع الدرامي هو العمل المُنتظر عرضه في الموسم الرمضاني 2027 وفق ما تم تداوله من أخبار، وسوف يتضمن المُسلسل عرض سيرة حياة الكاتب والمُفكر الراحل الكبير سالف الذكر، بما فيها من تفاصيل تتصل بالنشأة والتكوين والميول الفكرية والعلمية والثقافة الشخصية والهوايات الخاصة والعلاقات الإنسانية والمهنية لصاحب السيرة والمسيرة.

كذلك يتناول المُسلسل أيضاً الدور التنويري للعالم والمُثقف الكبير القائم إسهامه الفكري على الإيمان كنواة أساسية للفهم والتوعية والتفاعل مع الثقافات المختلفة بما يُثري العقل ويزكي النفس ويشرح الصدر وينفع الناس.

تلك كانت منهجية الفكر عند الدكتور مصطفى محمود، كما وردت في كُتبة الشهيرة، «الماركسية والإسلام» و«رحلتي من الشك إلى الإيمان»، و«حوار مع صديقي المُلحد»، و«الله والإنسان»، و«تأملات في دنيا الله»، و«القرآن محاولة لفهم عصري»، و«لغز الموت ولغز الحياة»، و«الشفاعة محاولة لفهم عصري»، و«الإسلام ما هو؟»، إلى آخر قائمة مؤلفاته التي أثارت الجدل ودعت إلى الانقسام حول أفكاره وطرحه الاستثنائي الخاص لمعنى الوجود والهوية الكونية والقُدرة الإلهية.

ولم يكتف الكاتب الراحل بما كتبه من نظريات ورؤى إيمانية، وإنما كانت له أيضاً محاولات إبداعية جادة تمثلت في بعض الروايات مثل «المستحيل» و«العنكبوت» و«رائحة الدم» و«عنبر 7» و«رجل تحت الصفر» و«الخروج من التابوت».

وفي السياسة كتب وجهات نظره بوضوح في مؤلفات مهمة من بينها، «الشيطان يحكم»، «عصر القرود»، «سواح في دنيا الله»، «أيها السادة اخلعوا الأقنعة»، «أكل عيش» و«الروح والجسد».

وفي النظريات العلمية كتب الراحل كتباً زادت من حدة الخلاف حول موهبته ومشواره ومسيرته من بينها «أينشتاين والنسبية» و«الوجود والعدم» و«السر الأعظم».

وقد بلغ عدد مؤلفاته 80 مؤلفاً تنوعت موضوعاتها وتعددت أفكارها ولكنها صبت كلها في خانة الإيمان المطلق بوحدانية الله وقُدرته اللانهائية.

وإزاء هذا الثراء التفتت إليه الدراما المصرية بعين الاعتبار والأهمية الثقافية القصوى، فتم التفكير في عمل مُسلسل يحكي قصة حياته مع البحث والعلم بكثير من التدقيق والتفصيل تحت عنوان «رحلة الشك واليقين» أو «الشك واليقين»، حيث لم تتوافر معلومات مؤكدة حول ثبات العنوان حتى الآن.

المسلسل كتبه محمد هشام عبية وتُخرجه كاملة أبو ذكري، مخرجة مُسلسل «بنت اسمها ذات» بطولة نيللي كريم وباسم سمرة، المأخوذ عن قصة الكاتب الراحل صنع الله إبراهيم، وهذا ما يُبشر بجودة وتميز العمل الجديد الذي يجسد فيه دور البطولة خالد النبوي والقائمة فكرته على توثيق حياة ومحطات الدكتور مصطفى محمود ومشواره البحثي الطويل.

وبغض النظر عما يُمكن أن يُثيره المُسلسل من خلاف في وجهات النظر بين أنصار الكاتب والمُفكر الراحل ومؤيديه، وبين التيار المُعارض له، فإن المسلسل ذاته سيكون إضافة على المستوى الفني حال خروجه بشكل لائق من الناحية الإبداعية ونجاح البطل خالد النبوي في الوصول إلى روح الشخصية ومكونها الثقافي والفلسفي، والكاريزما التي كان يتمتع بها الطبيب والمفكر والإنسان والفقيه العلمي د. مصطفى.

عندئذ سيكون النبوي قد أفلح فعلياً في توثيق سيرة الرجل الذاتية وجدد ذكراه وأحيا منهجه التحليلي وأعاده مُجدداً إلى المشهد الإعلامي كي يظل محفوراً في ذاكرة الجمهور ومخيلته وحاضراً في المرجعيات الفكرية لتلاميذه من المهتمين بالبحث والدراسة.

ولأن المسلسل مُحاط بالسرية ولم يتسرب منه شيئاً حتى كتابة هذه السطور، فلم يستطع أحد التنبؤ بما يتضمنه على وجه الدقة، هل سيقتصر التناول الدرامي فقط، إشكالية الشك والإيمان أم أنه سيتطرق إلى الفصول الأخرى في حياة مصطفى محمود ومعاركه الفكرية مع مُناهضيه؟

الإجابة متروكة لما سوف تكشف عنه الحلقات في العام المقبل.

القدس العربي الأسبوعي
تأسست عام ١٩٨٩
الناشر: مؤسسة «القدس العربي» للنشر والاعلان

رئيسة التحرير:
سناء العاول
Editor In Chief
Sana Aloul

المقر الرئيسي (لندن):
2nd FLOOR 26-28 HAMMERSMITH GROVE. LONDON W6 7HA England
هاتف: 8008 741 0208 44+ (6 خطوط) * فاكس: 8902 741 0208 44 +

Head Office (London): 2nd FLOOR
26-28 HAMMERSMITH GROVE. LONDON W6 7HA England
Tel: +44 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: + 44 0208-741 8902
Email: alquds@alquds.co.uk * www.alquds.co.uk

الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 1000 جنيه استرليني في عموم بريطانيا و1200 دولار أمريكي للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد

Al-Quds Al-Arabi Weekly Independent Newspaper

تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم

القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
الاسبوعي
السنة السابعة والثلاثون العدد 12035 الأحد 12 نيسان (أبريل) 2026 – 24 شوال 1447 هـ
Volume 37 - Issue 12035 Sunday 12 April 2026

وفاة الفيلة شانكال بعد جلسة تصوير مثيرة للجدل في الهند

لندن ـ «القدس العربي»: آدم جابر

أثارت وفاة فيلة تُدعى شانكال جدلاً واسعاً بعد أشهر من استخدامها في جلسة تصوير تم خلالها طلاء جسدها باللون الوردي الفاقع في شمال الهند، قرب مدينة جايبور.

الفيلة المعنية كانت قد شاركت في جلسة تصوير بعنوان Pink City أُقيمت في منطقة هاثي غاون، قبل أن يتم الإعلان عن وفاتها في شهر آذار/مارس الماضي، الأمر الذي فجّر موجة غضب وانتقادات على مواقع التواصل الاجتماعي.

حسب لجنة تطوير هاثي غاون، أرجع أطباء بيطريون سبب نفوق الفيلة إلى إصابتها بقصور في الجهازين القلبي والتنفسي. إلا أن الجدل لم يتوقف عند هذا التفسير، بل إن عدداً من الناشطين ربطوا بين الحادثة وجلسة التصوير التي خضعت لها شانكال.

بدأت الانتقادات منذ نشر الصور لأول مرة في شهر كانون الأول/ديسمبر الماضي على حساب المصورة الروسية جوليا بورولیفا، التي تقيم في مدينة برشلونة الإسبانية. واعتبر كثيرون أن طلاء الفيلة أمر غير إنساني، مشيرين إلى حساسية جلد الأفيال، ومؤكدين أنه كان من الممكن استخدام تقنيات التعديل الرقمي أو الذكاء الاصطناعي بدلاً من تعريض الحيوان لهذا الإجراء.

من جانبها، دافعت المصورة عن نفسها في بيان نشرته عبر إنستغرام، مؤكدة أن الطلاء المستخدم «غير سام»، وأن العملية تمت لفترة قصيرة وتحت إشراف محليين، مضيفة أن هذه الممارسات شائعة في بعض الاحتفالات التقليدية.

كما شددت المصورة على أن الاتهامات بوجود علاقة بين جلسة التصوير ووفاة الفيلة «غير صحيحة»، موضّحة أن تقارير إعلامية هندية تشير إلى أن سبب الوفاة يعود إلى التقدم في العمر. كما لوّحت باتخاذ إجراءات قانونية ضد من وصفتهم بمروّجي «المعلومات المضللة».

في المقابل، دعت منظمة «بيتا الهند» المعنية بحقوق الحيوان المصورة إلى حذف الصور من منصاتها، أو التبرع بعائداتها لدعم جهود حماية الأفيال، وذلك في ظل استمرار الجدل حول أخلاقيات استخدام الحيوانات في الأعمال الفنية والإعلانية. واعتبرت المنظمة أن استخدام الحيوانات في مثل هذه الأنشطة، حتى لو تم وفق ممارسات محلية، يظل محل إشكال أخلاقي، خاصة إذا كان الهدف تجارياً أو فنياً بحتاً.

فريق «أرتيميس 2» يعود إلى الأرض بعد مهمّة ناجحة حول القمر

احتفلت ناسا ليل الجمعة بعودة روّاد الفضاء الأربعة ضمن مهمّة «أرتيميس 2» بسلام إلى الأرض بعدما رحلة ناجحة للدوران حول القمر كانت الأولى منذ أكثر من نصف قرن.

وهبطت مركبة «أوريون» التابعة لوكالة ناسا الأمريكية التي حملت ثلاثة رواد فضاء أمريكيين وكندي واحد في مياه المحيط الهادي قبالة كاليفورنيا كما هو مخطط لها ومن دون أي مشاكل، في ختام المهمّة التي التقط الفريق خلالها صورا مذهلة للقمر.

وقال مسؤول العلاقات العامة لدى «ناسا» الذي روى تفاصيل عودتهم ببث حي لوكالة الفضاء الأمريكية روب نافياس «إنهم في وضع ممتاز».

بعد فترة انقطاع قصيرة ومقلقة للاتصال مع «أوريون» أثناء عودتهم، أثار صوت وايزمان الارتياح عندما أكد أنّهم في طريقهم إلى الأرض.

وقال بعد اختبار للصوت من مركز التحكّم بالمهمّة في هيوستن «نسمعكم بوضوح تام».

ولدى عودة رواد الفضاء إلى الأرض، وصلت مركبتهم إلى سرعات قصوى تزيد على سرعة الصوت بثلاثين مرّة، وواجهت درجات حرارة شديدة بلغت نحو نصف الحرارة المسجّلة على سطح الشمس.

شكّل ذلك اختبارا مهمّا لدرعها الحراري الذي يحمي كبسولة الطاقم من درجات الحرارة الحارقة علما بأنه سبق أن واجه مشكلات في تجربة سابقة غير مأهولة. عمل الفريق هذه المرّة على الحد من المشكلات عبر تغيير مسار العودة.

وستخضع المركبة «أوريون» حاليا إلى دراسة دقيقة لتقييم أدائها.

وكانت «أرتيميس 2» أول مهمّة مأهولة ضمن برنامج ناسا الهادف لتأسيس حضور دائم على القمر، بما في ذلك بناء قاعدة يمكن استخدامها في مزيد من الاستكشافات تشمل المرّيخ.

استمرت الرحلة منذ لحظة الانطلاق إلى الهبوط تسعة أيام وساعة و31 دقيقة و35 ثانية، علما بأن ناسا تحسبها على أنها مهمّة مدّتها عشرة أيام.

بدأت بعملية الإقلاع من فلوريدا في الأول من نيسان/أبريل وتخللتها محطات تاريخية عديدة.

وصل الروّاد الأربعة إلى أبعد نقطة عن الأرض يبلغها البشر على الإطلاق بمسافة بلغت 406.771 كيلومتر.

وخلال رحلتهم في عمق الفضاء وحول القمر، التقطوا آلاف الصور الآسرة.

كما شاهدوا كسوفا للشمس وعمليات ارتطام فريدة لنيازك على سطح القمر.

حقّقت الرحلة التاريخية عدّة إنجازات إذ أن غلوفر كان أول شخص غير أبيض يصل إلى القمر بينما كان هانسن أو شخص غير أمريكي وكوك أول امرأة.

ووصف عالم الفضاء ديريك بوزاسي من جامعة شيكاغو المهمّة بـ«الناجحة والخالية من أي عيوب تقريبا».

(أ ف ب)

عائلة مايكل جاكسون تحضر عرض أول لفيلم عن حياته

تجمع آلاف من معجبي مايكل جاكسون في برلين الجمعة لحضور العرض العالمي الأول لفيلم السيرة الذاتية «مايكل» الذي يقوم ببطولته ابن شقيق أيقونة موسيقى البوب، وكان الكثير منهم يرتدون ملابس ونظارات مستوحاة من أشهر إطلالته.

وقال جعفر جاكسون الذي كان يبلغ من العمر 12 عاما عندما توفي عمه في 2009 إنه انغمس في اللقطات الأرشيفية للتحضير للدور مع الاعتماد أيضا على ذكرياته الخاصة.

وأضاف على السجادة الحمراء «من الذكريات المفضلة لدي هي أول مرة رأيته فيها على خشبة المسرح وهو يؤدي في نيويورك وكانت تلك أفضل تجربة بالنسبة لي».

وقال جاكي جاكسون، الذي غنى مع مايكل عندما كان صغيرا في فرقة «جاكسون 5» وكانت له مسيرته الموسيقية الخاصة، إن تصوير شخصية شقيقه مقنع للغاية لدرجة أنه كان ينسى أحيانا خلال الفيلم أنه في واقع الأمر يشاهد جعفر.

وأضاف «صار مايكل داخل الفيلم».

ويتتبع الفيلم الذي أخرجه أنطوان فوكوا صعود «ملك البوب» من مغن رئيسي في الفرقة التي كانت تتألف منه هو وإخوته إلى انطلاق مايكل في مسيرة فردية بأغان ذائعة الصيت مثل «ثريلر» و«بيت إت». ويسلط الفيلم الضوء على الإطلالات الأيقونية التي رافقت هذه الأغاني. (رويترز)